الكتاب الذهبى

لمهرجان

خليل مطران بك

سنة ١٩٤٧



الكتاب الذهبي

لمهرجان

خليل مطران بك

سنة ١٩٤٧

لجنة تكريم

شاعر الأقطار العربية

خليل مطران بك



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول راعي العلم والأدب والفن .

وقد تفضل جلالته فشمل المهرجان الأدبي الكبير في دار الأوبرا الملكية

برعايته السامية وأوفد مندوباً لحضوره

الكتاب الذهبي

وهو يتضمن

ما جادت به قرائح الكتاب والشعراء

في

مهرجان خليل مطران بك

سنة ١٩٤٧

مطبعة الهلال

سنة ١٩٤٨

صفحة

صفحة

فكرة التكريم وتاليف اللجنة

رأى جماعة من اخوان شاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل مطران بك والمعجبين بشعره وكرم أخلاقه أن يحيوه تحية كريمة يشترك فيها جميع محبيه وعارفى فضله . فدعوا الى اجتماع فى النادى الشرقى فى ٤ نوفمبر ١٩٤٥ للتداول فيما يحسن عمله لاخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود

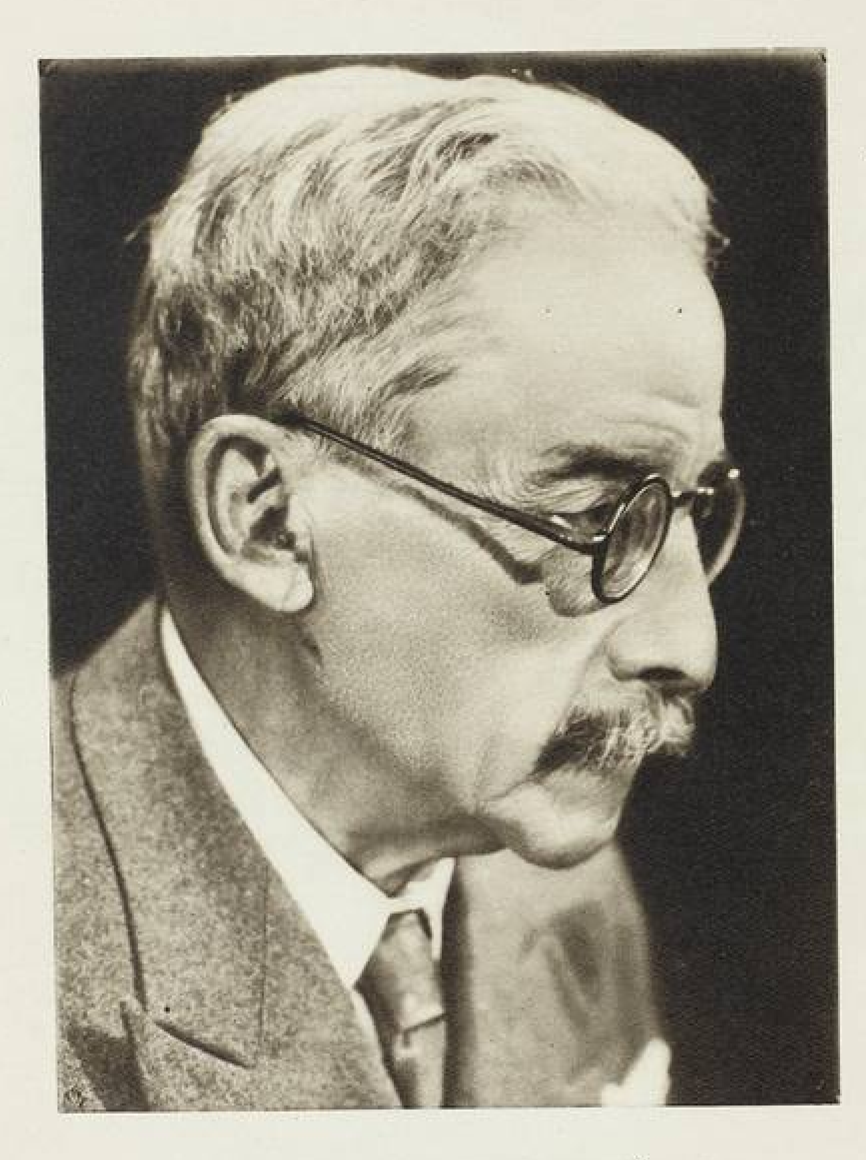
ولبى الدعوة صفوة من أهل الفضل والعلم والأدب . ولما اكتمل عقدهم ألقى حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك كلمة موجزة أبان فيها الغرض من الاجتماع وعرض للبحث اقتراحا ينطوى على اقامة حفلة تكريم للشاعر الكبير والاشتراك فى طبع ديوانه ومؤلفاته حرصا على صون ما فيها من غرر ودرر

وقوبلت هذه الكلمة بالاستحسان التام من جميع الحاضرين . وبعد البحث والمناقشة قر رأيهم على تأليف لجنة عامة تتولى الاشراف على تنفيذ المشروع الذى أشار اليه ثابت بك فى كلمته وانتخاب لجنة تنفيذية لبث الدعوة وتنظيم العمل باشراف اللجنة العامة وارشادها

ثم نظر المجتمعون فى تأليف اللجنة العامة . فتم الاتفاق على توجيه الدعوة الى نخبة من ذوى الفضل للانتظام فى عضويتها . وتألفت ، من الذين تفضلوا فأجابوا بالقبول ، لجنة مؤقتة برئاسة حضرة صاحب السعادة يوسف جلاد باشا للتمهيد لاقامة حفلة التكريم ريثما تتوافر العناصر اللازمة لاستكمال تكوينها على الوجه المطلوب . واختير الاستاذ موريس أرقش سكرتيرا للجنة والاستاذ الياس مرشاق أمينا للصندوق

وفى أول أغسطس ١٩٤٦ منيت اللجنة بفقد رئيسها المأسوف عليه كل الاسف المرحوم يوسف جلاد باشا فكان الحزن عليه عاما والاسف شاملا . وقد خسرت اللجنة بوفاته رئيسا عاملا ومشيرا حصيفا ومدبرا حكيما . وعلى أثر ذلك دعت اللجنة حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك ليتولى رئاستها . فتفضل وأجاب بالقبول

وحالت كثرة مشاغل الاستاذ موريس أرقش دون تمكنه من مواصلة العمل كسكرتير اللجنة فأعرب عن رغبته فى التخلى عن هذا المنصب مع بقائه عضوا فيها .



شاعر الأقطار العربية خليل مطران بك

فلم يسع اللجنة ، مع الأسف الشديد ، الا أن تستجيب الى رغبته شاكرة له ما أبدى من الاخلاص والهمة والنشاط فى القيام بأعمال السكرتيرية . ووقع اختيار اللجنة على حضرة صاحب العزة صموئيل عطيه بك خلفا له

ومضت اللجنة العامة المؤقتة فى أعمالها الى أن أعيد تأليفها نهائيا على الوجه التالى :

حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك	رئيسا
حضرة الشيخ المحترم عباس محمود العقاد	أعضاء
حضرة صاحب السعادة انطون الجميل باشا	
حضرة النائب المحترم فكرى أباظه بك	
حضرة النائب المحترم كامل الشناوى	
حضرة صاحب العزة ادجار جلاد بك	
صاحب العزة أحمد أمين بك	
صاحب العزة نقولا كحلا بك	
الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى	
الاستاذ غالب أبو النصر اليافى	
الاستاذ موريس أرقش	
الاستاذ فؤاد صروف	
الاستاذ جميل الرافعى	
الاستاذ روفائيل بطى	
الاستاذ سمعان طراد	
الاستاذ يوسف توتونجى	
الاستاذ محمد يحيى الزبارة	
الاستاذ رزق الله حمصى	
الدكتور ادوارد غرزوزى	
الاستاذ فؤاد شاكر	
حضرة صاحب العزة صموئيل عطية بك	سكرتيرا
الاستاذ الياس مرشاق	أمينا للصندوق

ومما يجدر بنا ذكره فى هذا المقام أنه من أهم الاسباب التى دعت الى اعادة تأليف اللجنة أن تكون ممثلة بقدر الامكان لجميع الأقطار العربية . وقد جاء تأليفها نهائيا على الوجه المتقدم محققا لهذه الغاية اذ تفضل فقبل أن ينضم اليها السادة الوجهاء غالب أبو النصر اليافى عن سوريا ، وروفائيل بطى عن العراق ، ومحمد يحيى الزبارة عن اليمن ، وفؤاد شاكر عن القطر العربى السعودى

واختيرت من هذه اللجنة لجنة تنفيذية مؤلفة من حضرات :

أنطون الجميل باشا
ادجار جلاد بك
فكرى أباظه بك
الاستاذ غالب أبو النصر اليافى
الاستاذ موريس أرقش
الاستاذ فؤاد صروف
الاستاذ جميل الرافعى
صموئيل عطية بك
الاستاذ الياس مرشاق
الدكتور ادوارد غرزوزى

ووجهت اللجنة أيضا الدعوة الى حضرات السادة الاماثل الآتية أسماؤهم ليكونوا أعضاء شرف فيها :

حضرة صاحب السعادة يوسف صيدناوى باشا
الاستاذ لويس دوش
الاستاذ عزيز بحرى
الاستاذ شفيق مترى
الاستاذ فيليب كفورى
الاستاذ جوزيف كفورى

قرارات اللجنة

وعقدت اللجنة العامة اجتماعات عديدة وكان أهم القرارات التى اتخذتها ما نلخصه فيما يلى :

أولا : اقامة مهرجان أدبى كبير فى الاسبوع الأخير من شهر مارس ١٩٤٧

ثانيا : دعوة البلدان العربية الى الاشتراك فى المهرجان وايفاد مندوبين عنها

ثالثا : اقامة مأدبة عشاء كبيرة فى فندق شبرد فى القاهرة بعد الانتهاء من المهرجان الكبير

رابعا : صنع ثلاث مداليات تذكارية من الذهب الخالص تهدى احداها الى حضرة صاحب الجلالة الملك ، والثانية الى حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، والثالثة الى خليل مطران بك ، ومداليات من البرونز لتوزيعها على المدعوين فى المهرجان الكبير بدار الأوبرا الملكية

خامسا : طبع ديوان مطران ومؤلفاته

سادسا : تخصيص ما يتبقى من المال الذى تبرع به أصدقاء الخليل ومحبوه بعد طبع ديوانه ومؤلفاته لانشاء مؤسسة يطلق عليه اسمه تخليدا لذكراه على أن يكون المظهر الذى يحسن أن تتخذه هذه المؤسسة والمكان الذى تقام فيه موضع بحث ودراسة فيما بعد

رئاسة المهرجان والمكان الذى يقام فيه

وقد تفضل حضرة صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف فقبل أن يرأس المهرجان الادبى الكبير وأذن باقامته فى دار الاوبرا الملكية بالقاهرة

موعد اقامة المهرجان

وقررت اللجنة أن تضرب موعدا للمهرجان يوم الاربعاء ٢٦ مارس ١٩٤٧ وان تدعو اليه الامراء والوزراء وأهل الوجاهة والفضل والأدب مضطرة الى الاقتصار على طائفة منهم بقدر ما تسع الدار المعدة للاحتفال . ثم رئى ارجاء

المهرجان الى يوم السبت فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٧ لاسباب فنية تتعلق بدار الاوبرا الملكية

الرعاية الملكية السامية

وبالنظر لما تعلمه اللجنة عن عطف حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم على خليل مطران وقدره لأدبه ولخدماته لمصر وولائه للبيت العلوى الكريم ، فضلا عن رعاية جلالته للأدب والادباء ، التمس رئيسها أن يتفضل جلالته بشمول المهرجان الذى سيقام بدار الاوبرا الملكية برعايته السامية وايفاد مندوب لحضوره . فتلقى الكتاب التالى من حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء :



صاحب العزة خليل ثابت بك

أتشرف بابلاغ عزتكم ان حضرة صاحب الجلالة الملك تفضل فشمل برعاية جلالته السامية المهرجان الادبى الذى سيقام بدار الاوبرا الملكية فى يوم الاربعاء ٢٦ مارس سنة ١٩٤٧ تكريما لحضرة الاستاذ خليل مطران

وتفضلوا عزتكم بقبول وافر الاحترام ،،

كبير الامناء

تحريرا فى ٢٢ فبراير ١٩٤٧



المرحوم يوسف جلاد باشا

حفلات التكريم

وفى أصيل يوم السبت الواقع فى ٢٩ مارس ١٩٤٧ أقيم المهرجان الكبير فى دار الاوبرا الملكية فى القاهرة وتلته مأدبة عشاء فخمة أقامتها اللجنة بفندق شبرد فى مساء يوم الأحد الواقع فى ٣٠ مارس . ثم تتابعت حفلات التكريم فى القاهرة والاسكندرية بالترتيب التالى :

١ أبريل – مأدبة الغداء فى نادى الروتارى فى القاهرة
٢ أبريل – حفلة الاندية الخمسة فى النادى الشرقى بالقاهرة اشترك فيها النادى الشرقى ونادى لبنان ونادى الشبيبة ونادى الاتحاد الارثوذكسى ونادى هليوبوليس الرياضى
٩ أبريل – حفلة المفوضية اللبنانية
١٩ أبريل – حفلة جمعية الاتحاد العربى فى القاهرة
٤ مايو – حفلة الهيئات الطائفية للروم الكاثوليك
٧ يونيو – حفلة المفوضية السورية بفندق سميراميس
٢٣ يوليو – حفلة النادى السورى فى الاسكندرية

هذا فضلا عن المهرجان الذى أقامته الجالية العربية فى نيويورك تكريما للشاعر الكبير . وقد نشرنا فيما بعد وصفا موجزا لهذه الحفلات كلها مع الخطب والقصائد التى ألقيت فيها

الكتاب الذهبى

ورأت اللجنة أن تحفظ لحفلات التكريم اثرا خالدا فجمعت فى هذا الكتاب الذهبى ما جادت به قرائح الكتاب والشعراء فى تحية شاعر العروبة الكبير

الرسائل والبرقيات

وورد على اللجنة والمحتفل به طائفة كبيرة من الرسائل والبرقيات أفردنا لها مكانا خاصا فيما بعد

الانعام الملكى

وقد أبى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الا أن يضيف الى شموله المهرجان الادبى فى دار الاوبرا الملكية برعايته وايفاده مندوبا لحضوره مظهرا آخر لعطف جلالته ورضائه السامى ، اذ تفضل فأنعم على الشاعر الكبير برتبة البكوية من الدرجة الاولى مكافأة على خدماته الجليلة للادب والفن . فكان هذا الانعام لفتة سامية أثلجت صدور الشعراء والادباء وأطلقت ألسنتهم بالشكر والثناء وقيدت قلوبهم بالدعاء بحفظ المليك راعى العلم والادب والفن . وما لبث مطران بك أن توجه الى قصر عابدين العامر وقيد اسمه فى سجل التشريفات معربا عن شكره للمليك المعظم على تفضله بهذا الانعام . ثم قابل حضرة صاحب المعالى ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى وقدم اليه الابيات التالية راجيا رفعها الى السدة الملكية :

مولاى جارى فى الندى طبعه	وعلـه جار علـى ضـعفى
أصبحت لا أقوى على عـد ما	أسدى فهل أقوى على الوصف
ما أنا ، ما شـأنى ؟ ولكنـه	شاء وهـذا للعـلى يكفى
أين بيـانى وهـو لى طيع	وأين ذاك الصـوت يا لهفى
ليحى « فاروق » ومن مثلـه	يضاعف الاحسـان باللطف
قد بلغ الآداب أسمى الذرى	بفضـل ما يولى من العطف

نشان الأرز اللبنانى ونشان الاستحقاق السورى

وتلا الانعام الملكى انعامان آخران أحدهما من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية بنشان الارز من طبقة ضابط أكبر والآخر من فخامة رئيس الجمهورية السورية بنشان الاستحقاق من الطبقة الاولى . فقوبل هذان الانعامان فى جميع الدوائر الأدبية بالشكر الجزيل والثناء الجميل . ومن المنعم عليه ببالغ التقدير وصادق الشكر . وقد رفع مطران بك آيات شكره لكل من صاحبى الفخامة الرئيسين الجليلين فى أبيات من عيون الشعر ألقيت فى حفلتى المفوضيتين اللبنانية والسورية كما سيجىء فيما بعد

ديوان الخليل ومؤلفاته

والآن وقد فرغت اللجنة من حفلات التكريم واعداد الكتاب الذهبى للطبع فانها ستعمل جادة على ابراز ديوان الخليل ومؤلفاته بلا ابطاء طبقا للبرنامج الذى قررته وسبقت الاشارة اليه فيما تقدم . ولها كبير الأمل أن تتمكن من انجاز هذا العمل فى زمن غير بعيد . وهى معنية أيضا ببحث خير الوسائل التى تعين على تنفيذ القرار الذى ينطوى على انشاء مؤسسة تخليدا لذكراه

اللجنة تشكر

ويسر اللجنة أن تسجل هنا ما يجب عليها من الشكر . فقد سبق أن توجه رئيس لجنة التكريم مع بعض أعضائها الى قصر عابدين العامر وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات معربين عن شكرهم للمليك المعظم على تفضله بشموله المهرجان الأدبى الكبير برعايته وايفاده مندوبا لحضوره . واللجنة تكرر هنا أجمل عبارات الشكر على هذه اللفتة الملكية السامية

وعلى اللجنة شكر تؤديه لحضرة صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف العمومية لتفضله بقبول رئاسة المهرجان والاذن بوضع مسرح الحكومة الرسمى بجميع معداته تحت تصرف اللجنة لهذا الغرض

وتود اللجنة أن تعرب أيضا عن شكرها لحكومات الدول العربية لتفضلها بالاشتراك فى المهرجان وايفاد مندوبين عنها ولمن تفضلوا بحضور المهرجان وللذين اعتذروا أو بعثوا برسائل التحبيذ وبرقيات التهانىء وللجمعيات والهيئات التى أوفدت وفودا لتمثيلها وللادباء والشعراء الذين بعثوا بالمنثور والمنظوم من نفثات أقلامهم

ويجب ألا يفوت اللجنة أن توجه الشكر الجزيل الى ذوى الحمية والاريحية من أصدقاء الشاعر الكبير الذين اشتركوا فى التبرع بالمال للاغراض التى قررتها اللجنة . والى « دار الهلال » التى تفضلت فتبرعت بطبع هذا الكتاب وديوان الخليل بلا مقابل . والى أعضاء اللجان الفرعية فى غير القاهرة لقاء ما أسدوا الى اللجنة من المعونة الصادقة بتوليهم العمل بالنيابة عنها . تخص

بالذكر منهم الاستاذ نايف عماد والدكتور ميشيل سمعان والدكتور فؤاد فركوح والدكتور اميل سعادة والدكتور بهيج ناصر والدكتور نصرى حبيب وجميعهم من كرام مدينة طنطا ومن أهل الفضل والوجاهة فيها . والى الخطاط الكبير الاستاذ نجيب هواويني بك الذى تفضل فأهدى الى اللجنة رؤوس الكتاب مكتوبة بخطه الانيق الجميل مساهمة منه فى تحية الخليل

والصحافة جديرة بالشكر كله على ما أمدت اللجنة به من عظيم المساعدة . فهى التى بثت دعوتها وأيدتها بتشجيعها ووالت نشر أخبارها وأفسحت المجال لوصف الحفلات التى أقيمت تكريما للشاعر الكبير

... وتعتذر

وتنتهز اللجنة هذه الفرصة لتعتذر الى جميع الذين لم تصلهم بطاقات الدعوة الى المهرجان الكبير بدار الاوبرا الملكية والذين لم تتمكن من القيام بواجب دعوتهم لان عدم اتساع الدار حال دون توجيه الدعوة الى جميع الذين كانت تود حضورهم

المهرجان الأدبي الكبير في دار الأوبرا الملكية في القاهرة
برعاية جلالة الملك فاروق الأول

١ – وصف المهرجان

شهدت العاصمة فى أصيل يوم السبت الواقع فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٧ مهرجانا أدبيا نادر المثال اذ احتشد فى دار الاوبرا الملكية بدعوة من لجنة التكريم حفل رائع من العظماء والوجهاء من أبناء العروبة وكبار رجال الدولة ورجال التمثيل السياسى للاقطار العربية وأعلام البيان والأدب والصحافة يتقدمهم حضرة صاحب العزة كريم ثابت بك المستشار الصحفى للديوان الملكى مندوبا من جلالة الملك الذى تفضل فشمل المهرجان برعايته السامية، وحضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء ، وصاحب المعالى ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى ، وصاحبا المعالى عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف ودسوقى أباظه باشا وزير المواصلات، والوزراء المفوضون للاقطار العربية والسيد صادق المجددى وزير أفغانستان المفوض وسماحة السيد أمين الحسينى مفتى فلسطين الاكبر وسعادة على زكى العرابى باشا ومصطفى نصرت بك والدكتور طه حسين بك وفؤاد أباظه باشا ومحمد العشماوى باشا وتوفيق دوس باشا وغيرهم من الكبراء وأعلام الأدب والصحافة

واتخذ خطباء الحفل وأعضاء لجنة الاحتفال أماكنهم فوق المسرح وجلس بينهم سعادة الشيخ سامى الخورى وزير لبنان المفوض والمحتفل به

وفى الساعة الخامسة وصل مندوب جلالة الملك . ثم وقف الشيخ المحترم خليل ثابت بك رئيس لجنة الاحتفال وألقى كلمة الافتتاح . وما أن انتهى منها حتى وقف الاستاذ فكرى أباظه بك وقال :

دعا حضرة صاحب العزة مندوب جلالة الملك فى الحفل شاعر القطرين الاستاذ خليل مطران بك المحتفل به الى مقصورته وأبلغه العطف الملكى الكريم الآتى :

« لقد أمرنى مولاى الملك المعظم بان أبلغك تهانئه ، وان أدعوك الى الجلوس فى هذه المقصورة ، تقديراً من جلالته لاخلاصك



حضرة صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى باشا
وزير المعارف العمومية وقد تفضل فرأس المهرجان
الكبير فى دار الأوبرا الملكية فى القاهرة

وفضلك وأدبك ، وتحية منه ـ حفظه الله ـ لأهل الادب والعلم فى مصر وسائر الاقطار العربية »

فكان لهذا العطف الكريم أجمل الاثر فى نفوس الحاضرين وقوبل بالاستحسان وصادق الشكر والدعاء

ثم تعاقب حضرات الخطباء والشعراء فى القاء خطبهم وقصائدهم طبقا لبرنامج الحفلة الذى ننشره فيما يلى :

كلمة الافتتاح : حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك رئيس لجنة الاحتفال

خطاب : حضرة صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى باشا
وزير المعارف العمومية

خطاب : حضرة صاحب المعالى ابراهيم دسوقى أباظه باشا
وزير المواصلات

خطاب : حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا
رئيس الاتحاد العربى

خطاب : حضرة صاحب السعادة أنطون الجميل باشا
رئيس تحرير جريدة الاهرام

قصيدة : حضرة الشيخ المحترم عباس محمود العقاد

قصيدة : حضرة الاستاذ شبلى الملاط بك مندوب الحكومة اللبنانية

خطاب : حضرة الاستاذ سامى السراج مندوب حكومة سوريا

قصيدة : الاستاذ عبد الرزاق محيى الدين بك
مندوب الحكومة العراقية

قصيدة : الاستاذ الشاعر محمد الاسمر

خطاب : الاستاذ زكى طليمات

قصيدة : الاستاذ خليل مطران يلقيها حضرة صاحب العزة
الدكتور محمد صلاح الدين بك

قطعة موسيقية : الاستاذ سامى الشوا

ولما فرغ الاستاذ شبلى الملاط بك من القاء قصيدته أعلن الاستاذ فؤاد صروف ـ وكان يتولى تقديم الخطباء والشعراء ـ أن صاحب العزة ادجار جلاد بك تولى تقديم المدالية الذهبية التذكارية الى حضرة صاحب العزة مندوب جلالة الملك المعظم ليرفعها الى جلالته وانه قدم مدالية أخرى من الذهب الى المحتفل به

وأعلن كذلك أن لجنة الاحتفال تلقت كثيرا من الرسائل البرقية من مختلف البلاد العربية والمهاجر تكتفى بأن تشير اليها وانها ستنشر كلها فى الكتاب الذهبى الذى سيعد لهذا المهرجان

وكان خاتمة البرنامج القطعة الموسيقية التى عزفها الاستاذ سامى الشوا على كمانه وقد أعدها لهذا المهرجان وسماها « تحية مطران » . وتلاها عزف السلام الملكى ايذانا بنهاية الاحتفال

وعلى أثر ذلك توجه حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك رئيس لجنة الاحتفال ومعه بعض أعضاء اللجنة الى قصر عابدين العامر وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات معربين عن شكرهم للمليك على تفضله بشمول المهرجان برعايته السامية وايفاده مندوبا لحضوره

٢ ـ الخطب والقصائد التى ألقيت فى المهرجان

كلمة خليل ثابت بك : رئيس لجنة الاحتفال

حضرة صاحب العزة مندوب جلالة مليكنا المعظم ـ ملك وادى النيل

حضرات أصحاب السعادة الممثلين الرسميين لدول الشرق العربى

حضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والفضيلة والنيافة والمعالى والسعادة والعزة

حضرات السادة والسيدات

فى سهل من سهول هذا الشرق طاب هواؤه ورق ماؤه وصفت سماؤه وسقيت أرضه بماء التاريخ، شاء جيل من الناس فى سالف العصر والاوان أن يعربوا عن تقواهم وشدة تعبدهم فشادوا طائفة من المعابد والهياكل جمعت بين العظمة والجلال

والبهاء والجمال وصبرت على عاديات الدهر وصروف الايام فكانت أعجوبة من أعاجيب الزمان

فى ظل هذه الهياكل وفى الحدائق الغناء المحيطة بها والى جنب ينبوع رأس العين الذى يتدفق ماؤه من جوف الارض كذوب البلور ، نشأ فى أواخر القرن الماضى فى بيت اشتهر بالمروءة والنجدة والجود ومكارم الاخلاق ، فتى نحيل البنية واسع الخيال

وانفتحت عينا ذلك الفتى على هذا المنظر الرائع الحسن فى اطاره البديع من خضرة الارض وزرقة السماء فنفذ جماله الى شغاف قلبه ورسم فى مخيلته صورا من الحسن أخذ يصفها بشعر رقيق أطرب سامعيه وقارئيه فتوسموا فيه خيرا وأدركوا أن العناية حبتهم شاعرا

غير أن جو الحياة فى بلاد الشام فى ذلك العهد كان خانقا لحرية الفكر والرأى والقول . فضاق الشاعر الشاب ذرعا بتلك الحال وهجر وطنه وأهله الى مصر ـ مصر العزيزة ملجأ الاحرار وملاذ الباحثين فى الشرق فى ذلك الحين عن الحرية ـ حرية الفكر والرأى والقول

جاء الى مصر الوطن الثانى لكل عربى فى اقطار العرب ومهاجرهم فلقى أهلا بأهل ووطنا بوطن

وأشرف الشاعر على النيل العظيم فوقف على ضفافه خاشعا وزار الاهرام فأكبر عظمتها وأصاب من رعاية أهل هذا البلد الكريم ما أطلق لسانه فأخذ يغرد على ضفاف النيل بمثل ما لم يغرد به على ضفاف القاسمية ويطرب العرب فى أوطانهم ومهاجرهم

هذا أيها السادة والسيدات هو خليل مطران شاعر الاقطار العربية وهو الذى اجتمعنا اليوم لتكريمه وتقدير خدمته للشعر والادب كرجل كريم وشاعر عظيم وأديب كبير قضى العمر فى خدمة الادب والشعر واتصف بنبل الاخلاق والفضل وستسمعون أقوال الخطباء والشعراء فى وصفه ووصف أدبه وشعره

أيها الشاعر العظيم ، أيها الاريب الحكيم ، أيها الصديق الحميم ، هؤلاء نخبة

من صفوة أقطاب العرب وعظمائهم فى وادى النيل وسائر الاقطار العربية اجتمعوا اليوم للاعراب لك عن تقديرهم وتكريمهم فاهنأ بما لقيت وانعم بما أوتيت زادك الله من فضله ونعمته

ياحضرة صاحب العزة مندوب جلالة مولانا الملك المعظم . أرجو باسم لجنة الاحتفال وسائر حاضرى هذا الاجتماع أن ترفع الى مقام جلالة حبيب العروبة وناصر العلم والادب اسمى آيات الولاء وأبلغ عبارات الحمد والثناء على تفضله برعاية هذه الحفلة وشمولها بعطفه السامى أطال الله عمره وأعز به مصر والعروبة

واليكم ياحضرات السادة الكرام والسيدات الفاضلات ولا سيما حضرة صاحب المعالى وزير المعارف رئيس الحفلة وحضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة الخطباء والشعراء تقدم لجنة الاحتفال جزيل شكرها الخالص على تفضلكم بتلبية دعوتها

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة عبد الرزاق السنهورى باشا

حضرة مندوب مولانا المليك المعظم ـ سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أن أتقدم بأخلص فرائض الولاء، وأجمل عبارات الحمد، الى سدة مليكنا المعظم ، لتفضله بوضع حفلتنا هذه تحت رعايته ، وبايفاد مندوبه الكريم

كما أتقدم بالشكر الخالص الى حضرات من تكرموا بالحضور والمساهمة فى هذا اليوم التاريخى الكبير . وأنه ليسعدنى ويشرفنى أن أرأس هذه الحفلة التى أقيمت لتكريم شاعر عظيم من شعراء العربية ، عاصر نهضة الشعر الحديثة ، فصاحب هذه النهضة من مطلع فجرها الى بزوغ شمسها . شاعر ساير عصره خطوة خطوة ، فلم يتخلف عن الزمن الذى يعيش فيه ، ولم يقعد عن متابعة ما طرأ على الحياة من تطورات بعيدة المدى عميقة الاثر . بل لعله هو الذى سبق عصره ، وتخلف عنه الزمن . وهذه هى آية العظمة ، سواء تجلت هذه العظمة فى الفكر أو فى العلم أو فى الفن

وان فى تكريم النابغين والعظماء لدليلا على فيض من الحيوية . والامة التى



تصوير واينبرج

حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك
رئيس لجنة التكريم

تكرم عظماءها والنابغين فيها لا تدل بذلك على أن فيها عظماء ونابغين فحسب ، بل هي تقدم أيضا الدليل على أن فيها حياة وقوة . فهي لا تعيش بمعزل عن نابغيها ، وهي تستجيب لدواعي العظمة اذا هي دعتها ، وهي تخلط حياتها بحياة عظمائها ، تضفي عليهم تقديرا كلما أسدوا اليها يدا . والامة العربية ، اذ هي تكرم شاعرا كبيرا من شعرائها ، تثبت بذلك أنها جادة فى نهضتها وهى فوق هذا تعلن للعالم مرة أخرى ، باسم الشعر العربى العتيد ذى التقاليد الراسخة المجيدة والمستقبل المرموق، ان هناك ،الى جانب الروابط الكثيرة المتعددة ،رابطة أخرى مقدسة هى رابطة الادب العربى ، توثق مابين قلوب العرب جميعا

ونحن اليوم نحتفل بتكريم خليل مطران. وأذكر هذا الاسم مجردا عن أى نعت يعرفه الناس ،فهو فى غير حاجة الى شىء من التعريف . ولكنى أنا فى حاجة الى شىء من التخصيص . فان خليلا رجل متنوع الجوانب ، متعدد النواحى . فهو شاعر فى المقام الاول . ثم هو قطب من أقطاب المسرح العربى ، كتب لهذا المسرح وترجم . ثم هو بعد ذلك ، بل قبل ذلك ،رجل من رجال الصحافة القدماء ، عمل محررا فى جريدة الاهرام، ثم رأس تحريرها ، وشارك فى تحرير المؤيد واللواء ، وأصدر مجلة نصف شهرية ثم جريدة يومية . وهو بعد رجل من رجال الادب ، أتقن دراسة الادب العربى قديمه وحديثه ، وأتقن الى دراسة الادب العربى دراسة الادب الفرنسى . ثم هو الى جانب كل ذلك ، بل بالرغم من كل ذلك ، رجل من رجال الزراعة والاقتصاد والمال

والذى استبقيه من كل هذه النواحى هى ناحية الشعر . فهى الناحية التى كفلت له الخلود .سماه جيله شاعر القطرين. أما الجيل الحاضر فيضفى عليه شرفا أكبر من ذلك ، ويقول عنه انه شاعر يؤرخ فى مراحل الشعر العربى مرحلة حاسمة فى تطوره ، بدأت به واستمرت معه ، وبقى يحمل لواءها حتى اليوم

ومنذ فتحت عينى على الشعر العربى ، وأنا أقرأ لثلاثة من أكبر شعراء العربية هم : شوقى وحافظ ومطران . وعندما طلب الى أن أحضر هذه الحفلة ، وشرعت فى اعداد هذه الكلمة ، رجعت الى كتبى القديمة أستعيد فيها ذكريات الماضى .

فأعدت القراءة فى شعر هؤلاء الثلاثة ، وجال فى نفسى لأول مرة هذا الخاطر : ترى لو تأخر مطران ومن تابع مدرسته من الشعراء عن شوقى وحافظ ، أو لو تقدم شوقى وحافظ على مطران ومدرسته ، أكان حظ الشعر العربى يتغير ؟ ان مطران افتتح عصر التجديد فى الشعر العربى ،فهو كما قيل من فحول شعراء المعانى الذين يرتفعون بوحيهم الى سماء الخيال . وهذا فى نظرى تقدير صحيح لشاعرنا الكبير ، فان الذى يميز شعر مطران هو المعنى المبتكر والتصوير القوى، كما أن اللفظ الفخم الجزل هو الذى يميز شعر حافظ ، والموسيقى العذبة الشجية هى التى تميز شعر شوقى . ولكن الناس تستهويهم الموسيقى والالفاظ قبل أن يتنبهوا الى الافكار والمعانى . فكان من الظلم لمدرسة التجديد فى الشعر العربى، التجديد الذى قام على المعنى دون الموسيقى واللفظ ، أن تقف جنبا الى جنب مع المدرسة التى أعادت لنا مجد الشعر العربى القديم فى حلو الموسيقى وفخامة اللفظ . وكان شوقى وحده ـ كالمتنبى ـ كفيلا أن يملأ الدنيا ويشغل الناس . ملأ الدنيا فلم تتسع لشاعر آخر يقف الى جانبه ، وشغل الناس بالقديم عن الجديد . ولم يتمكن مطران هو ودعائم المدرسة الجديدة ،من مثل شكرى والعقاد والمازنى ،أن يلفتوا نظر الناس لفتا كافيا الى ما فى شعرهم من روعة التجديد ، وسمو المعانى ، وقوة الابتكار . وانصرف الناس يتغنون بشعر شوقى ، وهم معذورون فى ذلك ، فان موسيقى هذا الشعر وحدها فتانة تشغل عن كل شىء آخر

لهذا تساءلت : لو أن مطران تأخر عن شوقى ، أما كان حظ الشعر العربى يتغير ؟ وقد قصدت بذلك أن أقول : لو أن مطران أتى فى عصر كان الشعر القديم فيه قد دالت دولته ، وانقطع تأثيره فى نفوس الناس ، أما كن هذا أجدى على مذهب التجديد ، ييسر له أن يتمكن من العقول والقلوب دون مزاحم أومنافس؟

ومهما يكن من أمر ، فان التجديد الذى استحدثه فى الشعر العربى مطران والمدرسة التى تابعته فى هذا التجديد كبير الخطر فى تاريخ هذا الشعر . لهذا قلت وأكرر القول ان مطران يؤرخ فى مراحل الشعر العربى مرحلة حاسمة فى تطوره . وستسمعون ممن سيتعاقبون بعدى على هذا المنبر ، ممن هم أولى منى

بالتحدث فى هذا الموضوع فى اسهاب وتفصيــل ، مايدل على صــدق هذا القول . لذلك أرى واجبا على أن ألتزم الايجاز فيما سأذكره عن شاعرنا الكبير

يقول حافظ ابراهيم فى تقديره لمطران : « هو فى طليعة أولئـك الذين خرجوا من أفق التقليد ، وصدعوا قيود التقييد ، وأوسعوا صدر الشعر العربى ، للخيال الاعجمى ، وافسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث ، وطوفوا بسرد وقائع التاريخ ، ففتح بذلك فتحا جديدا شن فيه الغارة على أهل الحفاظ والتمسيك » . ويقول أديب آخر فى نفس المعنى : « أما من حيث المبنى فقد عرف أن يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييــد . فاحترس بصبغة العرب فى التعبير ، وأدخل أساليب الافرنج فى التأليف والتفكير » . ويقول شوقى عن مطران انه هو « المؤلف بين أسلوب الافرنج فى نظم الشعر وبين نهج العرب » .

فمطران اذن قد جدد فى الشعر العربى باعتراف الفحول من معاصريه الشعراء . وأهم خصائص تجديده هذا هو تأليفه بين أسلوب الافرنج ونهج العرب . وليس هذا العمل تجديدا فحسب ، بل هو عمل بلغ الغاية فى الجرأة والمخاطرة والمجازفة . قد يكون التأليف بين أسلوب الافرنج ونهج العرب معقولا فى ميادين أخرى غير الشعر . قد يكون معقولا فى الفلسفة وفى العــلوم على اختــلاف أنواعها . أما فى الشعر ، وفى الشعر العربى بالذات ، فالتأليف بين أسلوب الافرنج ونهج العرب ليس بالامر الهين . وان المؤلف ما بين هذين الاسلوبين فى الشعر العربى كالقابض على الجمــر ، اذا احترقت يده فلا يلومن الا نفسه . لذلك لم أستغرب رأى المنفلوطى فى مطران اذ يقول : « بياض معانيه فى سواد عجمته كالماس فى الفحم ، أكبر الناس نفقة استخراجه فأغفلوه » .

على ان ماعسى أن يراه قراء العربية فحما فى شعر مطران ، ينقلب ماسا وهاجا اذا هو ترجم الى لغة أجنبية . فان الترجمة تبرز نواحى القوة من هذا الشعر . فمطران شاعر يتميز بين شعراء العربية بقوة التصوير ، التصوير الذى يرجع الى العقل أكثر من رجوعه الى العاطفة . ومطران يتميز بين شعراء العربية بالوصف الذى أعانه على أن يدخل ضربا جديدا فى الشعر العربى هو الشعر القصصى .

ومطران يتميز بين شعراء العربية بسمو المعنى الذى يرتفع بالوحى الى سماء الخيال . ومطران يتميز بين شعراء العربية ، ولعله يبزهم جميعا ، بما يمكن أن يسمى بوحدة القصيدة ، فالأبيات فى قصيدته تسلسل ، يسوق أحدها الى الآخر فى غير تكلف ولا انقطاع . وكل هذه مزايا فى الشعر تبرز فى لغة أجنبية بروزها فى اللغة العربية . لذلك لم يغال كبير من الادباء ، وقد ترجم لمطران فى مجلة المقتطف ترجمة هى من أقوم ما وقفت عليه فى تراجم الشعراء ، حين قال : « ان مطران مثل عال لمنحى خاص متميز من نوع جديد فى الادب العربى ، نعتقد أنه خير مثل للادب العربى لتمثيله بين آداب الامم الاخرى »

سيداتى سادتى :

هذا هو خليل مطران شاعر العربية الكبير الذى نحتفل اليوم بتكريمه . ولعله يذكر حفلة سابقة أقيمت له فى سنة ١٩١٣ ، أى منذ أربع وثلاثين سنة ، احتشد فيها لتكريمه الامراء وكبار رجال الشعر والادب فى مصر ، فيقارن يومه بأمسه ، ويقول ما أشبه الليلة بالبارحة . ولعله يستيقن بعد ذلك أن رجل الفكر والادب غير رجل الاقتصاد والمال . لقد جمع مطران فى شخصه بين الرجلين . ولكن الذى كرمناه بالامس ، ونكرمه اليوم ، هو رجل الفكر والادب ، لا رجل الاقتصاد والمال . لقد حاول مطران ، وهو من رجال الفكر ، أن يكون من رجال المال . ولكن سلطان المال طأطأ رأسه أمام جلال الفكر ، وكتب الله الخير لشاعر العربية الكبير ، فانتصر فى نفسه جلال الفكر على سلطان المال

وأنتم يادعاة التجديد فى الشعر العربى ، هاقد ذهب شوقى الذى سحر الناس بشعره ، وفتنهم عن كل جديد . وقد ختمت بموت شوقى مدرسة الشعر القديم الكلاسيكى ، وأكبر الظن أن لن تقوم لها قائمة بعد موته . وجاء وقتكم أيها الشعراء المجددون ، فأقبلوا على التجديد بقلوب مطمئنة وأقدام ثابتة . وقد فتح لكم مطران ، امامكم وشيخكم ، باب التجديد واسعا ، فادخلوا منه ولا تتهيبوا ، فان الشعر العربى فى أشد الحاجة الى التطور والى التجديد

وأنت ياشيخ الشعراء المجددين ، جزاك الله خير الجزاء بما أسديت للشعر من

أياد ، وبما شققت له من طرق كانت غير ممهدة . فأثرت السبيل لمن أتى بعدك ، يقتفى أثرك ، ويحذو حذوك

أطال الله فى حياتك ، وأدامها بركة سابغة على الشعر والادب ، فى ظل مولانا الملك فاروق ، راعى الادب والعلم ، حفظه الله ، وأبقى عهده زهرة بين العهود

كلمة ابراهيم دسوقى أباظه باشا

قواف يزين الشعر حسن نظامها ... كما ازدان كأس بالحباب منضدا

وسبك يعيد اللفظ لحنا موقعا ... ويبدى لنا المعنى الخفى مجسدا

اسحرا ترينا أم صحائف كلما ... نقلبها وجها نرى عجبا بدا

فبينا هى الروض الذى تشتهى المنى ... تعاشق فيه النور والطيب والندا

اذا هى أنهار تقر عيوننا ... اذا هى نيران تثور توقدا

ما أجمل هذا الشعر وأعذبه وهو لشاعر العرب صديقنا مطران ، يثنى به على شاعر آخر ، وهو يصدق على شعره كل الصدق

كانوا ثلاثة ألقى الشعر بين أيديهم عنانه ، وأسلم لهم زمامه حقبة طويلة من الزمن ، ليسيروا به قدما ، نحو الكمال المطلق ، والجمال المنشود : شوقى ، وحافظ ، ومطران

أما الاولان فقد استأثر بهما التاريخ ، واختارهما الله لجواره . . . وأما مطران – مد الله فى عمره – فهو أمة وحده . نسأل الله له امتداد الحياة لتمتد الحياة الادبية لهذه الامة ، والشرق العربى ، على هدى شعره الرفيع ، وتوجيه فنه العالى

نبت فى بيئة كريمة فشب سمح النفس وديعا ، عزيز الجانب ، صافى السريرة يتأبى بكرامته عن مواطن الريب ، ومظان الملق والرياء

لم يرض لنفسه أن تحيد عن الذروة العالية التى ارتضاها لها ، لانه تعمق حقائق الحياة والاحياء ، وتألف المواطن الشريفة ، الجديرة به فالتزمها ، وتجنب ما يتنافى معها . فما سمعنا أو قرأنا له شعرا فى موضوع لا يتجاوب مع عاطفته الصحيحة ، أو تفكيره السليم . . .

ومن هنا نأى شاعر القطرين عن مجاملة من لا يستحقون أن ينثر عليهم درره الروائع ، وآياته البينات .. لانه يقدر مدى ما ينتابهم من غرور وخيلاء ..

وهكذا ظل كريما مع نفسه ومع الناس، ويندر أن نجد هذا الطراز بين الشعراء الا من عصم ربك

وهناك ناحية جديرة بالتسجيل فى سيرة هذا الرجل العظيم ، فهو يتمتع بتقدير عام ، وتوقير كامل ، بين أنداده من الشعراء المفتونين بفنه وفنهم .. كشوقى وحافظ ، ومحرم ـ رحمهم الله ـ .. والعقاد ، والجارم ، والكاشف

وما رأيت من يختلف فى هذا التقدير ، والتوقير ، والحب لشخصية هذا الشاعر الكبير .. وتلك نادرة تستدعى الاكبار والاجلال ، لان المنافسة بين الشعراء لا تدع مجالا ـ مهما دق وضاق ـ لتبادل المحبة والتعاطف .. وربما كان هذا الضرب من المنافسة فى الفن ، وتصاول المواهب أحد ألوان المنافسات وأشدها حساسة ورهافة .. ومثل هذا الحب والتقدير الذى يلقاه مطران من زملائه .. يلقاه أيضا من جميع الهيئات السياسية ، والاوساط الاجتماعية فى مصر والشرق العربى بأسره ..

انعقد الاجماع على حب الرجل ، والاعتراف بفضله ، وخالد مآثره على اللغة، والادب ، والشعر ، والاخلاق .. وان هذا الحفل الحاشد فى هذا المكان الكريم الذى ضم أئمة الشعر ، وأعلام البيان ، من مختلف بلاد العالم العربى ، لدليل صدق ، وشاهد حق على هذه الظاهرة التى أحدثكم عنها .. وتلك نعمة من نعم الله يمن بها على عباده العاملين المخلصين ، الذين لا يرجون من وراء عملهم جزاء ولا شكورا

ولهذه الظاهرة من الحب والرضاء اللذين استحقهما الشاعر الكبير ، من لداته وأصحابه ، وسائر الطبقات،صلة وثيقة بفنه ومواهبه.فتلك نتيجة لهذه من غير شك .. فلو أن فى هذه الثروة الضخمة التى يضيفها مطران كل يوم الى تراثنا الشعرى والادبى شائبة أو مثار خلاف فى تقديرها ووزنها ، لكان ذلك سبيلا تتسلل منه القالة والرأى المختلف فى فن الرجل ومواهبه ..

قرأت كتاب « شعراء مصر » .. لصديقنا العظيم والشاعر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد فوجدته يقرر .. ان مطران شاعر ينفرد بالتجديد بين سائر شعرائنا المعاصرين ، ويقول .. ان مطران لا حيلة له فى هذا التجديد .. لانه بسبب ثقافته وشعره المتدفق كمن يسير مع التيار لا كمن يواجه التيار ..

وفى رأيى أن الشاعر المجدد تعنيه الفكرة ، ويتصباه الموضوع .. فربما أبعده هذا عن جمال الاسلوب ، واشراق الديباجة ، وطلاوة التعبير .. لان هذه وسائل الصنعة فى يد الشاعر الصناع الذى لا يحفل بالفكرة والمعنى كثيرا .. ولكن مطران

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

ولا حرج على ، ولا تثريب عليه ، حين أذكره بشعره فى الغزل ، أيام كان يمرح فى مسارح الشباب ، مع الامثلة الاخرى التى سأسوقها برهانا على استطاعته الجمع بين الفكرة العميقة ، والاسلوب الرشيق ، فى قوة الصنعة ، وخصوبة الطبع ..

وهو فى غزله يضع نفسه فوق الميول والعواطف التى يغالى فيها الشعراء .. لانه شاعر لاينسى وقاره أبدا ، وما ينبغى أن تتحلى به شخصيته من كرامة واباء ، ولا يهمه فى هذا الصدد أن يطابق القول العمل .. وانما هى خواطر تنثال عليه انثيالا ، فيجد فى قلمه متنفسا مريحا ، وفى قرطاسه ميدانا فسيحا

سررت فى العمر مره وكنت أنت المسره
كانت حياتى روضا وكنت فى الروض نضره
وكان غصنى شبابا وكنت فى الغصن زهره
وكان حسنك يوحى الى يراعى سره
وكان لحظك يهدى الى بيانى سحره
وكنت للروح روحا وكنت للعين قره

قد كان هذا ولكن مضى وأخلف حسره
فبت لا شىء الا حالين : ذكرى وعبره

وقوله أيضا فى باب الغزل تحت عنوان « القسم »

بالله بارىء حسنك المعبود بهواك ان هواك روح وجودى
بالفرقدين الباهرين تلازما تحت الجبين لشقوة وسعود
بالوجنتين كجنة أزهارها بيض اذا هى قانئات ورود
بالمبسم العذب المذوب شهده فى نور كل تبسم مشهود
أقسمت ماأشركت فيك ولم يكن لى فى الهوى دين سوى التوحيد

بهذا البيت اعترف المطران بالاسلام دين التوحيد .. فاشهدوا عليه .. ثم انتبهوا الى البيت الجميل الآتى :

يا علة القلب الصحيح وصحة الـ قلب العليل وأجر كل شهيد
كذب الوشاة بما ادعوه وانني أوفى الانام بذمتى وعهودى
لا تمكنيهم من سعادتنا التى كانت قذى فى عين كل حسود

هذان نموذجان من شعره فى الغزل ، وان السابح معه فى آفاق فنه الرحب لتأخذه الحيرة أى شعره يختار ، وأيه يدع .. فكله معجب مطرب ، يأسر اللب ويستهويه مما يضطر المتمثل به أن يجتزىء فى عرض ألوان شعره .. وسأكتفى بما علق بذهنى من روائعه وآياته . ويقول عن حروب نابليون :

أمات أولئك الجند الكرام ولم يثبت لهم أثر مقام
سوى قول الرواة حيوا ليقضوا منى رجل كبير ثم ناموا
تفانوا فى بناء اسم عظيم وما أسماؤهم الا الرغام
يسخر ربك الدنيا لفان له ولربه فيه مرام
وقد يلقى محبته عليه فتوشك أن توحده الانام
كذاك أحب نابليون جند هم بفخاره نهضوا وقاموا
أبالس لا ترد ولا تلاقى ملائك لا تصد ولا تضام

أعـزة يوم « اسـترلتس » كانوا قليلا والعـدى كثر ضـخام
تلاقوا مقبلين عـلى اشتياق ولكن لا وداد ولا سـلام
وكانت قبلة الاشـواق فيهم ضرابا لا تقـر عليـه هام

ثم نجده يصور أطماع نابليون الجبار فى صورة ناصعة فيقول :

قالوا لنابليـون ذات عشية اذ كان يرقب فى السماء الأنجما
هل بعد فتح الارض من أمنية فأجاب أنظر كيف أفتتح السما

وحينما كنا فى مراحل التعليم الاولى كانت قصيدته « الجبل الاسود » من خير ما نباهى به فى محفوظاتنا المختارة : تلك القصيدة التى مطلعها :

طغت أمة الجبـل الاسـود على حـكم فاتحها الأيد
وهبت منيخـات أطـوادها نواشــز كالابل الشرد
وأبلى النســاء بلاء الرجال لـدى كل معتـرك أربد
نسـاء لدان القـدود لهن م خدود كزهر الرياض الندى

الى أن يصف أبطال الترك :

وما الترك الا ليوث الحـروب رضيعو لظـاها من المـولد
اذا ألقحــوها الدماء فلا تناج سـوى الفخر والسؤدد

وأذكر انى شهدت له يوم نصر عظيم ، عندما اجتمع أكبر الشعراء لرثاء رب السيف والقلم محمود سامى البارودى فى الاربعين .. وأنشد حافظ ابراهيم اذ ذاك قصيدته المشهورة التى مطلعها :

ردوا على بيـانى بعـد محمود انى عييت وأعيا الشعر مجهودى
ما للبلاغة غضبى لا تطاوعنى وما لحبل القوافى غير ممـدود

الى أن قال :

كم وقفـة لك والابطال حائرة والحرب تضرب صنديدا بصنديد
نسخت يوم كريد كلمـا نقلوا فى يوم ذى قار عن هانى بن مسعود

الى أن قال يعلل فقد البارودى لبصره :

أغمضت عينيك عنها فاستهنت بها قبل الممات ولم تحفل بمولود

وظن الحاضرون أن هـذا هو منتهى الاجادة .. حتى وقف مطران فأنشـد خالدته العصماء :

مصابك حيـا عرا جعفـرا وخطبك ميتـا عـرا قيصرا
رزئنـاك لم يغن عنك البيـان ولم يعصم الجاه ان تقبرا
وهذى النهـاية عقبى النهى وذاك الثراء لهـذا الثرى

الى أن قال يعلل فقد البارودى بصره :

اذا وسع الكون فكر امرىء فلا بأس فى الطرف أن يحسرا
على الشمس أن تهدى المبصرين وليس على الشمس أن تبصرا

فبهر شعره السامعين وخرجنا ولا حديث للناس الا الشـاعر الخليـل الذى كسب المعركة وسارت القصيدة مثلا على كل لسان وكان ختامها عظة بالغة

فقـل صامتا وأشر مائتـا لمن تاه فى الارض واستكبرا
علام تبـاذخ هـذى الجبال وفيم تشامخ هـذا الورى

هذا يوم مشهود لشاعر القطرين فى مصر موطنه الثانى .. وكم له فى موطنه الاول من عامرات القصائد .. تلك قلعة بعلبك الشامخة بفاره بنائها :

ايه آثار بعلبك سـلام بعد طول النوى وبعد المزار
ذكرينى طفـولتى واعيدى رسم عهد عن أعينى متوارى

ثم يصف فى روعة ودقة بريشته الملهمة تلك الطيور الغادية الرائحة بين هذه الآثار الخالدة التى تنتظم الصور المنحوتة من الصخور على أشكال الاسود

مثل القوم كل شكل عجيب فيه تمثيل حكمة واقتدار
صنعوا من جماده ثمرا يجنى م ولكن بالعقل والابصـار
وضروبا من كل زهر أنيق لم تفتها نضـارة الازهار



ابراهيم دسوقى اباظه باشا
وزير المواصلات



انطون الجميل باشا



وطيورا ذواهبا آيات — خالدات الغدو والابكار
وأسودا يخشى التحفز منها — ويروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب — باديات الانياب غير ضوارى
فى عرانينها دخان مثار — وبألحاظها سيول شرار

أيها السادة أشعر بأنى أطلت فأرجو منكم عفوا ولكننى مولع بشعر مطران كل الولع ولو أطعت نفسى ، أو أطاعنى الوقت ، لتكلمت ساعات بل أياما ، ثم شعرت بالتقصير . وفى الحق أيها السادة .. لم ولمن أقيم هذا المهرجان ؟

هل اقمناه تعظيما للادب وسحر البيان ؟ أم نقيمه احتفالا بالفضل ، والعلم والعرفان ؟ أم نقيمه اعجابا بالخير والبر والاحسان ؟ وتكريم الاخلاق الفاضلة ، والرجولة ، والكرامة فى بنى الانسان ؟ أم نقيمه لكل هذا مجتمعا فى رجل الوفاء والمروءة والادب العالى شاعر العرب خليل مطران ؟

أما وهذا هو المعنى المقصود المراد فأكرر اعتذارى عن الاسهاب كما أكرر التهنئة للصديق الكريم ، والشاعر الملهم العظيم .. والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة محمد على علوبة باشا

حضرة صاحب العزة مندوب جلالة مولانا المليك المعظم

سيداتى . سادتى :

منذ أربعة وثلاثين عاما أقيم بالجامعة المصرية حفل تكريم لخليل مطران . وفى هذا الحفل وقف شاعرنا اسماعيل صبرى ، يكرم خليلا ، ويقول :

قلم تصدر الحقائق عنه — حاليات فى أجمل الابراد
ولسان يمى يدبره فكـ — ـر كبير النهى كبير المراد

ونحن الان ، وقد مضت حقبة طويلة من الزمن لا نزال نرى مطران كما رآه اسماعيل صبرى . ونرى فى هذه الابيات صورة صادقة لشعره ، وعقله ، وقلبه . أما شعره فحقائق كريمة . لا كذب فيها ولا اغراق . ولا غلو ولااسراف

وفى هذه الحقائق جمال ، لانها تحلو بالمعنى الجميل ، واللفظ الجميل . ومن بينات هذا الشعر وآياته أن يدبره ، ويحكم تدبيره عقل ذكى ، وقريحة وقادة ، وأمل بعيد وقلب كبير

ولا أدرى لهذا أكان شعر مطران صورة لخلقه، أم كان خلقه صورة لشعره. تقرأ الشعر فان وجدته عف القول ، هادىء الطبع ، قوى الفكرة ، بعيد الخيال، ثائر الآمال ، وثاب المعانى ـ حكمت حكما حاسما أن هذا شعر مطران

واذا أنست الى مطران ، وتحدثت اليه ، وتحدث اليك ، وجال بينكما الحديث وطال ـ رأيت تلك الصورة الحية من خلقه ، التى قرأتها فى قصائده ، فانتقلت معانيها ، ومراميها من الشعر الى الحديث ، الى الكتابة ، الى الخطابة

واذا كان من بدع الشاعر أن يتصور ، وأن يتخيل . وأن يغرب فى التصور والتخيل الى درجة أن يحمل قارئيه ، أو سامعيه الى عالم آخر ، بعيد عن عالمهم والى بيئة أخرى ، لا توافق بيئتهم ، لانها قائمة على سراب من الخيال ، فان من بدع شاعرنا أن ينتقل بك الى حقائق ، بعيدة عن التصورات والتخيلات . ومن بدعه أيضا أن يحمل اليك هذه الحقائق ، فتتأثر بها وتطرب ، لانها خرجت من القلب ، وما خرج من القلب حل فى القلب ، ولانها وحى نفسه،ونفسه حساسة، مشرقة الجبين باسمة المحيا . ولانها قيثارة العصر الذى نعيش فيه ، يوقع عليها ألحان الحزن والاسى فيبكينا ويشجينا ، ويوقع عليها أنغام الفرح والغبطة ، فتشدو بها القلوب وتهفو اليها الافئدة

وكأن الله قد أراد أن تطلع فى وقت واحد شمسان : شمس حياة جديدة ، يجاهد فيها العرب عن حريتهم واستقلالهم ،ويدفعون عن كاهلهم أثقال الذل والاستعمار . وشمس حياة خليل مطران . من نورها يستضيئون فى ظلمات هذا الجهاد القاتم الكثيف ، ومن وحى حرارتها يستحثون الخطا ويحفزون العزائم ، ومن قوة لألائها يستمدون القوة ، فتذكى فى نفوسهم روح الجد والتضحية والثبات

وكأن الله قد أراد بحياة خليل مطران خيرا . اذ زرع نبتها فى الوقت الذى

آذنت فيه شمس الحرية بالطلوع . فلم يشأ أن تسبق حياته هذه الحياة . ولم يشأ أن يعيش مطران فى بيئة أخرى ، ترضى الظلم ، وتستكين الى عسف الحاكم وجبروته . ولو أن الامور سارت على غير هذا السنن ، وقضى الله بغير هذا القضاء لما كان لمطران هذا الاثر ، ولا كان له هذا الضياء . وما كان لنا منه هذا التراث الكريم ، الذى نتحدث الآن عن بعض آثاره ، ويصف النثر والشعر فى هذا الحفل بعض آياته . وعما قريب ستصدر كتبه ومؤلفاته ، وهى كثيرة ضخمة، وحينذاك تدركون أن حكمة الله بالغة وله الحمد على ما قضى وحكم . كان خليل أحد ثلاثة يقرضون الشعر ، وهم لا يزالون بين الكتب والدرس: شكيب أرسلان والياس صالح وخليل مطران

وخرج الثلاثة من المدرسة ، فسمعوا صيحة من ينادى :

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب » وتأثر خليل بهذه الصيحة ، فخفق قلبه بقصيدة ، يدعو فيها الى الحرية والاستقلال . وكانت خالية من التوقيع . وعرف الحاكم أنها من صنع خليل مطران ، فضيق عليه الخناق ، حتى قيل انه دبر فى سبيل الكيد له ، والانتقام منه . ورأى الخليل أن يغادر وطنه الى بلد آخر، يجد تحت ظلاله ما يفسح له مجال القول ويردد فيه صدى ما فى نفسه ، ويخدم العروبة بما يجيش به صدره من أعمال وآمال . فارتحل الى باريس، وفى طريقه عاج بالاسكندرية ، فعرف مصر، وعرفته مصر ، واحتضنته فترة من الزمن، هى بضع ساعات ، كان له فى نفسه أجمل الذكريات ، اذ عاد اليها ، وسكن الى ذويها، وشرب ماء نيلها ، واستظلته سماؤها ، وسطعت عليه شمسها ، فأحبها ،وأحبته . عرف فيها البلد العربى الطيب ،الذى يسكن اليه الجميع ، والعرب وحدة متماسكة ، متراصة كالبنيان المرصوص ، كل البلاد بلادهم ، وكل الاوطان أوطانهم ، وكلهم اخوة كرام ، يغذيهم دم العروبة ، وتجمعهم وحدة اللغة ، والثقافة ، والدين

وعرفت فيه العربى ، البار ، الابى ، الطموح ، الوفى ، فأكرمته ، واعتزت به ومنحته الجنسية المصرية ، وها هى ذى اليوم تحييه ، وتكرمه ، وتنشر بين الناس

تاريخ حياته ، بل مأثور خفقاته . وهي حياة تمتلىء بجلائل الاعمال ، وخفقات تعبر عن احساس أمة كاملة ، أمة العرب الامجاد . احساس أمة تبغى الحياة كما تريدها ، ولا تريد الا أن يكون الناس جميعا أحرارا ، كرام النفوس ، أطهار القلوب ، يعيشون فى طمأنينة وسلام ، فى ظلال المودة ، والرحمة ، والمساواة ، والاخاء

كان خليل أحد ثلاثة يقرضون الشعر فى المدرسة . ولما خرج الى الحياة ، وعركها، وسبر غورها ، كان أيضا أحد ثلاثة يجودون الشعر: شوقى، وحافظ، وخليل

ولأمر قضاه الله وقرره : لم يبق من الثلاثة الأولين الا خليل ، ولم يبق من الثلاثة الآخرين الا خليل

أما شكيب ارسلان ، وأما الياس صالح ، فقد ودعانا الى الحياة الاخرى ، وأما شوقى وحافظ فقد ساقهما القدر الى هذا المآل المحتوم

وقد يكون هذا الامر لخيرنا ، فقد شاء تسامت حكمته ألا يحرمنا من هؤلاء الثلاثة الاولين ، ومن هؤلاء الثلاثة الآخرين دفعة واحدة،حتى لا يكون المصاب فيهم جما جسيما ، وحتى لاتكون فجيعتنا بفقدهم مريرة أليمة . فأبقى خليلا بيننا ليكون عنوان هؤلاء الذين فقدناهم ، ونكبنا بفقدهم ، وأبقى خليلا دون غيره ليوقع على قيثارته الحزينة الباكية دمعة الحزن والاسى على فقد هؤلاء الاعلام،ونحن نعرف فى قيثارة مطران فوق أنها بالغة الشجو والانين ــ نعرف أنها بالغة فى الوفاء . ونفثة الوفى أكثر ما تكون تصويرا للحزن ، والاسى والالم . وهل رأيتم كيف رثى مطران شوقيا وحافظا ، وشكيبا ؟ وكيف كان رثاؤه مبكيا موجعا لانه رثاء شاعر أبدع الخيال والوصف ورثاء رجل عرف معنى المودة والوفاء

ولعلنا فى هذه المناسبة، مناسبة ذكر شوقى، وحافظ ،ومطران، نذكر ما بسطته كتب الأدب من موازنات بين المتنبى، والبحترى، وأبى تمام، وانهم أطالوا فى هذه الموازنات وجودوا، وحكموا للمتنبى بأنه شاعر الحكمة والمثل ، وللبحترى بأنه

شاعر الخيال والغناء ، ولابى تمام بأنه يغوص وراء المعانى الدقيقة ، ويقيسها بدليل المنطق والعقل . وليس الآن فى مقدورى أن أعقد هذه الموازنة بين شوقى ، وحافظ ،ومطران ، فهذا يتطلب شيئا من الجهد والعناء ، ويتطلب أن تقرأ ما خلفه خليل مطران ، وقد خلف الشيء الكثير ، ولكنه يعتزم طبعه واصداره . وحين يتم ذلك ، وأرجو أن يكون فى القريب العاجل ـ أهيب بأدبائنا المعاصرين ـ وهم والحمد لله كثر ـ أن ينشروا بين أيدينا هذه الازاهير من شعر شوقى ، وحافظ ، ومطـران ، وأن يحكموا لكل بمـا حباه الله من حسن وروعة وبيـان . والذى أستطيع أن اتعجل الحكم عليه هو ما أعرفه فى صفات مطران . فقد عرفته ،وخبرته فوجدته خليلا صديقا وفيا . ووجدته شاعرا وادعا هادئا ، لا يؤذى ، ولا يهجو . ووجدته صدوقا ،يزن قوله بميزان الحق والعدل ، ولا يكذب جزاء غنم من مال أو وظيفة ، أو جاه. ووجدته محسنا كريما ، يجود بما ملكت يداه ، لا تدرى يساره ماذا فعلت يمينه . ووجدته فى كل أدوار حيـاته فقيرا الا من نفســه ، فهو غنى بخلقه ، هو به ذو ثروة ويسار

سيداتى . سادتى :

اننا نكرم اليوم شاعرا ، وأولى بنا أن نكرم هذا الشاعر بشعره، فنتلو عليكم بعض صوره ، وأنغامه ، وقوافيه ، فتروا فيها وحى شعوره ، وتروا فيها صــدق هذا الشعور ، فتفرحوا وتطربوا ، وتحسوا بعد ذلك أن شاعرنا جدير بالتكريم والتقدير

ولو أوتيت شعره ، أو بعضا منه لنثرته بين أيديكم ، ووصلت به الى مسامعكم واكتفيت بهذا القدر ، وهو فى الحفاوة والتكريم أصدق قولا ، وأقوى بيانا

واكتفى الآن ببضعة من هذه الابيات :

يقول مطران فى حرب طرابلس وايطاليا :

يا أمتى حسبنــا بالله ســخرية	منا ومما تقـاضى أهلهـا الذمم
هل مثل ما نتباكى عنـدنا حزن	وهــل كما نتشاكى عنـدنا ألم

ان كان من نجـدة فينا تفجعنـا فليكفنا ذلنـا وليشفنـا السـقم
تمتعـوا وتملـوا ما يطيب لـكم ولا تزعكم محـاظير ولا حـرم
أو اعلموا مرة فى الدهر صالحة علما تؤيده الافعـال والهمم
بأى جهـل غـدونا أمـة هملا وأى عقـل تولت رعينـا الامم

ويقول :

أريت من كان يرمينـا بمنقصـة أنا بنـو بجـدة الافلاح ان نرم
وأننـا القـوم نستبقى مفاخرنا حتى تواتينـا الاقـدار من أمم
وان ما بـين ماضينـا وحاضرنا من العـلاقة حبـلا غير منفصم
وأننـا أمـة تهـوى مواطنهـا حتى على الذكر من عاد ومن ارم
وأن كل بيـان طـوع خاطرنا ونحن أهل بيان السيف والقلم
وأن كـل فتى منـا بمفـرده شمل جميع من الآداب والشيم
وأننا لو تآلفنـا لمـا عجـزت بنا النهى عن مقام فى العـلا سنم

أرأيتم كيف خاطب مطران العربى الأبى أمة العرب الاباة ؟ وكيف هـز مشاعرها ، حتى تهب وتصحو ، وتأخذ مكانتها بين الامم ؟

ثم هل رأيتم كيف أنه فاخر بعروبته ، وأننا أهل بيان السيف والقلم ، وأن كل فرد منا جمع من الآداب والشيم ، وأننا لو تآلفنا لطاب لنا العيش ، وتناهت الينا أسباب المحامد والمعالى ؟

ويقول :

يا مصر دار السـعد والهنـاء ومهبط الاسـرار والايحـاء
عليك من هـذا المحب النـائى سـلام قلـب ثابت الـولاء
يهـواك فى السراء والضراء

ويقول :

حبب الفقـر الينـا منـك احسـان شريف
فاشـتهى الموسر منـا انه عـاف يطـوف

وفى هذه الابيات نرى كيف كان مطران وفيا لمصر ، يهواها على القرب والبعد وفى السراء والضراء . واكرم بهذا الهوى ! لانه صادق ، يصدر من قلب كبير ، واكرم بذاك الوفاء ! لانه جميل ، يصدر من خلق كريم . ونرى صورة من حبه للخير والاحسان . فى سبيل هذا الاحسان يؤثر الفقر على الغنى ، وفى سبيله يشتهى الموسر أن يكون فقيرا يسأل الناس

ذلكم — سيداتى ، سادتى — خليل مطران . وتلك صورة من شعره ، ومن خلقه . فان قرأتم فى شعره نغما حلوا ، ولحنا عذبا فاقرأوا فى خلقه مثلا فى العروبة وحب الوطن ،و مثلا فى صفاء النفس وانكار الذات ، ومثلا فى المروءة والوفاء

ولا شك اننا حين نقرأ شعره نطرب له ، ونضعه فى مكانه بين الشعراء النابهين المجودين . وحين نقرأ خلقه ، نكرمه ، ونضعه فى مكانه بين الرجال الكرام العاملين

فاهنأ ياخليل بتكريم العروبة لك

ولتهنأ بك العروبة شاعرا فحلا ، ورجلا كريما

كلمة انطون الجميل باشا

ما أعذب الذكريات ، بل ما أوقعها فى حفلات التكريم ! أليس الادكار قوام هذه الحفلات ، بل الموحى بها ، والداعى اليها ؟ فنحن اذ نقيمها نقول للمكرم اننا نذكر ونقدر ما قام به من أعمال ، وما له من مآثر ، فنحتفى به ونكرمه . والذكر للانسان عمر ثان . . .

عندما دعيت الى الاشتراك فى هذه الحفلة لتكريم صديقنا وأستاذنا خليل مطران عادت بى الذاكرة الشرود الى الماضى ، ورجعت بى القهقرى الى عشرات السنين ، فعرضت أمام مخيلتى مواكب الذكريات الطيبة متعاقبة ، بألوانها الزاهية ، وهمسها اللطيف ، كأنها أسراب من الحمام الأليف ، يتماوج ريشه بكل لون طريف ، ويسمع لأجنحته حفيف وأى حفيف . . وأنا أرى — بعين الخيال أو عين

الذاكرة ـ فى كل موكب من هـذه المواكب خليلنا العزيز فى مظهر من مظاهر حياته ، وحوله هالة من نور ، ولفيف من أترابه ولداته

وأول ما نرى بعين الخيـال موكبا ما أروعه من موكب ! جمع جمـال الطفولة المرحة البريئة ، وعظمة الآثار الفخمة الرائعة ، هذه بعلبك بهياكلها الخالدة :

خرب حارت البرية فيها ــ فتنة السـامعين والنظـار
معجزات من البنـاء كبار ــ لأناس ملء الزمان كبار

ونرى بينها الفتى خليلا

نزقـا بينهـن غرا لعـوبا ــ لاهيا عن تبصر واعتبـار
مستقلا عظيمها مستخفـا ــ ما بهـا من مهـابة ووقار

وهو يمرح ويلعب بين قريبات له من عمره ، ولكن « صويحبة » غريبة عن الاهل تصرفه عنهن ، فينكر القربى ويجحدها ، لان هذه الفتاة الغريبة :

ضحاكة كالنور فى الزهر ــ رقاصة كالغصن فى الوادى
كرارة كنسيمة السحـر ــ ثرثارة كالطائر الشـادى

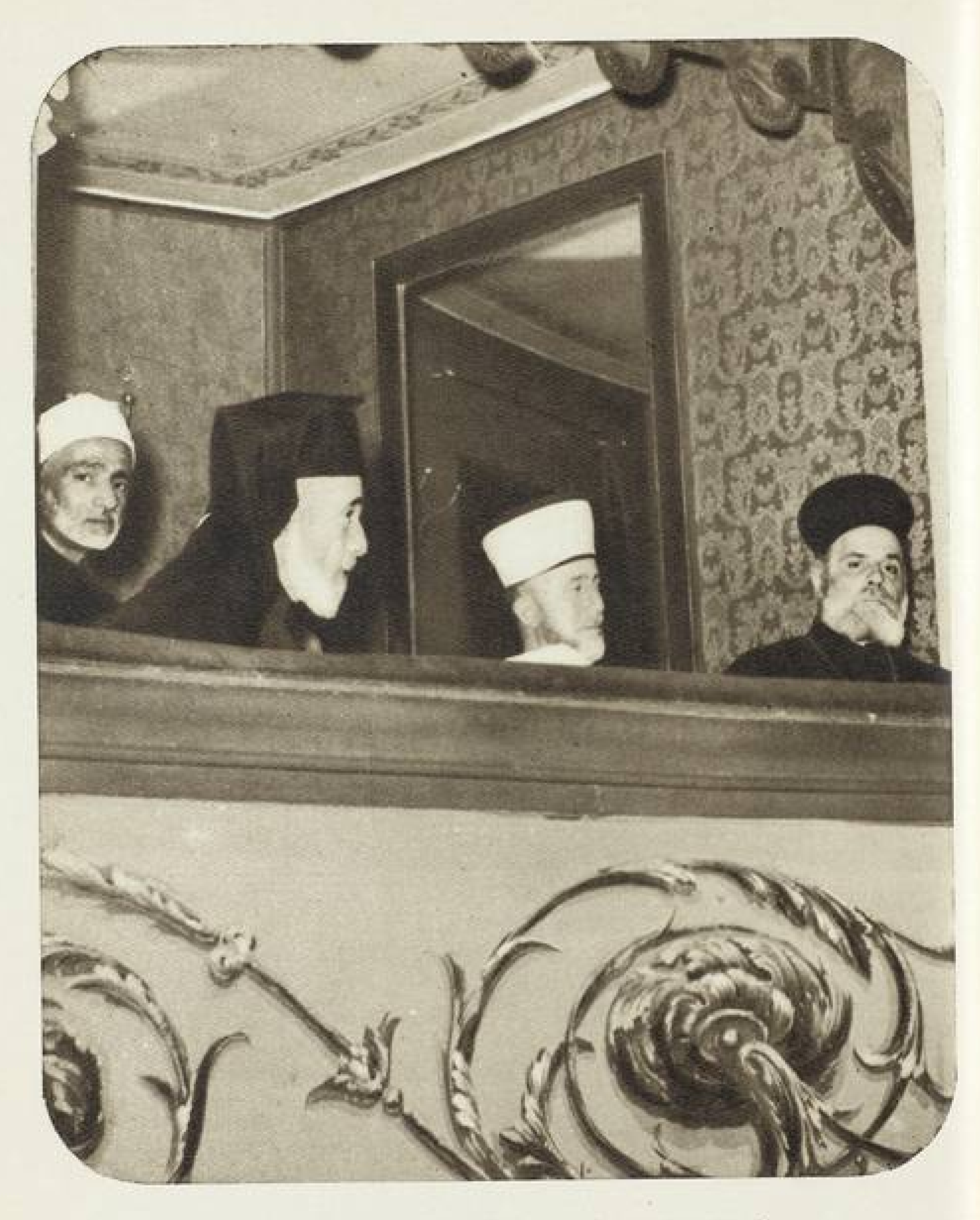
فتتفتق نفس الفتى بالشاعرية ، بين جمال المكان وحسن صاحبته :

حسـن تملـكنى فأدبنى ــ ماشاء فى قولى وفى فعـلى
وبمثل لمح الطرف أكسبنى ــ خلقا وعلمنى على جهـل

وشب الفتى ، وتاقت نفسه الى الحرية ، فهجر تلك المغـانى ، تاركا حسناءه وماكان يخيم على تلك الربوع فى ذلك العهد من الظلم والتضييق

وسرعان ما يمر هـذا الموكب ، ويقبل موكب آخر تتغير فيه المناظر ، ولكن محاسن الطبيعة وروعة الآثار لم تتغير : فهذا وادى النيل بدلا من قمم لبنان ، وهذه أهرام الفراعنة بدلا من هياكل بعلبك ، فينزل الشاعر :

بلدا من حيائه دعة الـوا ــ دى ومن كبريائه الاهرام



فى المهرجان الكبير فى دار الأوبرا الملكية فى القاهرة

المقصورة التى خصصت لكبار رجال الدين . ويرى فيها من اليمين إلى اليسار : سيادة الأرشمندريت شنيارة المستشار البطريركى لطائفة الروم الكاثوليك فى القاهرة ، وسماحة السيد امين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر ، وسيادة المطران نقولا عبد الله مطران أكسوم (عن طائفة الروم الارثوذكس) وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر

وقد بدأ فيه الجهاد القومى والجهاد الصحفى ، فنرى « خليلا » مراسلا « للاهرام » فى العاصمة يوم كانت « الاهرام » تصدر فى الاسكندرية ، ثم أتمثله على كرسى رياسة التحرير الذى أتشرف بالجلوس عليه

نراه وقد أنشأ فيما بعد « المجلة المصرية » يفتح صفحاتها لابواب جديدة فى الأدب ، فتصبح ميدان حملة الأقلام فى ذلك العهد ، وتظل طيلة ثلاث سنوات مرآة البيان الصافى والأدب الرفيع

نراه يصدر « الجوائب » قرابة خمس سنوات ، يخوض فيها غمار السياسة مناهضا للاحتلال ، مناديا بالاستقلال

نقرأ حملاته فى « المؤيد » ثم فى « اللواء » ونجده مناصرا للحزب الوطنى فى جهاده ، وصديقا لمؤسسه مصطفى كامل ، وخدنا لخلفه محمد فريد

نسمعه من وراء سجف هذه الحقبة البعيدة يتفجع على مصطفى كامل ويناجيه فى قبره قائلا :

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها   وأرى ترابك من حنين قد هفا
وكأننى بالقبر أصبح منبرا   وكأننى بك موشك ان تهتفا
يا أخلص الخلصاء أبكى بعده   كبكاء مصر تحرقا وتلهفا

ثم يمر فى هذه الخيالة موكب آخر من مواكب الذكريات ، وقد سار فيه الخليل الأديب الظريف ، والرجل الوفى ، والمحدث اللبق المرح ، صاحب العقل الراجح ، والقلب الكبير ، لايبارى عقله فى فطنته وذكائه ، الا قلبه فى مروءته ووفائه . وهو ـ على ما هو عليه فى علاقاته بالناس من لين العريكة ـ شديد المراس قوى الشكيمة مع خصوم قضية البلاد . عرفه عشراؤه فى الحالين : حال الرضا التى يعرفها الناس ، وحال الغضب التى عرفها الاخصاء ، فقال حفنى ناصف يصفه فى الحالين :

ان ملت يوما للثنا   ء نثرت فى الاسماع درك
واذا استفزك عابث   يوما ، كفانا الله شرك

ثم أرى فى مواكب الذكريات موكبا ليس كمثله موكب فى الابهة والروعة ، لفت الزمان جلاله وبهاؤه ، هو موكب الشعر والبيان ، يمشى فى صفه الاول اسماعيل صبرى « أستاذ الشعراء » واحمد شوقى « شاعر الامير » وحافظ ابراهيم « شاعر النيل » وخليل مطران « شاعر بعلبك والاهرام » ـ هكذا كانوا يلقبونهم فى ذلك العهد ـ وقد اكتمل لكل منهم نضجه ، ونبه اسمه ، وعلانجمه

ويسير بعدهم فوج من الشبان الناشئين الصاعدين ، يتزعمهم « العقاد » ومعه « المازنى » و « شكرى » و « عبد الحليم المصرى » ، وقد تخلف بعضهم عن الركب ، ومضى غيرهم قدما فى طريق المجد

وكنا فى ابان ذلك العهد رهطا من الادباء الناشئين ، ومعظمنامغرم بأدب الغرب، نجد فيه ، أكثر مما نجد فى أدبنا العربى ، ما يرضى نزعاتنا الى التحرر والى العاطفة المشبوبة التى يوحى بها الشعور الحق ، لا الالفاظ المصطلح عليها

وظهر « ديوان الخليل » فأقبلنا عليه اقبال الظماء على الماء ، فقد برزت فى كثير من قصائده طلائع التحرر ، وشهدنا حوله بداية المعركة بين التجديد والتقليد . ووضعت على الاثر أول بحث لى فى الشعر والشعراء

ولم تكن امارة الشعر قد عقدت يومئذ لشوقى ، بل كان أترابه ينافسونه وينازعونه الامارة . وكان الصاعدون ينقمون عليه وينقدونه . ولشد ما كانت المنافسة بين شوقى وحافظ . أما صبرى وخليل فكان كلاهما يعمل على أن يكون همزة الوصل بين الجميع

ما طرق شاعر من هؤلاء الشعراء الاربعة موضوعا من الموضوعات فى شعره الا تناوله واحد أو اثنان من أركان هذا المربع الشعرى ، كل بأسلوبه . وكثيرا ما كان التحدى يتجاوز موضوع القصيدة الى شكلها ، فينظمون من البحر عينه والروى نفسه . فاذا قال صبرى لأمير مصر ، وهو يعرض فى قوله بسلطة قصر الدوبارة :

لك مصر ماضيها وحاضرها معا   ولك الغد المتحتم المتحقق

قال شوقى وهو يعنى بأبى نواس « صبرى » ويعنى بالبحترى نفسه :

وتعارضت فيك القرائح وانبرى   لأبى نواس البحترى المفلق

وخاطب حافظ زميليه مجاملا :

«صبرى» استثرت دفائنى وهززتنى   وأريتنى الابداع كيف ينسق
«شوقى» نسبت فما ملكت مدامعى   من أن يسيل بها النسيب الشيق

وهكذا ظل الشعراء الاربعة يتبارون متنافسين فى قصائدهم السياسية والوطنية والغنائية . حتى ماكانت تقام حفلة كبيرة من حفلات ذلك العهد،أو يعقد مهرجان من مهرجاناته الا وتبرز فيهما أسماء الاربعة أو أسماء ثلاثة منهم على الاقل . فكانت الحفلة تتحول الى سوق عكاظ ، والمهرجان ينقلب الى مهرجان من مهرجانات الادب . ولكل شاعر فيه أنصاره المتحمسون ، ومريدوه المتعصبون ، فكنا نستعيد ذكرى الاخطل وجرير والفرزدق ، وعهد أبى تمام والبحترى والمتنبى

أذكر من هذه المساجلات ما قاله شوقى فى الجيش العثمانى غداة الثورة :

يا أيها الجيش الـذى   لا بالدعى ولا الفخور
يخفى ، فان ريع الحمى   لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف فى الفعا   ل،وليس يسرف فى الزئير

فيقول حافظ يصف هؤلاء الجنود المستبسلين :

يمشون فى حلق الحديد الى العدى   فكأنهم سد من الانسان

وينشد الخليل على لسان الجندى :

يقول للعلم الخفاق فى يده   فىء من الارض ما تختار يا علم

ومضوا على ذلك فى مثل هذه المساجلة ، أحيانا متوافقين كما رأيتم ، وأحيانا متعارضين كما سترون :

أنحى خليل باللائمة على بانى الاهرام لانه سخر الشعب فى بنائها ، فقال :

شاد فأعلى ، وبنى فوطدا ... لا للعلى ولا له ، بل للعدى
مستعبد أمته فى يومه ... مستعبد بنيه للعادى غدا

فانبرى له شوقى يقول :

هى من نتاج الظلم الا انه ... يبيض وجه الظلم منها ويشرق
لم يرهق الامم الملوك بمثلها ... فخرا لهم يبقى وذكرا يعبق

وعقب صبرى :

أهرامهم تلك! حى الفن متخذا ... من الصخور بروجا فوق كيوان . .
جاءت اليها وفود الارض قاطبة ... تسعى اشتياقا الى ما خلد الفانى
وعاد منكر فضل القوم معترفا ... يثنى على القوم فى سر واعلان

وعاد خليل يقول :

ليت الشعوب التى أخلاقها رسبت ... يعلو بأخلاقها تيار طغيان
النار أسوغ وردا فى مجال على ... من بارد العيش فى أفياء فينان

ثم مات صبرى ، فرثاه اخوانه الثلاثة أبلغ رثاء

ثم مات حافظ ، فبكاه شوقى ومطران أحر بكاء

ثم مات شوقى فوفى له مطران كل الوفاء

وليت الثلاثة ، رحمات الله عليهم ، كانوا اليوم أحياء فيسمعونكم فى تكريم صديقهم وخليلهم كل طريف من الثناء والاطراء، ويشدون معا أوتار قيثاراتهم، ليحيوا غدا عيد الجلاء

والى جانب هذا الموكب الذى وصفت ، ألمح موكبا آخر من نوعه يمثل ذلك الحفل الذى أقيم فى سنة ١٩١٣ برعاية سمو الامير محمد على لتكريم خليل يوم أنعم عليه بالوسام المجيدى

فهذا صبرى يصف المحتفى به يقول :

قلم تصدر الحقائق عنه حاليات فى أجمل الابراد
ولسان يمسى يدبره فكـ ـر كبير النهى كبير المراد

وهذا شوقى يقول مخاطبا لبنان :

هذا أديبك يحتفى بوسامه وبيانه للمشرقين وسام
ويجل قدر قلادة فى صدره وله القلائد سمطها الالهام

وهذا حافظ ينشد مترنما :

نظم الشام والعراق ومصرا سلك آياته فكان الاماما
فمشى النثر خاضعا ومشى الشعـ ـر وألقى الى الخليل الزماما
فعقدنا له اللواء علينا واحتفلنا نزيده اكراما

وهذا حفنى ناصف يقول مداعبا :

يا شعر مطران لعبـ ـت بلبنا ونفثت سحرك
لله ما أحلاك يا سحر البيان ، وما أمرك
ما أنت للآداب مطرا ن ، ولكن أنت بطرك

هذه بعض مواكب الذكريات ، تبدو فيها سجايا « الخليل » الرجل الشهم ، وجهاد « الخليل » الوطنى الوفى ، وعبقرية « الخليل » الشاعر الملهم

من هذه المواكب التى عرضت ومن غيرها مما لايتسع المقام لعرضه يتألف موكب اليوم ، وهو يصعد بالخليل الى قمة « البارناس » لنضفر على جبينه اكليل الغار الذى لا يذبل ، ونقلد جيده بقلادة المجد الذى لا يزول

قصيدة الشيخ المحترم عباس محمود العقاد

يوم تألق واستضاء يوم تعطر بالثناء
يوم أطل على الحمى والفضل مرفوع اللواء
هذا وفاء العارفيـ ـن لشاعر عرف الوفاء

« مطران » محراب القريـ ض «خليل» ناديه الحميم
قدس يزين وقاره انس يهش له النديم
خلقان لم يتجمعا الا لذى فضل عميم

* * *

ماذا أعدد من سجا ياك الحسان ، وهن شتى
أدبا وعرفانا وآلا ء محبة ، وسمتا
واذا أطلت فغاية الا طراء انك انت انتا

* * *

ناداك أبناء العرو بة باسم شاعرها المجيد
فأل تجدده الطوا لع كل يوم فى سعود
الآن فاهنأ بالعرو بة ، وهى «جامعة» تسود

* * *

انطقت بالعربية الـ فصحى أعاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما نة فى الكبير وفى الصغير
بدلت فى لغة اللسا ن ولم تبدل فى الضمير

* * *

ودعمت للتمثيل كعـ بته فعاودها المزار
صفرت فحين حللتها حفلت بحج واعتمار
لقنتهم فتلقنوا منك التلاوة والحوار

* * *

وجمعت فحوى الاقتصا د كما تنزل فى كتاب
قلم يعلم علمه ويد تجود بلا حساب
فى العرف والعرفان سا ئلك المؤمل مستجاب

* * *

ذمم اليراع قضيتها فى كل ميدان دعاك



حضرة الشيخ المحترم
عباس محمود العقاد



شبلي ملاط بك
مندوب لبنان فى المهرجان

ليس النظيم أو النثـ ـير قصار ما أسترعى هواك
ان « الجوائب » و « المجلـ ـة » فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت الى الجد ـد سبقت منه الى كمال
اتعبت خلفك من عدا فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وان جروا من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررت أوزان القصيـ ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسعت فيه البحو ر فأرسلت دررا ومزنا
هذى الثلاثيات حـ ـك من لدنك ، ومن لدنا

* * *

وأقمت فى ديوانك الـ ـعالى أميرا لا تجارى
أولى الربوع بشاعر آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنا سوا ها حيث حل ولا مدارا

* * *

والله لو وفوك بالتـ ـجديد حقك من ثواب
لم توف عهد كهولة الا رددت الى الشباب
متجدد الريعان فى ظل الخلود المستطاب

* * *

لكن حقك فى الشبيـ ـبة شائع بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا أو عنك فى النجوى ينوب!
هبة قضوك ديونها والحر سداد وهوب

* * *

عش يا خليل ممتعا بأحب عيش ترتضيه

فى الاوج من عرش البيا ن وفى الرعاية من ذويه
لك حظوة فى عهد « فا روق » وحظ من سنيه

* * *

أنعم بمحفلك الذى وسع العروبة فى مكان
كرمت باكرام النهى وعلت باعلاء البيان
هى ترجمت بك عن فضا ئلها ، فنعم الترجمان

* * *

عيشا معا متعاهد ين وأبلغا العهد التمام
منها لك الآذان صا غية ومنك لها الكلام
متقابلين على الرضا متلازمين على الدوام

قصيدة شبلى ملاط بك

مندوب الحكومة اللبنانية فى المهرجان

نزلت اليوم فى الوادى السعيد على عهد من الدنيا جديد
رفعت الى ذرى الهرمين طرفى فدلانى على المجد الوطيد
على الآثار من جيل مجيد مخلدة الى أبد الابيد
تعاقبت القرون فمن هبوط تمر به القرون ومن صعود
وظلت مصر فى مد وجزر بجيد الشرق كالعقد الفريد
أليست مصر مورد كل صاد اذا ازدحم الوفود على الورود ؟
أليست ملجأ الاحرار دوما ومأمن كل مظلوم طريد ؟
أما خلعت وتخلع كل يوم على لبنان ضافية البرود ؟
حمت أحراره زمنا ومدت اليه ذراع ذى مقة ودود
ومد ذراعه شوقا اليها كذاك يحن ذو القلب العميد
ولو نشر القدير لنا (بشيرا) (وابراهيم) من ظلم اللحود
لقرت منهما العينان بشرا بتجديد القديم من العهود

هو الفاروق ذو الرأى السديد يحالف صاحب الرأى السديد
أعاد (بشارة) ومليك مصر بحلف اليوم أمجاد الجدود
لعينك يا بلاد الارز فوز بتحطيم الأداهم والقيود
ومرحى أيها الوادى المفدى ومربض كل جحجاح نجيد
فانا ما يشاء بنوك شئنا من استقلال آفاق الصعيد
أرادوا وحدة الوادى وانا لما طلبوه من بعض الجنود
نجالد ما استطعنا لا نبالى متى عبأ الاعزة بالوعيد ؟
فكم دون التحرر من قتيل وكم دون الكرامة من شهيد ؟
بلبنان الجلاء أصاب عيدا وفى مصر سيشهد أى عيد

* * *

عذارى النيل هيش الأغانى ليوم الفوز والعيد المجيد
وغنين السيادة والمعالى على نغم القصائد والنشيد
ورنحن القدود بكل لحن سماوى على ميس القدود
وشاركن الشباب وكل حر يموت ولا يعيش من العبيد !

* * *

فتاة النيل انك روح مصر بآتيها وحاضرها العتيد
بلغت من الرقى اليوم شوطا وانك تطمحين الى المزيد
تبعت (الهدى) خطوا فخطوا الى الاصلاح والنهج الرشيد
اذا شوك العنا أدمى فؤادا شفيت جراحه بشذى الورود
أرى عرشين عرش مليك مصر فتى المجد المجدد والتليد
سليل لابن اسماعيل فذ فأعظم بالسلالة والحفيد
لقد نصر العلوم وكل فن وأحيا عصر هارون الرشيد
وعرشا للتى هزت يداها وراء خبائها مهد الوليد
وأيدها به (الفاروق) لطفا ورق وقال : حقك أن تسودى
لانك دولة بالحب رانت على قلب المسود والمسود

ولكن أيها المولى أجابت هواك دم الترائب والوريد
وهيكله المقدس فى صدور لشعب لا يمل من السجود
وطوع هواك (جامعة) أهابت بعز العرب فى الزمن البعيد
لئن يعرض لها أصحاب بأس لقد يشقى الحديد من الحديد
لها فى كل ناحية حدود وتأبى أن تنام عن الحدود
اجامعة العروبة فى عرين ونازلة على غاب الاسود
الا عزى بأرضك واستقلى وزيدى من جهادك واستزيدى
ودونك فى فلسطين الضحايا ونارا لا تبشر بالخمود
فان لم يعرفوا للعرب حقا فان النار دائمة الوقود
ولكنى أخو فأل بيوم به تجنين أثمار الجهود

* * *

خليل أتيت وادى النيل صبا اليه معالجا بعض الصدود
وقدما جئت فى الركب الوئيد وجئت اليوم فى الركب الوخيد
على ذات القوادم والخوافى طويت الجو فى خفق شديد
ومن قصد الحبيب فليس يخشى يد الاخطار فى جو وبيد
أخا الصفحات بيضا ناصعات ورب النثر والدر النضيد
وصاحب حافظ ورفيق شوقى ووامق طلعة النشء الجديد
وعاقد بيت مجدك بالدرارى ورافعه الى برج السعود
وكم بيت يراه الناس أعلى بذى أدب من القصر المشيد
ليهنك ما تراه من زحام على ذا المهرجان ومن وفود
ومن ربات آداب وغيد ومن صيابة غر وصيد
أطلوا يملأون البهو حسنا بنور فى المباسم والخدود
على الاخلاص قد وفدوا شهودا وان الارز فى عدد الشهود
يتيه بعرشك الادبى فخرا ويمشى الدهر مرتفع البنود
أرى سمة الشباب اليك عادت أيا سمة الشباب الى عودى

فان مكارم (الفاروق) ردت		الى العشرين عشرات العقود
الا خلد الذى من راحتيه		تسح غمامتا كرم وجود
ونال بظله الوادى مناه		على عيش من الدنيا رغيد

* * *

مليك النيل باسم الأرز أدعو		لصنو النيل بالعمر المديد
نود لك الخلود وأى حى		من (الفاروق) أولى بالخلود ؟
جمال النيل (فاروق) وسحر		وبسمات على ثغر الوجود

كلمة الاستاذ سامى السراج

مندوب حكومة سورية فى المهرجان

وألقى حضرة الكاتب الاستاذ سامى السراج كلمة سورية مندوبا عن حكومتها وقد استهل كلمته بمقدمة فلسفية عن ارسطو وتطرق منها الى مالنبغاء الامم وأدبائها وشعرائها من سابغ الفضل فى ايقاظ الهمم واذكاء الشعور قبل أن تنتقل نهضاتها الى أيدى متعهديها من رجال السياسة والاجتماع وبذلك يحتلون المكان الاول . ثم استطرد الى نشأة المحتفل به شاعر الشام والكنانة بل شاعر العروبة فى مختلف أمصارها وكيف أنجبته الاولى فأمدته بالخيال الرحراح والبيان الفحل واحتضنته الثانية فأضفت على موهوبه مكسوبا التقت فيهما أطراف عبقريته ونبوغه فتراءى فيه المعنى البديع فى قول حافظ :

لمصر أم لبلاد الشام تنتسب		هنا العلى وهناك المجد والحسب

وأطرى الخطيب السراج ما انطوى فى شاعر القطرين من نزعة عربية قومية صافية وما فى شعره من جزالة وبلاغة ونسق عال وأشاد بدعوته فى كل زمان ومكان الى اثبات فضائل العرب واحياء لغتهم وابتعاث مجدهم حتى قطف جنى ما غرس وشهد بحمد الله بوادر الوحدة الفكرية ونضجها على ما يلازمه أبدا من الحنين الى الارض التى تنسم فيها الحياة أول ما تنسم . وأورد طائفة من أشعار

الخليل فى هذا الباب . ثم أشار الى طائفة أخرى من شعره الرائق العذب تحمل وفاءه لمصر وقدره لما تحيطه به من حب واعزاز .

وقال السيد السراج فى ختام كلمته ان ما أوجزه من سيرة الخليل انما هو المامة من خلاله وطيب سجاياه . وان الخليل من أفذاذ رجال الوطن أدبا وعلما وبيانا وعروبة وأخلاقا واعراقا . وان سورية المجاهدة الحرة لتعتز بأدب الخليل وتشارك مصر وبلاد العرب فى تكريمه وتمجيد مناقبه ، مباهية به ، داعية له بطول العمر ورغد العيش وخفض الزمان

قصيدة عبد الرزاق محيى الدين بك

مندوب الحكومة العراقية فى المهرجان

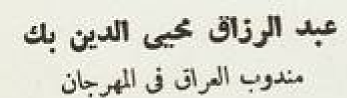
سل عن الشاعر أو خذه مثالا	تغن عن شعب جوابا وسؤالا
آلة مسحورة تحيا متى	فنيت بالشىء روحا وخلالا
تلتقى الآفاق فى أبعاده	وهو دون العين مرآى ومنالا
ضلت الالباب عن ادراكه	ومضت تحطب رشدا وضلالا
ليس تدرى اية تنسبه	املاك حط أم جن تعالى
وبماذا تتحامى شره	وترجى الخير منه والنوالا
فلتقم للشعر يوما جامعا	ولتبالغ فيه سوما واحتفالا
ولينب عن كل قطر شاعر	عرف الفضل لأهليه فقالا

* * *

يا فتى الشعر على شيخوخة	عممت فوديك شيبا والقذالا
ما الثمانون وقد بلغتها	أورثت روحك وهنا أو كلالا
الغوانى البيض ما زلت لها	فاتنا توليك حبا ووصالا
والمعانى العصم ما زلت لها	اكثر الناس اقتناصا واعتقالا
تتحدى السرب فى شاهقة	وتعاف السهل للناس مجالا
وتعاف الماء الا موردا	ظنه الظمآن بعد الجهد آلا



الاستاذ سامى السراج
مندوب سوريا فى المهرجان



عبد الرزاق محيى الدين بك
مندوب العراق فى المهرجان



شـــاعر القطـرين بلغت المنى		عمـراً يبقى وذكـرا يتـــوالى
ولســــانا تفخـتـر الفصحى به		ماروت بيتـــا وما خطت مقـالا
هل لدى قلبك من عهـــد الصبا		خفقـــات تتقاضـــاها مطـــالا
وخمـــار الكأس هـل يعتـــاده		بعـد صـحو ويمنيـــه محـــالا
وهل الاشباح من ليل الكرى		لم تعد تلقى على الضوء ظـلالا
ربما ادلجت تحدوها عجـــالا		ولقد اصحرت فارتدت ثقـــالا
أى دربيـــك تشكيت كـــلالا		أى عيشيـك تـرى أهنأ بالا
قد صحبت الدهر غـرا سـادرا		ما وقى نفسا ولا خـاف ابتذالا
وحكيمـــا قابعـــا في كهفـــه		ينشد السلم ولا يبغى قتـــالا
فهـل الكهـف حمى ساكنـــه		سطوة الشيب وقد صال وجـالا

* * *

شاعر القطـرين بوركت صـبا		وشـبابا ومشيبا واكتهـــالا
جئت والنهضـــة فينا طفلـــة		بعـد لم تبلغ فطاما أو فصـالا
وتباشـير حيـــاة حـــرة		شـع في الوادى سناها وتلالا
ورفاق عـــد اخـوان الصفـــا		نفروا واستنفروا النـاس عجالا
كنت فى القـــادة منهـم فكرة		ومن السـاقة اذ أعيـوا كلالا
تهب الفـــكرة لا مستجـــديا		أن يقول الناس قد أفتى وقالا
مصلح فى غـير دعـوى مصلح		ونبى لم يكلفنـــا امتثالا
تخـــذ الفن لـــه آلهـــة		وحـوارى الفن انصـارا وآلا
سـل بيوت الفن من عمـرها		واشـــاع الخير فيها والجمـالا
وبرود الشـــعر من جـــددها		وارتدى منها قصـارا وطـوالا
ورد النيـل سـحابا فاســتقى		وأتى الآفاق فانهـــل انهـلالا
كلمـــا مر عـــلى مجـــدبة		أسـمعته حمـــد مصر فأنـالا

قصيدة الاستاذ محمد الاسمر

هل مر يوم كنت غير مكرم ... فيه وكان الشرق غير مكرم
حفل أقمناه وكم من مثله ... لك فى القلوب علمت أم لم تعلم
تغفى وفضلك فى المحافل ساهر ... يثنى عليك فليس بعض النوم
ستون عاما أنت بلبل روضة ... مترنم أو مرشد المترنم
تشدو وتهدى الناشئين اذا شدوا ... متعلمون مشوا وراء معلم
يمشون خلف مغرد عرفوا له ... حق المحب لهم، وحق المنعم
حتى اذا نبتت قوادم ريشهم ... فوق القوافى كالطيور الحوم
حلقت جبار الجناح فحلقوا ... وهم نسور لائذون بقشعم
لما سموت سموا وانت امامهم ... ان المعلم قدوة المتعلم
قدمتهم نحو العلا فتقدموا ... والفضل فضل مقدم المتقدم

* * *

شيخ القوافى كيف رضت صعابها ... فمشت وراءك مشية المستسلم
قل لى، وأنت بها الخبير، ألم تجد ... منها جموح الصعب غير الملجم
انى لألقى حين أطلبها الذى ... يلقاه بين الغاب طالب ضيغم
ولها بكفى جذب أشوس نافر ... كالفحل يجذب نفسه لم يخطم
حتى أرانى قد سئمت مراسها ... وأراك صاحبها الذى لم يسأم
أخليل أن تهرم فأنك شاعر ... غض القوافى شعره لم يهرم
اللفظ والمعنى لديك كلاهما ... طرب السميع، ولذة المتفهم

* * *

لحريق (روما) فى بيانك روعة ... للفن فوق توهم المتوهم
هى قصة صورتها فى محكم ... من شعر مطلع، ونظم منظم
شعر به تجرى الدماء وما جرت ... والنار ذات توهج وتضرم
(نيرون) فيه على أرائك جنة ... من لهوه نصبت حيال جهنم
صورت جنة ظالم وجحيمه ... حتى الغناء، وآهة المتألم

تصوير مقتدر جلا فى رسمه ... صوت المصور وهو ما لم يرسم
هى ريشة كالصولجان ملكتها ... فاسعد بما ملكت يمينك وانعم
ما ذلك العجب العجاب تشيده ... شعرا به الآجر بعض الانجم
هى (بعلبك) أعدت ماضى حسنها ... فيما جلوت من القريض المحكم
شاد (ابن داود) العجائب فوقها ... وتهدمت فبنيت ما لم يهدم
شعر على الايام باق حسنه ... متألق كالكوكب المتبسم
هو صرح دنيا ليس صرح مدينة ... مما بنوه فى الزمان الاقدم
نحته كفك منك فهو كما أرى ... وكما ترى من محض لحمك والدم
هو صنع نفسك والنفوس خوالد ... فله الخلود وليس من صنع الفم
لا تحسبوا الشيطان ألهمه الذى ... يشدو به ، الله أكبر ملهم

* * *

هذا وكم لك من شمائل حرة ... هى فى الحقيقة روضة المتوسم
أغصانها رفت على من حولها ... فعلى مسيحى ، وآخر مسلم
مما دعا (عيسى) له و (محمد) ... ولنعم ذلك عصمة المستعصم
كنز حباك الله أفضل ما به ... والله جل الله خير مقسم
ان كان غيرك نال بعض كريمه ... فكفاك انك نلت كل الاكرم

* * *

فى ظل (فاروق) وحسبك ظله ... زفت (عكاظ) اليك أجمل موسم
أبناء يعرب فيه حولك هالة ... من منجد وافى اليك ومتهم
حملوا مزاهرهم اليك وأقبلوا ... يترنمون لديك خير ترنم
من شاعر يثنى عليك ، وناثر ... هو شاعر أيضا وان لم ينظم
حتى الطبيعة شاركتنا فانثنت ... لفحاتها قبل المحب المغرم
بالامس كادت (مصر) تبدو شعلة ... وهى العشية نسمة المتنسم
وفى لحفلك قومها فتكلموا ... وهواؤها وفى ولم يتكلم
عش للقوافى والخلال حميدة ... واسعد على مر الليالى واسلم

كلمة الاستاذ زكى طليمات

خليل مطران : رجل المسرح

نصيبى من الحديث عن أستاذنا الجليل خليل مطران قليل وكثير

قليل لأنه سيعالج ناحية واحدة من نواحى نشاطه الحيوى المتعددة وأعنى بها ناحية المسرح

وكثير بما يصح أن يقال فيها لأن القدرة العلوية التى برأت مطران شاعرا عبقريا ورجلا تعتز به الرجولة ورواد آفاق تشكو الجرأة أقدامه قد سوته كذلك، وقد عطف على المسرح بقلمه النابغ . فمطران أديب المسرح هو مطران الشاعر هو مطران الرجل ، لأن الشخصية التى فطر عليها واكتسبها فى دنيا العمل ، ثم استقام عليها لا يمكن أن تغير من طبيعتها . فمطران هو بعينه ونفسه فى كل طريق يضرب فيه الفارس الشاعر الأصيل فى شاعريته والشاعر العريق فى فروسية الخلق الكريم ، سيفه يراعته ودرعه دماثته وخوذته أريحيته وخلف هذا كله نفس مقتبس من أنفاس الرحمن الرحيم

لم يكن عجبيا أن يعمل مطران للمسرح منذ نصف قرن فقد كان المسرح العربى الناشىء شغل طائفة من كتابنا ، ومن المعلوم أن فن التمثيل باللسان العربى قام فى أعقاب ما حملته الينا تلك الموجة الثقافية الغربية التى غمرت الشرق العربى فى القرن الماضى . فالمسرح والحالة هذه مستحدث فى أدبنا دخيل بين فنوننا ولم نتعرف اليه تماما الا فى العقد الثامن من القرن الماضى . أقول لم يكن عجبيا أن يعمل فى هذا المجال المستحدث على الرغم من أن الاقلام النابغة ممن هى على طراز مطران كانت تتحرز من النزول اليه ، اما أنفة وكبرياء واما تجنبا لمزالق طريق غير معبدة قد تقتل أرض فيها جاهلها . لم يكن عجبيا أن ينشط مطران بقلمه الى أن يضرب فى الحقل الجديد وهو المسرح لأن شاعرنا ، وقد عرفناه فى شعره رواد آفاق جديدة ، يستهويه كل جديد ولأن له فوق هذا ثقافة غربية واسعة المدى استبطن على هديها دخائل نفائسها الأدبية ومن ضمنها الرواية التمثيلية . فهو خير من يدرى ماهية فن التمثيل وما أثره فى التثقيف العام وما

مداه فى أن يتعرف الانسان الى نفسه وأن يسمو بها الى طباق الخلق الكريم

لم يعمل مطران للمسرح ابتغاء نباهة الذكر وذيوع الاسم فقد سطع الاسم وطار الصيت فى عالم الشعر ودنيا الصحافة

ولم يعمل للمسرح مطاوعا سانحة صبوية أو مماشيا بدوة من بدوات النفس لأن عمله بالمسرح طويل ، ونتاجه فيه كبير بين اتحاف العربية بترجمات كاملة لكثير من روائع المسرحيات الغربية وبين الاقتباس عن هذه المسرحيات ، ثم بتوليه ادارة الفرقة القومية للتمثيل العربى زهاء سبع سنوات وهى الفرقة التى أنشأتها وزارة المعارف سنة **١٩٣٥** على غرار فرقة الكوميدى فرانسيز

وانما عمل عن عقيدة وتبعا لخطة مرسومة لها وسائلها ولها أهدافها ، يشرق بينها الهدف الاسمى ، وهو خدمة اللغة العربية وذلك بشق أفق جديد لها ، يجرى فيه بيانها وتتوافد ألطافها ولطائفها ، وهى تعالج لونا جديدا فى التعبير تتجاوز مداه أدب السرد والحكى وفن الرسائل والمقامات ، الى الافصاح بطريق الحوار عما هو أعرق وأدق فى الكشف عن خلجات القلب ، وأصدق وأوضح فى التبيين عما ينعكس فى مرائى النفس منقولا اليها بواسطة الحس

وآية ايمان مطران فى عمله للمسرح أنه لم يماش ركب الكتاب الذين كانوا يكتبون للمسرح فى زمنه ، بل سبقهم وخالفهم . سبقهم بأسلوبه البيانى المشرق الرصين ، وخالفهم فى أن المسرح المصرى وهو ناشىء فى ظل المسرح الغربى الذى انتهى برواياته الى أفق رفيع ، يجب ألا يأخذ من هذا المسرح الا ما هو نفيس وطريف مبنى ومعنى وأسلوبا وموضوعا ريثما يأخذ هذا الفن الدخيل ، وهو فن التمثيل ، مدارجه فى التأقلم والتطور الزمنى والتأصل فى التربة المصرية ، وتأتى مرحلة التوليد فالتأليف ، وقد قدرت الاقلام العربية على التفريق بينهما

يمكننا أن نسمى الحقبة الزمنية من أواخر القرن الماضى الى أوائل القرن الحاضر ، وذلك فى تاريخ المسرح العربى الناشىء ، بعصر الاغارة والسطو

والنسخ والمسخ والادعاء والتطاول ومحاولة ايهام الناس بأن البريق واحد والمعدن لا يختلف فى الذهب النفيس والنحاس الخسيس

ولا عجب فى هذا فقد كان كل شىء فى حياة مصر يرين عليه طابع الاضطراب والتقلقل ، ويجرى بين اقدام ونكوص ، وفى تحسس وتلمس وتعثر لان اليقظة الفكرية عامة كانت فى أول مراحل البعث والنشور وكانت تتنبه على ايقاع زمن خامل كل شىء فيه يتثاءب وهو يستقبل الأنوار الوافدة من الشاطىء الآخر من البحر الابيض

وقد سجل المسرح كل هذا باعتبار أنه أحد مرائى المجتمع

والآن نتساءل ما هو الدور الذى لعبه مطران ، أديبا وكاتبا للمسرح العربى، والحال كما تقدم ذكرها فى أوجز عبارة ؟ !

صان قلمه عن أن يسطو على مسرحية غربية ليقتبسها ، أى يعربها من صبغتها المحلية الغربية الأصيلة ليضفى عليها صبغة شرقية مهلهلة بعد أن يبدل فى حوادثها ويغير فى أسماء شخوصها ثم ينسبها الى قلمه ، كما فعل غيره من معاصريه

وترفع عن أن يغير على القصص المملوءة بها كتب الاخبار العربية ليضع منها مسرحيات غنائية هزيلة المبنى فاترة الحبكة ، قد جفاها المنطق والمعقول حتى فى المواقف التى تكون للغناء والانشاد

وعاف أن يكتب للمسرح بما يوحيه اليه ذهنه مبتدعا مبتكرا وفى ظل قلمه ، لأنه أحس أن القدرة لا تواتيه على أن يكون فى تأليفه عند ما يعرف من أقدار المسرحية الحقة ، فكأن علمه بماهية المسرحية الرفيعة وما يجب أن تكون عليه ، قد احتجزه عن معالجتها مؤلفا أصيلا

وفوق هذا فان مطران الشاعر المبدع ما كان ليرضى أن ينسب الى قلمه عملا أدبيا فجا مبتسرا لا يكون عند ما يريد ، وعند ما يسترضى كبرياء الشاعر المعتز بنفسه الذى ألف الاجادة والأصالة فى نسيج قلمه



الاستاذ محمد الاسمر



الاستاذ زكى طليمات



وعلى ضوء هذا تبدو الاسباب التى حدت بمطران الى أن يختار طريقه الى خدمة اللغة العربية ووسيلته فى تغذية المسرح الناشىء ، وهى الترجمة

نعم لقد سبق مطران كتاب عديدون الى الترجمة للمسرح ولكنها ترجمة تشكو السقم والهزال . سقم فى استيعاب دقائق الأصل الغربى لغة ومعنى ، وهزال فى الاسلوب العربى ، وهو أسلوب كان يرد فى سياقة متاقلة من أسجاع الكهان أو هو يجرى سوقيا ، وقد رقشته فى تكلف عبارات مستجلبة من الشائع فى محفوظ الأدب القديم

وقد يبدو أمر الترجمة سهلا وهينا عند من لم يكابدها ويتمرس بها ويروض بيانه عليها ، ولكنها غير هذا ولا سيما فى الرواية التمثيلية ، حيث تجرى الصياغة اللغوية حوارا ، أى فى أخذ ورد ، بين أشخاص قد يعن لهم أن يوجزوا فى حذف أو أن يغمضوا لغرض، تبعا لمقتضيات العوامل النفسية التى تحرك ألسنتهم بالكلام . هذا وللغة التخاطب فى الحوار طريقة فى الجدل وفى التصفيف توردە على ليات تخالف المألوف فى أسلوب الحكى والسرد

ان الترجمة على يراعة مطران قد ابتدعت فنا بيانيا فى اللغة العربية لا نعرف له مثيلا الا عند ابن المقفع فى كتابه (كليلة ودمنة) وذلك من حيث سلامة العبارة وقوة الاسلوب ووضوح المعانى ، ثم من حيث تلك القدرة الخارقة التى تضفى مسحة عربية أصيلة زاعقة الالوان على ماهو غير عربى

وفى هذا الصدد أصرح بأنى لا أستطيع أن أحكم لابن المقفع أو عليه ، وذلك من حيث الدقة فى الترجمة وتوخى الامانة فيها ، لأننى أجهل الفارسية وهى اللغة التى ترجم عنها ذلك الكاتب العربى النابغ

ولكننى فى مترجمات مطران عن الفرنسية والانجليزية أستطيع أن أدلى برأى وهو أن هذه المترجمات قد وردت على نسق يماثل الاصل مماثلة محيرة حتى لتكاد تنسى القولة المأثورة « ان الترجمة هى الخيانة »

أقول انها ترجمة تجاوزت الظاهر الى الباطن وامتدت الى أبعد من ترجمة المدلول

من المعانى،الى استخراج ماهو شارد بين السطور وما هو مستتر خلف العبارات، الى تلبس شخصية الكاتب المترجم عنه والاصدار عن أحاسيسه ومجاراة روحه وهى تطوف فى مجالات المعانى. وترجمة هذا شأنها لا تصدر الا عمن أمدته الفطرة بذلك الليان النفسى العجيب الذى لا يرزقه غير الممثل الموهوب، اذ يخلع ذاتيته ويتدخل فى أهاب شخصية دوره ويكون فى نطاقها ومحاورها وأعشارها

هذا والبيان العربى بين يدى مطران طيع موات، كالصلصال بين أنامل المثال، يجسد المعانى ويزيد، ويشخص المتخيلات والرؤى، فاذا هى كائنات تحمل من روح الكاتب أنفاس الحياة. هذا والسياقة تنتظم فى ايقاع لطيف غير مجتلب ولا متكلف لانه مستمد من ايقاع المعانى فى تواردها وتواليها. هذا وللالفاظ جرس ينبىء عن مدلولاتها، وللالفاظ تخير فى ايرادها فلا يختار منها الا ما يحسن وقعه فى السمع، وما يساوق الايقاع العام فى موسيقاه، وما يرتاح اليه الممثل اذ يلقيه فوق المسرح

وثمة ظاهرة أخرى جديرة بالاعتبار فى ترجمة مطران

ان سمت الأسلوب فيها يختلف باختلاف الطابع الذى منه المسرحيات الغربية المترجم عنها، وأقصد بالطابع المدرسة الأدبية التى أطلعت هذه المسرحيات. فمن المعلوم ان فقهاء الأدب والنقد فى الأدب الغربى فرقوا بين الانتاج الادبى الغربى فى مختلف مراحله تبعا لخصائصه ومميزاته فى المصدر والباطن والجوهر، فى الظاهر والاسلوب، فاذا هو اتباعى (كلاسيكى) وابتداعى (رومانسى) وحديث، ومن الحديث ما هو معاصر

والمقام يقضى علينا بالايجاز فى ايراد معالم وحدود وتفاريق الألوان التى عليها كل مدرسة من هذه المدارس الأدبية الا ما يجرى لزاما لتدعيم ماأريد أن أسجله لابراز هذه الظاهرة فى ترجمة مطران

فلا مناص من الاشارة الى أن أول واجب للمترجم الحق، الذى يلابس روح المؤلف الذى ترجم عنه، أن يورد أسلوبه البيانى فى الترجمة على غرار ما أورده المؤلف وهو ينزع عن الشعور، وذلك من حيث سياقة العبارات

وانتظام الالفاظ فى وضوح ورصانة واحكام مبعثها الذهن اليقظ الصافى الذى يعلى موحيات العقل الراجح على خلجات القلب الجامح، وهذا فى الأدب الاتباعى

أو هو يجرى مع المؤلف الرومانسى فى قلقلة عاطفته ووثوب وجموح مرجعها القلب المضطرم ، فنرى المترجم يعمد الى تزاويق المحسنات البيانية وكأنه يستعين بها على تبيان ما يحسب أن الاسلوب المباشرقد عجز عن تبيانه ، أو هو ينهج نهج (الواقعية) مع المؤلف المعاصر فى التعبير البيانى ، فاذا الاسلوب سهل مبذول المعانى فى أيسر عبارة ، وفى ايجاز وتركيز يحققان شديد التأثير بأبسط الوسائل

هذا الى مميزات أخر خاصة بانتخاب الألفاظ وانتقاء المفردات بحيث تكون موسيقاها تبعا لايقاع المعانى وروح المدرسة الأدبية

حرص مطران فى ترجمته على كل هذا فأبرزها مشرقة واضحة المعالم والحدود. فاذا أسلوبه البيانى فى ترجمات (كورنى وراسين) الشاعرين الاتباعيين يختلف عنه لدى (فيكتور هوجو) و (الفريد دى موسيه) الشاعرين الرومانسيين. واذا هو بهذا وذاك يتباين مع ترجمته عن (بول بورجيه) الكاتب الفرنسى المعاصر . بل ان مطران ذهب الى أبعد من هذا ولاسيما فى ترجماته عن (وليم شكسبير) الشاعر الانجليزى الذى استمدت المدرسة الرومانسية الفرنسية منه أول معين لها ، فان العين الفاحصة تلحظ الفارق بين ترجمته (لهرنانى) وهى من صميم الرومانسية الفرنسية، وبين ترجمته (لعطيل) وهى لشكسبير الأستاذ الأول الذى حطم قيود الاتباعية ووضع الخطة الاولى للرومانسية ، وبهذا أبدعت يراعة مطران ألوانا شتى فى النثر العربى وأضاف جديدا وطريفا الى ما خلفه قدامى الناثرين فى الأدب العربى . وانها لثروة غنية ارتقى معها النثر العربى وقد طعم بأفاويق الأدب الغربى الذى هبط الشرق وعلق بأقلام كتابه

فاذا قررنا أن مطران قد ابتدع بترجماته المسرحية أساسا لمدرسة جديدة فى الأسلوب العربى ، وهو يلتمس المعانى الغربية بطريق الترجمة ، اذا قررنا هذا فلسنا مقررين الا الحق الصريح الذى لاينكره غير المكابر والحاسد

وهـذا السمو الرائع ما كان ليخذل مطران فى تخيره المسرحيات التى يترجم عنها ، فلا عجب أن رأيناه لا يطير الا فى الآفاق العالية للأدب الغربى الرفيع ولا يحط الا على القمم الشامخة فيها شكسبير ، كورنى ، راسين ، هوجو ، ديموسيه وبول بورجيـه ، ويختار من نفائسهم ما يلائم المزاج والبيئة ويلتحم مع الطبـع البشرى أيا كان موطنه

ولا شك فى أن هناك وحـدة فى نفس مطران بين سموه فى اختيار مترجماته وأسلوبه ، وبين سموه فى قوميته العربية . ويتجلى هذا فى كتابتهمسرحية (القضاء والقدر) وهى المسرحية الاولى والاخيرة التى أجرى فيها قلمه مقتبسا عن رواية غربية . قد راعه عند مطالعة الأصل الانجليزى لهذه المسرحية أن المؤلف نال من كرامة خليفة من خلفاء المسلمين ودس عليه ما يتبرأ منه حتى الصعاليك ، فهب بقلمه وهو يقتبس المسرحية يرسم شخصية الخليفة العربى كما يجب أن تبدو لجمهور عـربى . وفى يقينى أن مطران ما كان يخرج عن خطته فى الـكتابة للمسرح ويجرى قلمه مقتبسا ، لو لم تدفعه هذه الغضبة السامية فى سبيل الحق والعروبة

هذا هو مطران أديب المسرح ومنشىء احدى دعاماته الرئيسية . أما مطران راعى المسرح العاطف على العاملين فيه ، تارة بماله وأخرى بقلمه ، يرثى أعيانه الراحلين ، ويشيد بجهود أحيائه العاملين ، فلا أحب أن أقول شيئا عنـه لانى أنفس بمطران الرجل والسيد ، على الحياء والخجل ، فى مجال قد يفتن الكثيرون من المحسنين فى الدعاية له والاشادة به

وليس مطران فى توليه ادارة الفرقة القومية بأقل شأنا مما ذكرت ، وليتالمقام يسمح بالافاضة

سيداتى ، وسادتى :

هذه صورة (لمطران) أجريت رسمها فى لمسات عابرة . أما مطران الشاعر ، أما مطران موقظ الوعى القومى ، أما مطران الذى نسج بشعره رباطا يجمع بين

قلوب أبناء العروبة فى مشارق الارض ومغاربها، فهو لغيرى ممن ينصفون الرجل من بيئته ومن زمنه ، فيصوغون من جهاده ، الذى يضفى عليه طوله وكده وغايته شرفا على شرف ، ملحمة مجيدة ترسم نضال كائن انسانى ذى جرم صغير وروح كبير ، علت همته على طاقته ، وسمت أحلامه على مستدركات الواقع . فهو يعمل منذ زمن بعيـد وما زال يعمل ، وسوف يعمل ، وهو لا يعرف ولن يعرف لماذا يكد ويعمل الا انه يلبى نداء خفيا لا يعرف من أين مأتاه

ويبقى دين التلميذ للاستاذ ووفاء المريد للزعيم . . وأصارحكم بأننى لا أملك بيانا أعبر به عما فى نفسى ولعل صمتى فى هذا أبلغ من الكلام

خليل مطران بك يشكر

طوقتمـونى بأطـواق من المنــن ... فكيف أقضى حقوقا جـاوزت مننى

وما سبيلى الى أدنى الوفاء بمــا ... لــكل مبتــدر وافى ليـكرمنى

قد أعجزتنى عن التخصيص كثرتكم ... فمن أقول لـه شـكرا ومن ومن

اخـاف من سـوء تأويل لرأيـكم ... فى الفضل لو قلت انى لست بالقمن

قومى وفى هـامة العليـاء منـزلهم ... هم صفوة الخلق بالاخلاق والفطن

ان عز من منحــوا نصرا فأحر به ... أو هان من منعوه النصر فليهــن

مواطن الضــاد شتى فى مظاهرها ... وفى حقيقتها ليسـت سوى وطن

ممثلــوها بهـذا المنتدى لهـم ... مفاخر ملء عـين الدهـر والأذن

من كل ذى نسب أو كل ذى حسب ... ما فى مصادره من مصـدر أسـن

وكل ذى منصـب تعتــز أمتــه ... بسيفه العضب أو بالرأى واللسن

وكـل مقتبــل الايام مجتهــد ... وكـل طـالب علـم نابه ذهـن

ومـن مـؤثل جـاه فى تجــارته ... أو فى صناعتـه أغنى الحمى وغنى

وزارع صـائن بالبــر سـمعته ... للوجد مبتذل للحمـد مختـزن

وشـاعر يطرب الدنيـا تـرنمــه ... فمـا أفانـين غريد عـلى فنـن

وناثر مسرف فى الـدر ينفقــه ... كأنــه يتلقـــاه بلا ثمـــن

يا للوزير رئيس الحفل هل وسعت ... شأنى جلائل ما تهدى الى الزمن
ليحفظ الله فاروقا لأمته ... وللعروبة ولينصره وليصن
هو الذى خبرت معروفه أمم ... فما تنكر فى سر ولا علن
لولاه لم تك مصر اليوم بالغة ... مكانها واتحاد العرب لم يكن
وليحفظ الله أبناء الكنانة فى ... يمن وأمن من الاحداث والمحن
وليحيى من صان مجد الضاد من ملك ... ومن رئيس عليه اليوم مؤتمن
فكلهم جاء فى ميقاته وله ... تاريخ فضل بهذا المجد مقترن
دوموا وأيامكم بالألف زاهرة ... ولا عدته عوادى الخلف والاحن
أبالغ بى وفائى بعض واجبه ... لو أن عمرى فى هذا الوفاء فنى

الرسائل والبرقيات

ورد على اللجنة والمحتفل به طائفة كبيرة من الرسائل والبرقيات ننشرها فيما يلى :ـ

١ ـ الرسائل

القاهرة فى ٣٠ مارس ١٩٤٧

سيدى الاستاذ الكبير خليل مطران بك

شهدت حفل تكريمك فكان ما ألقى فيه من نظم ونثر صورة متواضعة لحقيقة أدبك العالى وشعرك الرقيق الرصين وخلقك العظيم ونواحى البر فى نفسك الكريمة . وكنت أتابع القول فأراه مهما سما دون ما يفيض به قلبى من تقدير لجهودك فى سبيل مصر والعروبة علما وفنا واقتصادا وبرا . ولن يستطيع قلم ولا لسان مهما أوتيا البيان أن يصورا نواحى عظمتك أو أن يرتفعا لشاهق مجدك . فقد جمع الله بك الفضائل فى واحد وحقق المعجزة فى هذا العصر الذى نعيش فيه فكان حبك اجماعا وتقديرك لا مداجاة فيه ولا رياء وجاء القول فى مناقبك سهلا آخذا طريقه الى القلب لانه صادر من القلب

وكنت أود لو عرضت لى فرصة الكلام فميدانها أوسع بلا شك ، ولو أنى أرى قصور اللسان عن أن يحمل فيض الشعور فيبدو عجزى،ولو أن العجز من أقوى مظاهر التقدير والحب . واذا فاض القلب فكثيرا ما ينعقد اللسان

فأنت مكرم بخلقك . وما توفيقك فى بقية النواحى الا قبس من هذا الخلق الكريم

وان حياتك لصفحة وضاءة من ناحية العروبة ونهضتها ، وبيانك شعرا ونثرا وترجمة وتأليفا لسجل خالد لأمجادها ، وخلقك نبراس يهتدى به الشباب والكهول والشيوخ الى المثل العليا

زادك الله نعمة وأبقاك ذخرا للأدب الرفيع والخلق القويم والتضحية فى سبيل الخير والاحسان وأضفى عليك الصحة السابغة والعمر المديد



السيدة الجليلة التي أنجبت الشاعر الكبير وكان لها الفضل
الأكبر في تنشئته على ما عرف فيه من شمائل وسجايا
المرحومة ملكة مطران

تحياتي وتحية حرمى التى تشاطرنى كل كلمة وتحمل نفس التقدير لنواحى عبقريتك

المخلص

محمد العشماوى

الى صديقى خليل مطران

تحية زكية خالصة لك أيها الصديق الكريم من صديق تعرف مكانك فى قلبه ، ومنزلتك فى نفسه ، وتعرف اعجابه بخلقك العظيم واكباره لادبك الرفيع، واعلانه فى كل قطر زاره من أقطار الارض فى الشرق والغرب ، والى كل متحدث تحدث اليه فى الشعر من الشرقين والغربين أنك زعيم الشعر العربى المعاصر ، واستاذ الشعراء العرب المعاصرين ، لا يستثنى منهم أحد ولا يفرق منهم بين المقلدين والمجددين . وانما يسميهم جميعا بأسمائهم غير متحفظ ولا متردد ولا ملجلج ولا مجمجم ، وانما هو اللفظ الصريح يرسله واضحا جليا لا التواء فيه ولا غموض

فأنت قد علمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم عن افناء النفس فيمن يقلدون ، وأنت قد علمت المجددين كيف ينزهون أنفسهم عن الغلو الذى يجعل تجديدهم عبثا وابتكارهم هباء . وأنت قد علمت أولئك وهؤلاء أن الفن حر لايعرف الرق ، كريم لا يحب الذلة ، نشيط لا يحب الجمود ، أبى لاينقاد للمحافظة الى غير حد ، ولا ينقاد للتجديد فى غير احتياط

أنت قد علمت أولئك وهؤلاء أن للغة أصولا يجب أن تبقى وحرمات يجب أن ترعى وحقوقا لا ينبغى أن تضيع ، وأن للحياة روحا يجب أن يجرى فيما ينتج الكتاب من النثر ، وان يسرى فيما يعرض الشعراء من الشعر ، وان القصد هو ملاك الفن وقوام أمره ، لا فى الادب وحده ، بل فى الفن كله ، بل فى الحياة كلها

أنت حميت حافظا من أن يسرف فى المحافظة حتى يصبح شعره كحديث النائمين

وأنت حميت شوقى من أن يسرف فى التجديد حتى يصبح شعره كهذيان المحمومين

وأنت رسمت للمعاصرين من الشعراء هذه الطريق الوسطى التى تمسك على الادب العربى شخصيته الخالدة وتتيح له أن يسلك سبيله الى الرقى والكمال . وقد حاولوا أن يتبعوك فى هـذه الطريق فطار بعضهم بجناح ، واستسلم بعضهم فأراح . وأقمت أنت على قمة الشـعر الحـديث شيخا جليلا وقورا ، لا تزدهيه أحـداث الحياة ولا يستخفه ازدحام الخطوب . مشرق الوجه ، تستمد اشراق وجهك من اشراق نفسك التى لم يستطع الزمن أن يشـوب صفاءها بشائبة ، مبتسم الثغر ، تستمد ابتسامه من ابتسام قلبك الذى لم يستطع الناس أن يكدروا ايمانه بالحق والحب والخير والجمال ، مشيرا من مكانك هـذا الرفيع الى شـباب الاجيال وكهولها وشيوخها ، اشارة كلها عطف وبر ، وكلها اخلاص ووفاء ، وكلها تحميس وتشجيع

أنت صنعت هذا كله ، وأكثر جدا من هذا كله. لم تصنعه عن عمد ، وانما صنعته عن فطرة كريمة وسجية نقية، ونفس أبى الله لها الا أن تكون نفس الشاعر الحق ، صورة صافية صادقة رائعة للطهر والاباء والنقاء جميعا . وقد عرف الناس هذا فيك فأحبوك جميعا ولم يجد عليك منهم أحد ، وكانوا خليقين لو استطاعوا أن يكرموك فى كل عام بل فى كل شـهر ، بل فى كل يوم . وكانوا خليقين أن يتعبوا لتستريح ، وأن يجهدوا لتهدأ ، وأن يشقوا على أنفسهم لتفرغ أنت للفن. ولكنك تعلم حق العلم ، وما أكثر ما علمت الناس ، وما أكثر ما علمتنى أنا ، ان حياة الفنان يجب أن تكون مزاجا فيه كثير جدا من الشقاء والعناء ، وقليل جدا من السعادة والروح

من أجل ذلك لم تلق من الاجيال التى عاصرتك ما كنت خليقا أن تلقى منها ، ولقيت منك هذه الاجيال ما لم تكن خليقة أن تلقى منك. ولكنك تعلم، وما أكثر ما علمت الناس ، وما أكثر ما علمتنى أنا ، ان الاديب الحق يجب أن يعطى كثيرا ويأخذ قليلا وأن ضريبك وصديقك العباس بن الاحنف رحمه الله لم يخطىء

وانما أصاب الصواب كله حين صور نفسه وصورك ، وصور أمثالكما من أعلام الشعر فى بيته الرائع :

كنت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق

أيها الصديق الكريم

ان الذين يكرمونك اليوم انما يؤدون اليك والى الشعر أيسر حقكما عليهم. وكم وددت لو شاركت فى اداء هذا اليسير من الحق ، ولكنك تعيش فى مصر . وانك لتعلم انى أكرمك فى نفسى ، وفى أسرتى ، وفى ذوى خاصتى منذ عرفتك.

فاقبل منى تحية صديقك الوفى الحميم

طه حسين

سيدى الاديب الاكبر وحامل تاج الخلق الكريم الامجد

أحييكم أحسن تحية . وبعد فلقد كرم القوم شعرك قبل أن يكرموا فيك خلقك وجميل سجاياك . فما أجدر هذا الخلق . وقد أضفيت على ذلك الشعر بأدبك الجم، ما ألبسه ثوبا استحق عليه تكريم العرب والعروبة وأصبحت مفخرة من مفاخرها ، فكرمتك

ولو أن القوم أنصفوا لكرموا الخلق ، وهو الجدير بأن يوصف بأعلى مراتبه ممثلا فى وداعتك ، وبأعلى مراتب الادب الجم ممثلا فى حسن سجاياك ، قبل أن يكرموا الشعر وقد استمد من تلك الصفات جماله وروعته

ووالله لو كنت من علماء الاخلاق لأضفت ـ صاعدا ـ الى صفات الاخلاق صفة جديدة ـ أوجدتها أنت ـ ولأطلقت عليها اسم « خليل مطران »

واننى لأنتهز هذه الفرصة أيضا ـ فأهنئك بعطف المليك السامى على شخصك العظيم ، وأهنىء اللقب بك ـ لأنك مفخرة لهذا اللقب واللقب يفخر بانتمائه اليك

فأنت الخليل وانت الأبى وأنت الأديب الجميل الخلق

فلتهنأ بك العروبة ، ودمت للعرب مفخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعلبك صلاح الدين حيدر

الى استاذى خليل مطران

كانت فى الصدر حسرة عاناها أمثالى السنين الطويلة ، أمثالى ممن تأدب فى صدر نشأته على يدك السمحة ، واغترف من فيضك ، واهتدى برأيك . . .

وحسرتنا انا كنا نجاهد فى سبيل شعرك ، ولا نرى النصر ينقاد لك الا متباطئا مترددا . كنا نجاهد من طريقين : اذاعة قصائدك مع استخراج لطائفها وطرائفها ، ثم النظم على الطريقة التى شققت آفاقها الرقراقة . . وكنا فى صراع لا ينتهى وكنت أنت كذلك . وكم مرة نصحت لنا فصبرنا على غيظ ، لأننا كنا نتقد فتوة ونغلى حماسة . وكنت تقول لنا : المستقبل بين أيديكم ، قد سعيت فاسعوا . فامتثلنا واجتهدنا ، ثم دارت الأيام وكل منا فى وجهة مضى ، فهذا توقف ، وهذا أسرف ، وهذا تصرف ، وهذا استطرف . وكلنا يا أستاذنا منك ولك !

أخذت الحسرة تنكشف من عهد قريب . ولا أدرى أبفضل جهادنا انكشفت ، أم بتبدل مفهوم الشعر . ولكنى أدرى أنك الكاشف الأول ، لأنك ظللت بمثلك وفضلك ترفع النار المقدسة التى تلهب الضمائر الزكية . فتطايرت منك الينا شرارات بعثناها فى الجو فأضاء . وانما سر ضيائه من حرارة صدرك وصدق حسك . أنت الذى أبعدنا عن الفتور المتصنع ، أنت الذى قال :

شاعر كان عمره بيت تشبيـ ـب وكان الانين فيه الرويا !

كرموك . هل كرموك ؟ أنت الفنان الذى أصر على أن يمضى فى سمت الحق لوجهه وحده ، ولولا أن تكون كذلك ما أقبلت على التجديد والتوليد . ثم نسى من نسى أنك امام من أئمة النثر ، وشيخ من شيوخ اللغة ، وأن أحدا

لايكاد يضارعك فى تخير اللفظ وسبكه واجرائه. أين مكانك فى المجمع اللغوى ؟ فتلك الحسرة لم تنكشف كلها بعد !

كرموك . هل كرموك ؟! أبى القدر الساخر فى مصر أن يأتيك من يفاتحك كيف أبصر النور من لمحات ظرفك الرهيف . فتقبل منا نحن الذين ارتوينا من فيضان روحك ، واقتبسنا من وهجان قلبك ، الحب والشكر والاجلال

القاهرة بشر فارس

مصر فى ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٧

الى حضرة شاعر العروبة خليل بك مطران الافخم

أفنيت نفسك بنثرك وأذبت روحك فى شعرك فبدوت فى كليهما مثالا للحق والخير والجمال – واعتليت عرش الفن عن جدارة واستحقاق ، وهذا القليل الذى قيل فيك تراه كثيرا على تواضعك ودعتك . فدعنى يا شاعر القطرين أن أضاعفه مرات متعددة ليفى ما فى ضميرى من اكبار لشخصك ولخلقك ولشعرك . ليهنك الله بتكريم محبيك وليطل عمرك كما أجدت

تقبل اخلاص المعجبة بأدبك

روز شحفه

مصر الجديدة فى ٩ ابريل سنة ١٩٤٧

أيها الخليل المحبوب

حال المرض الشديد الذى لم يزل مستحوذا على للآن دون تمكنى من حضور حفلات التكريم الشائقة التى أقيمت لك فى دار الاوبرا وفى النادى الشرقى ولو كاندة شبرد وخلافها وارسال كلمة أعبر لك فيها عما استكن فى أعماق قلبى وعقلى من الاعجاب بعبقريتك الخالدة وتفوقك العظيم فى جميع أبواب الادب

وقد وصلنى أمس خطاب من صديقى جبران النحاس أرسل لى فيه

الابيات القيمات التى نظمها لك ونشرها فى البصير وسألنى، لجهله ما أحاق بى من المرض ، السبب الذى من أجله لم أقدم مثله على ذلك . وتبع هذا الخطاب آخر من صديقى حنا النقاش يحثنى فيه على القيام بواجبى نحوك وأنت أفضل وأخلص الاصدقاء

فلم أتمالك تلقاء هذه التنبيهات من السكوت ، وأخذت القلم ، وقد ارتعش بين أصابعى الضعيفة ، وكتبت لك الابيات الواصلة طيه علها تروق بعينيك ان لم يكن من الوجهة الشعرية فعلى الاقل من الوجهة الشعورية . فاذا وجدتها لائقة بعد أن ترمقها بعين العناية أرجو نشرها بالاهرام لحفظ ذكرى بين عشاق فنك الخالد

الى نابغة الشرق خليل بك مطران

حلقت فى أفق السماء من الأدب ... وسموت فيه على الاعاجم والعرب
ماالشعر منك سوى اهتزازات الطرب ... رنت بأعماق القلوب ولا عجب
سحر تجلى فى المعانى والبيان

صاغت لآلئه عقودا من ذهب ... بهرت ببهجتها عقول ذوى الارب
« الدنيا » فى كل الامور لمن غلب ... ستخلد الاجيال ذكرك فى الكتب
فاهنأ بما نالت يداك من الزمان

نجيب نحاس
المحامى

عن المدرسة البطريركية ـ بيروت فى ١٨ آذار (مارس) سنة ١٩٤٧

سيدى الخليل

لست أدرى كيف أصف هذه النشوة التى شاعت فى أجزاء نفسى ، فنفذت الى أعماقها كما تغمر هذه الأشعة الوهاجة أجزاء هذا الكون وتبث فى صغريات ذراته فتحييها ، يوم طلعت علينا صحف العاصمة بتلك البشرى السعيدة بشرى



تمثال نصفى للشاعر الكبير

وقد نحته المتفنن البارع الدكتور ادورد غرزوزى ، طبيب الأسنان المعروف فى القاهرة ، ليقدم اليه فى حفلة تكريمه

وفيما يلى الأبيات التى أنشدها خليل مطران بك مخاطباً هذا التمثال فى الحفلة التى أقيمت فى مساء ٢٦ مايو ١٩٤٧ فى النادى الشرقى فى القاهرة تكريماً لناحته الدكتور ادورد غرزوزى . وكان التمثال معروضاً فى الحفلة مع مجموعة من التماثيل التى صنعها المحتفل به :

مثالى راعنى حقاً	أأنت أعدتنى خلقاً
وكنت أود لو جنبت بعض عيوبى الصدقا	
بأية صنعة عجب	أعرت الصورة النطقا
فكاد النقل يحكى الأصل حتى لا أرى فرقا	
مثالى إننى أرنو	اليك وإن بى رفقا
دنا أجلى فيا جذلى	ولكن أنت قد تبقى
أخاف عليك ان تحيا	ومن يحيا ولا يشقى
لئن حملت أيسر ما	حملت لشد ما تلقى
ألا يا من نكرمه	وما نقضى له حقاً
لهذا الفن سحر يصحب الابداع والحذقا	
به أدركت يا إدور	د شأواً عز أن يرقى

تكريمكم ، ومن الخوالج النفسية ما لاسبيل الى وصفه بهذه الحروف أو الأشعة السوداء كما سميتموها قديما !

ذلك انني عدت أتلمس أسبابها ، « ولا ود بلا سبب » كما قال شاعرنا أبو الطيب ، فاذا هي ما تركتم فى قرارة كل نفس ، وفى صميم كل قلب ، لا فى صميم نفسى وقلبى أنا وحدى ، من الحب ، والاعجاب ، والاكبار ! تلك مزايا أو سمات ثلاث قل أن ظفر بها منا نحن معشر الذاهبين الا أفراد قلائل من كبار الموهوبين الخالدين ، وحسب من ظفر بواحدة منها أن يغبط نفسه ويعدها فى مصاف السعداء ، فكيف بمن جمعها فى شخص واحد ؟ . .

وهل هناك واحد من كبار الشعراء وأهل الآداب العالية أو الفنون الجميلة لم يشعر بهذه الحاجة الملحة فى حب واعجاب كحاجته الى الخبز والماء ؟ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ! وأكبر ظنى أن أهل الآداب العالية هم أحوج ما يكونون الى هذا الغذاء الروحى يغذون به نفوسهم أو لنقل الهامهم، ليستطيعوا الحياة « حتى لا يتولاهم اليأس » كما يقول الأديب الفرنسى مورياك . فهو قوام حياتهم الأدبية ، وهم لا يطمئنون حقا الى أن أصواتهم قد سرت أنغامها ، وتجاوبت أصداؤها فى كل قطر بل فى كل نفس وقلب ، الا اذا اعلولت أصوات هذه النفوس بعواطف الاكبار والاعجاب ، وجلجلت بآيات الشكر والثناء ، ومن الحق أن الحق يذكر ويشكر !

ولعل للشاعر أو رجل الفن الرفيع عزاء أو بعض العزاء فى مظاهر التكريم ، ومعانيه السامية ، عن كثير من ألوان العذاب ، ومرارة الاخفاق ، وضروب الحرمان ، وعنت الزمان ، وتواضع هذه الحياة الخفية التى يحياها راضيا بها ، وعناه أبدا الى المثل الأعلى ، والى آفاق رفيعة لا نهائية ، يدل عليها بنى قومه ويحاول جهده رفعهم الى سبحاتها ، وحملهم الى رحباتها ، اذ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ! ولعل للشاعر فوق هذا عزاء أعظم وأبقى فى الحفاوة ومجاليها السنية الباهرة اذ يستشف من خلال ستائرها ذلك السر العظيم مطمح بصره — وهو نفاذ البصر — ومهوى فؤاده ونقطة دائرته — وما أوسعها ! — سر البقاء

والخلود ! اذ يرى امتداده على الزمان والمكان ، وطموحه لا يقف عند حدود الذرية بل يجاوزها الى الامة وبقائها ، بل يتعدى هذه الامة الى الانسانية جمعاء ! كذلك هى النفوس الكبيرة أونفوس أولئك الذين تجلت فيهم هبات الله فى أرضه لا يرضيها أن يكون بقاؤها كبقاء أجسامها محدودا عابرا !

ان للشاعر رسالة عظيمة خاصة ، ومثلا عاليا يعطيه ولا يستطيعه سواه ، فهو يشهد ، كما يقول أحد الأدباء الفرنسيين ، على عظمة النفس الانسانية ، ودعوتها الالهية ، وهو يبعث فينا عاطفة نقاء الفردوس ذلك النقاء المضاع الذى لا نسترده بغير الدموع . وفى نفسه منارة يرفعها على عصف الرياح ، وانهمار السماء ، تحترق أبدا فى الظلام ، بيد أن طريقنا مغمور بشعاعها ! ألم تنظروا ، يا سيدى الخليل ، الى هذه الرسالة وتشعروا بسموها ، وواجب أدائها يوم قلتم :

الشاعرية لاتزال كعهدها بعد النبوة مهبط الايحاء
والصوت ان تدع الحقيقةصوتها والنور نور خيالها الوضاء !

هذه الرسالة العظيمة التى قمتم بأدائها أكمل ما كان الأداء، وهذا المثل العالى الذىأعطيتموه أجمل ماكان الاعطاء ، وهذه الشواهد المعززة التى أقمتموها على عظمة النفس الانسانية ، ودعوتها الالهية ، وذلك النقاء أو الفردوس المضاع الذى نشدتموه وأشعرتم بفداحة فقده،هذا الطريد الشريد أو هذا الاله الساقط ، كما سماه لامرتين ، وهذه المآدب من الأطايب التى بسطتم موائدها ، كل أولئك هو الذى أهاب بقومنا الكرام الى تكريمكم وهم فى حقيقة الواقع انما يكرمون بكم نفوسهم . ألستم سيد هذا القلم الذى خلد بهذه الأشعة السوداء خوالج نفوسهم وهماماتها ؟

فكان اذن من الحق على هؤلاء الذين نعموا بمآدبكم الأدبية التى بسطتموها حافلة ــ وأنا واحد منهم ــ أن يسدوا بعض الشىء جميل تلك اليد البيضاء،ويردوا اليوم شيئا ولو يسيرا من تلك النفحات والهبات ! أليست حياة الشاعر بشعره ، وهو قطع من حياته ، مثالا رائعا لحياتهم بل لحياة الانسانية بآمالها وآلامها ، بلطافتها وكثافتها ، بنورها وديجورها ، بنوازعها ودوافعها جميعا ؟ فاذا شكروا

فذلك بعض ما يجب ، وهم بذلك خليقون ، والفضل يعرفه ذووه . وأى ثناء يعدل هذا الذى دفع الشاعر ثمنه غاليا من دموعه ، ودمه ، وكرامته ؟!

ان الشاعر ملك أمته ، أو هو على حد لغة الذهب الأسود ثروة وطنية فلم يعد غريبا عنها ، ولا أداة لهو تصطنعها متى شاءت ، وكيف شاءت ، بل هو رسولها ، وسفيرها الى الأجيال الآتية تتيه به فخرا بين شعراء الأمم فى المشهد العمم . وحسبها شرفا وذكرا أن يمثلها عباقرة مخلدون يوم تعرض كل أمة ذخائرها ونفائسها وتطاول بمجدها . انها تحيا حياة خالدة فى تضاعيف هذه الاسفار التى تثبت للزمان ، وتغالب الفناء !

فاذا قمنا اليوم بتكريمكم يا سيدى الخليل فلنكرم فيكم الادب الرفيع، والخلق العالى ، والنبوغ العظيم وهذه الباقة الفواحة من المزايا المتفردة ولكل منها ، كما لكل زهرة جميلة ، منظر وحسن ورائحة سبحان مبدعها ! وهل تعلمون أن فى تكريمكم شيئا من الأثرة أو حب الذات فينا هو الذى انتظر مليا من الدهر حتى لم يعد بوسعه الانتظار فأراد أن يتمثل فى هذا المهرجان الحافل العظيم ؟ فنحن كأولئك الذين وصفهم الشاعر اذ قال : « لكن لأنفسهم كانت بك الأثر ! »

لذلك جئت بكلمتى هذه أرفع اليكم تحية الود والاجلال محييا نصف قرن ونيفا فى الجهاد ، والعمل ، والابداع . وأهنئكم بهذا العيد السعيد مهنئا هذه الأمة الكريمة التى دلت بتكريم نوابغها على أنها أمة رفيعة الشعور والمدارك ، تقدر القيم الأدبية حق قدرها ، خليقة أن تحيا موفورة الكرامة

وانى لجد سعيد كذلك بأن أرفع اليكم تهنئة قلبية خالصة ببلوغكم الخامسة والسبعين وهو يوبيل ألماسى ما أولانا أن نحتفل به ونرفع اليه تعالى دعاء حارا فى أن يطيل حياتكم الغالية ويحفظكم لنا ذخرا وفخرا سيدى

المخلص

الأب بولس سويد المخلصى :

أستاذ الأدب العربى فى المدرسة البطريركية

زحلة فى ٢٥ آذار (مارس) سنة **١٩٤٧**

ياشاعر الاقطار العربية

ان الكلية الشرقية الرابضة بفخر فى مراتع صباك ومجلى عبقريتك من عروس لبنان وزينة مصايف البلدان ، زحلة ـ تحيى فيك اليوم باسم عمدتها وأساتذتها وتلامذتها القدماء والحاليين الشاعر العبقرى الذى مجد قومه وبلاده ولغته فقامت تمجده بهذا المهرجان العظيم لغته وبلاده وقومه . وهذه قطرة من فيض عواطف أبنائها فيك :

سل من مهجة الخلود أهازيـ ـج ومن محجر المشاعر عبره
واذبها بالنور يطفح من لبنان ، والمجـ ـد وسدت مصر صدره
واقتطف من ضمير حب العذارى حلما واجتذب من الطفل طهره
واسكبنها بمسمع الزمن النشوا ن أنشودة تطيب عمره
واصخ تسمع بها شعر « مطرا ن » يغنى الاجيال قلبا وفكره

* * *

ايه « مطران » يا « خليل » البقاء الـ ـغض للضاد . أنت للضاد غره
ان أبت روحك الكبيرة مدحا وسرابا من زائل الجاه تكره
فهى بالرغم تعصر القلب خمرا مصه الخلد فهو منه بسكره
وجلال الاهرام فى غورها يغـ ـفى هنيئا على ورود وخضره
ليس تأبى أن يرتمى الارز فيها بشموخ ، يوهى العصور ، ونضره

رئيس الكتلة الشرقية
الاب انياس سركيس

الاسكندرية فى ٦ ابريل سنة **١٩٤٧**

سيدى الاخ الكريم أعزه الله

تحيات وأشواق . وبعد فقد دفعنى الواجب فى حفلة تكريمكم أن أنظم هذه الابيات التى تعرب عن وافر حبى واخلاصى فتقبلوها من الداعى لكم بالصحة

والعافية والعمر الطويل مزودة بأطيب التهانى بعيد الفصح المجيد أعاده الله عليكم الى سنين عديدة وأنتم ومن تحبون على أحسن حال وأنعم بال ودمتم سالمين

للمخلص

حنا نقاش

تهنئة

الى الصديق الكريم خليل بك مطران

في حفلة التكريم جئت مهنئا ... وأنا المقصر فى الثناء اذا نظم
مدحوك يامطران ثم تسابقوا ... فى وصف شعرك حيث ينشر كالعلم
اضفوا عليك من الثناء مطارفا ... نعتوك فيها بالاباء وبالشمم
هم بايعوك فكنت سيد قومهم ... يا شاعر الاقطار يا رب القلم
ته فى مقامك حيث فزت برتبة ... من فضل فاروق الفتى مولى النعم
من منك أولى بالمديح وبالثنا ... من بين أهل الضاد حتى والعجم
أقسمت انى عاجز عن مدحكم ... واليوم جئت ابر فى هذا القسم

٢ ـ البرقيات

شاعر العرب خليل مطران بك المحترم ـ القاهرة

حالت موانع قاهرة دون تحقيق رغبتى الملحة فى زيارتك قبل مغادرتى مصر وكنت أتمنى لو أتيح لى ارجاء موعد السفر لأتمكن من حضور المهرجان الكبير الذى أقيم تكريما للاخلاق الرضية التى تحليت بها وللعبقرية التى حملت مشعلها وضاء فى سماء مشرقنا فكنت رسول لبنان وناقل تراثه الفكرى الى الاقطار العربية التى دعيت بحق شاعرها الاكبر فهنيئا لك يا أخى وهنيئا للبنان بمن أنجب من الابناء الغر الميامين

بيروت   رياض الصلح

حضرة صاحب العزة الأستاذ خليل مطران بك ـ مصر

نهنىء من صميم الفؤاد الصديق الحميم ، نعتز والطائفة برافع لواء العلم والادب والفن ، ندعو بطول العمر واطراد النجاح بظل فاروقنا المفدى نصير العلم

البطريرك

القاهرة   كيرلس التاسع

لجنة تكريم الأستاذ خليل بك مطران ـ مصر

كنت معتزما الحضور لاشهد مصر العظيمة والأقطار العربية وهى باذلة لابنها الكريم وشاعرها العظيم أغلى ما عندها من تقدير وتكريم ولكن حال اليوم ما لا طاقة لى على دفعه فأرجو أن أبعث لاستاذنا الملهم بأطيب تحيتى وحبى

أسيوط   عزيز أباظه





المدالية التذكارية التي وزعت على المدعوين في المهرجان الكبير في دار الاوبرا الملكية في القاهرة ، وهي من صنع المثال الماهر الدكتور ادورد غرزوزي ناحت التمثال النصفي الذي نشرنا صورته فيما تقدم . وقد نقشت على أحد وجهي المدالية صورة خليل مطران بك وكتب على الوجه الآخر العبارة التالية :

« ذكرى تكريم خليل مطران ـ ٢٦ مارس ١٩٤٧ ـ القاهرة »

وقد ضرب منها ثلاث مداليات من الذهب . أهديت احداها إلى حضرة صاحب الجلالة الملك والثانية إلى حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية والثالثة إلى الشاعر الكبير



الدكتور ادورد غرزوزي

حضرة صاحب العزة صموئيل عطية بك

سكرتير لجنة تكريم الشاعر خليل مطران ـ القاهرة

أرجوكم قبول شكرى على دعوتكم الكريمة لحضور حفلة تكريم شاعر القطرين خليل مطران بك وكنت أود من صميم قلبى أن أساهم معكم فى تكريم شاعرنا العظيم لولا انى مضطر للسفر اليوم خارج القاهرة راجيا للمحتفل به تمام الصحة والعمر الطويل حافظ عفيفى

خليل مطران بك ـ مصر

تقبلوا منى تهانى القلبية الخالصة بحياة مديدة سعيدة مسعدة

الاسكندرية على امين يحيى

الاستاذ خليل مطران بك ـ مصر

كان الواجب أن أكون بين الذين يحتفلون بتكريمك لانك صاحب فضل على وعلى الجمعية والمستشفى القبطى فحال دون ذلك المرض فأرجوك قبول عذرى والايام بيننا

مصر جرجس انطون

سعادة الاستاذ خليل بك ثابت

دار الاوبرا الملكية ـ مصر

ضرورة ملحة منعتنى من الاشتراك معكم فى تكريم صديقنا الاستاذ الكبير شاعر مصر هذا الرجل العظيم الاصيل فى علمه وخلقه . فالى الاستاذ خليل بك مطران أبعث بتحيتى وتقديرى ودعائى لله أن يطيل عمره ممتعا بالصحة وان يوفقه فى اتمام رسالته على المنزلاوى

خليل مطران بك ـ القاهرة

يعز على أن ألزم البيت مريضا فيعجزنى القيام مع القائمين بما يقتضينى الوفاء لرب الوفاء . سأبعث بقلبياتى المخلصة الدائمة داعيا لكم بدوام الهناءة والصحة والعافية

المعادى راشد رستم

أمير الشعراء خليل بك مطران ـ مصر

تقديرنا للمحتفلين بكم وتهانينا لشخصكم الكريم وبالانعام السامى

الواسطى دكتور خليل نصير

خليل مطران بك ـ مصر

لئن حرمنى المرض فرحة تكريمكم بين المحتفلين ففى قلبى لكم أفراح وأفراح . دمت يا استاذى الجليل ممتعا بتقدير العروبة وعطف الفاروق العظيم

القاهرة على محمود طه

رئيس لجنة تكريم الاستاذ خليل بك مطران
دار الاوبرا الملكية ـ مصر

رئيس وأعضاء جمعية الاتحاد والاحسان السورية المصرية بطنطا ينتهزون فرصة تكريم شاعر الاقطار العربية الاستاذ خليل بك مطران صديق الجمعية وأحد أعضائها الشرف ليقدموا له أخلص تهانيهم وأطيب أمانيهم لما له من الايادى البيضاء على جمعيتهم ويسألون الله أن يديمه للعروبة فخرا وللانسانية ذخرا

السكرتير
دكتور اميل سعاده

خليل مطران بك ـ القاهرة

اشتركنا قلبياً بتكريم العبقرية وتهنئة شاعر القطرين بيوبيله وندعو لكم بدوام المجد وغزير البركات

صيدا (لبنان) المطران كفورى والمطران خورى

الاهرام ـ القاهرة

المحامون اللبنانيون المجتمعون اليوم بهيئة جمعية عمومية يشتركون بأرواحهم وقلوبهم وعواطفهم بتكريم شاعر العرب وأديبهم خليل بك مطران داعين له مع الاكبار والتقدير بالصحة وطول البقاء

نقيب المحامين

بيروت جبرائيل نصار

حضرة السرى خليل بك مطران ـ جريدة المقطم ـ مصر

المدرسة البطريركية فى بيروت التى أطلعتكم شمس فضل وعلم يسعدها ان تبعث بشخص رئيسها وادارتها وتلامذتها بأخلص تهانيها الى ابنها البار فى يوم تكريمه العظيم سائلة الله أن تدوموا على الدهر ذخرا وفخرا لها بل للعربيةولبنان والعرب أجمعين الاب افتيموس سكاف

بيروت رئيس المدرسة البطريركية

لجنة تكريم شاعر الأقطار العربية

الاوبرا الملكية ـ القاهرة

حفاوة العرب بشاعر القطرين مظاهرة قومية تنطوى على تكريم العرب اجمعين فباسم مدينة المسيح العربية أحيى شاعرنا وجمعكم

عيسى بندك

بيت لحم (فلسطين) رئيس بلدية بيت لحم

لجنة مهرجان تكريم شاعر الاقطار العربية ـ مصر

بعلبك الفخورة بالخليل كوكبها الساطع تسأل البارى أن يمد حياتكم أعواما زاخرة بالمجد والأدب الخالد على الدهر والمثل العليا للوفاء والتضحية والمحبة . عاش جلالة الفاروق نصير الادب وحيا الله شعبا يقدر الرجال قدرها

صلاح اللبابيدى . الدكتور محمد حيدر . فؤاد الوف . الطبيب مصطفى الرفاعى . فؤاد ابى ناضر . فريد سليمان . حبيب ملوك . محمد ياغى . حبيب طباع . الدكتور منير الوف . جوزيف خجا . فؤاد الباشا . الدكتور ملحم فريجى . المحامى فضلو أبو حيدر . يوسف فريد الهراوى . الدكتور سليم غره . المحامى سليم نجيم . الصيدلى نقولا كرباج . يوسف مراد . انطون جورج شاميه . الدكتور يوسف فرح

خليل مطران بك ـ القاهرة

زحلة التى خلدتموها بشعركم تشارك البلاد العربية بتكريم شاعر الاقطار العربية فى يوم مهرجان الشعر وتفاخر بالخليل محبة الفاروق وأبناء وادى النيل لتكريمهم واضع أسس النهضة الشعرية الحديثة سيد البيان امير الاخلاق عميد المكرمات

مرسيل نمور . اسكندر شبل دموس . جميل بيروتى . افتيموس مطران الفرزل والبقاع وزحلة . مرتينوس خليفة النائب المارونى . مفتى البقاع بشير مطرجى . المطران نيقى سابا . الدكتور نجيب فرح . هنرى أبو خاطر . وديع السيقلى . نجيب سابا . فارس جريصاتى . انياس سركيس رئيس الكلية الشرقية . عزيز زرزور . طانيوس دموس . شكرى بخاش . يوسف لاوند . ميشيال أبو الجلد . فريد بريدى . نجيب خليل نكد . فؤاد جدعون . ميشيال ديب السكاف

Sao-Paulo (Brésil) 29 Mars 1947

Samuel Bey Atiyah,
Club Oriental,
Caire.

Participons avec monde « Mihrajane » Al-Khalil une des gloires de l'époque. Les temples de Baalbeck s'écrouleront un jour mais seront éternels les temples que Khalil éleva pendant cinquante années pour la noble culture et littérature moderne des peuples arabes.

CHAFIK MALOUF
Président Ligue Andalouse
Lettres Arabes

Sao-Paulo (Brésil) 29 Mars 1947

Samuel Atiyah,
Club Oriental,
Caire.

Aux poètes fervents des Cèdres et du Nil qu'unit le tendre orgueil de célébrer Khalil je joins mon humble voix de ce lointain Brésil où ce grand jour je sens doublement mon exil.

HECTOR KLAT

Rio-de-Janeiro (Brésil) 30 Mars 1947

Club Oriental,
Caire.

Heureux fiers voir notre grand poète Moutran à l'honneur sous haut patronage Sa Majesté. Vives félicitations souhaits succès fêtes.

SAOUDA
Ministre de Liban

Washington, 2nd April 1947

Samuel Bey Atiyah,
Secretary,
Ceremonies honouring poet Khalil Moutran,
Oriental Club,
Cairo.

Have just returned Washington from United Nations. Announcement your ceremonies made in Arabic papers here. Many circles interested. Have

contacted Messrs Zaidan and Mirshak. Wish our great poet a long life of accomplishment and satisfaction and may you succeed in giving him full measure due him.

CHARLES MALIK
Lebanon's Minister

Paris, 3 Avril 1947

Khalil Moutran,
Caire, Egypte.

Ta gloire rejaillit sur nous.

Docteur NAAME

New York, 27th March 1947

Fuad Sarruf Esq.
14 Sharia Kassed,
Cairo.

The Arabic-speaking community of New York wishes to join with you in paying homage to Khalil Bey Moutran for his untiring efforts in both the literary and social fields. It is through men of his caliber and integrity that the Arab East can look with confidence to its continued progress and to contributing its share to the development of a better world.

MITCHEL E. HADDAD
President,
As-Salam Club of New York.

مأدبة العشاء الكبرى في فندق شبرد في القاهرة

١ ـ وصف الحفل

لم تكد لجنة الاحتفال بتكريم شاعر العروبة تنتهى من المهرجان الادبى الكبير فى دار الاوبرا الملكية حتى اتبعته بمأدبة عشاء فاخرة أقامتها فى فندق شبرد مساء اليوم الثلاثين من شهر مارس ١٩٤٧ رأسها سعادة الدكتور حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ ولبى الدعوة اليها نخبة من أعلام مصر والبلاد العربية فى السياسة والعلم والادب وكثيرات من كرائم السيدات

وأقيمت المأدبة فى قاعتين متصلتين كبيرتين زينتا بعدد كبير من المصابيح الكهربائية المختلفة الالوان فكانت أنوارها تتلألأ منعكسة على الموائد التى نسقت فى القاعتين أجمل تنسيق وقد انتظم من حولها عقد المدعوين يتناولون الطعام فى جو عطر أنفاسه الاخاء العربى والوفاء لشاعر العروبة ويشنفون آذانهم بالالحان المطربة التى كانت تعزفها جوقة موسيقى الفندق فى أثناء المأدبة

وجلس الى المائدة الرئيسية الدكتور هيكل باشا والمحتفى به ومعالى عبد المجيد ابراهيم باشا ومحمد على علوبه باشا وأصحاب السعادة الوزراء المفوضون للعراق وسوريا ولبنان وشرق الاردن والسيد ادريس السنوسى وتوفيق باشا دوس والدكتور حسنى بك واحمد بك يوسف وخليل ثابت بك رئيس لجنة الاحتفال وصموئيل عطية بك سكرتيرها

وبعد الفراغ من تناول العشاء قدم خليل ثابت بك الدكتور هيكل باشا بكلمة جمعت بين الشكر والتنويه بالفضل ، فارتجل سعادته كلمة كريمة فى تحية الشاعر الكبير . وعقبه الاستاذ محمد عبد الغنى حسن فأنشد قصيدة . فالاستاذ فؤاد صروف فألقى خطبة . ثم تكلم الاستاذ موريس أرقش وتضمنت كلمته قصيدة لمطران بك فى مدح الدكتور هيكل باشا

واختتمت الحفلة بقطعة موسيقية عزفها الاستاذ سامى الشوا . ثم عزفت جوقة موسيقى الفندق السلام الملكى بعد أن شكر خليل ثابت بك للدكتور هيكل باشا وللحاضرين مشاركتهم لجنة الاحتفال فى هذا التكريم لشاعر العروبة



تصوير واينبرج

حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا
رئيس مجلس الشيوخ وقد تفضل فرأس
مأدبة العشاء الكبرى فى فندق شبرد بالقاهرة

٢ ـ الخطب والقصائد التى ألقيت فى الحفل

الكلمة التى ارتجلها الدكتور محمد حسين هيكل باشا

سيداتى ، سادتى :

ظللت منذ سنة ١٩١٤ أعقد العزم على زيارة بعلبك ، ثم لم أتمكن لسبب أو لآخر من هذه الزيارة ، رغم ترددى كثيرا على لبنان . ولما كنا فى شهر يونيو الماضى بلبنان نمثل مصر فى مؤتمر بلودان ، قلت فيما بينى وبين نفسى : لأزورن هذا البلد ، ولأحققن ما حاولته مرات ومرات ، ولأشهدن بعلبك ومغانيها الفاتنة، وقلعتها الشهيرة . وذهبت فى سنة ١٩٤٦ فزرت بعلبك بعد كل تلك السنين الطوال من اعتزامى زيارتها

ولم أكن يوم زرتها أقدر اننى سأقف الآن بين حضراتكم متحدثا عن رجل عظيم نمته بعلبك ، ذلكم هو الاستاذ خليل مطران بك

نشأ خليل مطران بين الوديان الواسعة الفسيحة والمياه التى تجرى صافية عذبة زلالا . ثم ترك هذه البلاد الفيحاء وقدم الى مصر ، وأقام على شواطىء النيل ، يردد فى أنغام ، ما أحلاها ، هذا الشعر العذب ، الذى يترنم به كل عربى وكل ناطق بالضاد

واننى ـ أيها السادة ـ حين أذكر الشعراء ، وحين أذكر رجال الفن جميعا، تتجلى أمامى صورة مزدوجة من صور الحياة ، صورة الماضى بجلاله وعظمته ـ هذا الماضى المتناهى فى القدم الى حيث لا يحيط به انسان ، هذا الماضى الذى نأخذ عنه دروس حياتنا كلها ـ وصورة الحاضر الذى يأخذنا كل شىء فيه ، ويجذب ذلك الماضى اليه

وبين هاتين الصورتين تراوح عناية الفنانين ، الشاعر المجيد ، والناثر القدير ، والموسيقى الموهوب ، والمصور البارع . والذين يرجعون الى الماضى

يأخذهم جلاله وجماله وروعته ، والذين يسيرون مع الحاضر يقصدون دفعه الى المستقبل الجديد

صحيح أن أحدا من هؤلاء لا يقتصر على الماضى أو الحاضر فالحياة دائما تزاوج بين هذا وذاك

وكان خليل مطران من الصنف الثانى . عاش للحاضر فى الحاضر وجذب الماضى ليجعله حاضرا كذلك : فشعره وأسلوبه وتفكيره ، كلها حياة ، جلت فيها الذكرى ، وعظمت فيها الحيوية . ولهذا نراهم حين يتحدثون عن مطران يتحدثون عن الشعر والتجديد فيه ، وان كان الواقع أن الذين يعيشون بالذكرى يجددون مثل أولئك الذين يعيشون فى الحاضر . لكن الرجل الثائر هو الذى لا تطمئن نفسه لما ترى ، ولا يعجبه هذا العالم المحيط به ، وانما يلتمس الكمال دائما ويرجع فى سبيل هذا الالتماس الى الماضى أحيانا كما يعمل على استلهام الحاضر والارتفاع بالمستقبل

وكذلك كان خليل مطران . نرى هذا الرجل النحيل الجسم ، ظاهره كله الوداعة ، وباطنه كله الثورة . ولقد طالما جلست اليه ، وتحدثنا كثيرا ، فكنت أشعر دائما أنه ذلك الشاعر الذى يريد عالما أفضل ولا يطمئن الى حاضرنا فى هذه الحياة الدنيا . انه يطلب المثالية ، وينشد الكمال ، ولكن كيف يصور هذا الكمال ؟. هذه هى الرسالة التى ألقاها القدر على عاتق خليل مطران !!

وقد استطاع أن يؤدى هذه الرسالة ، بما تهيأ له من مواهب الفنان !! . . فالشعراء مثلهم كمثل غيرهم من الفنانين يمتازون على غيرهم فى المشاعر والاحساس . عيونهم ترى كما ترى عيوننا ، ولكنها ترى خلف ما نرى . وآذانهم مرهفة تسمع كآذاننا لكنها تسمع ما لا نسمع أيضا . وكذلك سائر احساسهم

وأمثال خليل مطران ، ممن يصورون الحياة تصويرا بارعا فى نغم مطرب ، وينشدون الكمال والمثل العليا ، أمثاله لا يعيشون فى كل جيل ، ولكنهم يعيشون فى كل بضعة أجيال

وهؤلاء هم الذين يجعلون للحياة معنى ، ويضفون عليها جمالا

أيها السادة :

اننا اذ نحتفل اليوم بمطران ، فانما نؤدى له بعض دينه الكبير . ولسنا نؤديه عن جيلنا فحسب ، بل نؤديه عن أبنائنا وحفدتنا

وانى لأتجه الآن بالقول الى صديقى خليل مطران ، فأرجو ألا يغمط حق نفسه كما فعل بالامس ، وانما يقول لمكرميه : ان ذلك فضل الله على لا بد لى منه ، حملنى رسالته فأديتها ، وخير من أدى الرسالة ، هو خير عباد الله

قصيدة الاستاذ محمد عبد الغنى حسن

جوانب الطور

جئت ألقى فى بابك الاعذارا ... كيف أهدى للروضة الازهارا ؟

أيها الشاعر المحلق عفوا .. ... ان تهيبت عندك الاشعارا

أنت كالبدر فى الوجود ائتلاقا ... أنت كالنجم فى السماء مدارا

ترسل النور فى الدياجى فتهدى ... فى الحياة المضللين الحيارى

كلما أظلم الطريق عليهم ... آنسوا من جوانب الطور نارا

* * *

هات من نايك الشجى ورتل ... ثم أصلح فى كفك المزمارا

وخذ العود فى يديك يغرد ... ويذع من حياتنا الاسرارا

لا تقل حطمته هوج الليالى ... لم تحطم من عودك الاوتارا

هات لحن الخلود منك وأمتع ... بالحديث الصحاب والسمارا

أسكر النهر من نشيدك عذبا ... ثم أعجز من لحنك الاطيارا

هى عجماء باللسان .. ولكن ... تفهم اللحن كالرحيق مدارا

أنت صاحى الخيال والعقل لكن ... تجعل الكون والانام سكارى

* * *

لم يزل قلبك الكبير كبيرا حين أمست بعض القلوب صغارا
أنت ذوبته حنانا وعطفا أنت رققته جوى واستعارا
أنت أرسلته دموعا على الطر س وسميتها لنا أشعارا
أنت هونتها بعينيك لكن زدتها فى عيوننا اكبارا

* * *

يا دليل الركبان فى القفر انى ما رأيت الحياة الا قفارا
كيف آنست بالقصيد الفيافى كيف أخصبت بالنشيد الصحارى ؟
يا دليل السفين فى البحر انى لم أخض فى الحياة الا بحارا
كيف ذللت موجها بالقوافى كيف جنبت فلكك الاعصارا ؟
كلما زادك الزمان لجاجا زدته من ابائك استكبارا
واذا ما المنى نفرن علينا فمن الخير أن نزيد نفارا
فعلينا المسعى الجميل ولكن ما علينا أن ندرك الاوطارا

* * *

يا جديد الخيال فى الشعر انا ما ألفنا فى الشعر الا معارا
أنت مهدت للجديد طريقا لم نخف فيه من يديك العثارا
نقلة فى القصيد كانت وثابا وخطى فى القريض كانت كبارا
لم تخن للقديم عهدا ولا ثر ت عليه ولا نقضت الذمارا
انما كنت للحياة مجيبا كاشفا عن جمالها الأستارا
وتراها بحاضر العين صدقا لا بعين الماضى الذى قد توارى

* * *

يا وقور الاشعار فى غير هجر أرض لبنان علمتك الوقارا
جبل شاهق يطل على الاك وان كبرا ويحقر الأدهارا
تتوالى الاحداث فيه ولكن هو أقوى ركنا وأعلى جدارا
غالب الدهر والحياة طويلا ولو اسطاع غالب الاقدارا



صموئيل عطية بك

سكرتير لجنة التكريم



الاستاذ محمد عبد الغنى حسن

هو مثل الاهرام فى الجو خلدا | يتحدى الزمان والاعصارا
مرت الحادثات فيه ولكن | لم تثر فى ذراه الا غبارا

* * *

نحن فى ساحة العروبة أهل | اتفقنا مشاعرا وشعارا
انتظمنا عواطفا وشعورا | وانتثرنا منازلا وديارا
لغة الوحى والنبوة زادت | شجر الوصل بيننا اثمارا
ألفتنا الجراح بالأمس لما | أعمل الغرب فى البلاد الشفارا
ان حرية الشعوب رباط | يجمع الثائرين والاحرارا

كلمة الاستاذ فؤاد صروف

لست أحسبنى مبتكرا أو مغاليا اذا قلت ان الاحتفاء بشاعر عربى قضى نصف قرن أو يزيد وهو يشدو ، لهوحدث جليل القدر عظيم الدلالة من أحداث الأدب فى العالم العربى ، بل من أحداث اليقظة العربية كلها . فقد عاصر هذا الشاعر نهضة العرب فى عنفوانها ، وعب من النبع الأدبى الذى أجرى فى عروقها سورة البعث ، وعرف رجالها ، وخاض غمارها ، وشارك فى ذلك كله بقلم صادق عف حصيف ، فكان لها على الأيام لسانا يتغنى أحيانا ، ويتأسى أحيانا ، وينذر أو يرشد أحيانا . فهو ابن قرون متطاولة من الأدب العربى ، قد احتشدت لتنتفض انتفاضة البعث فى نصف قرن ، وهو رائد قرون من آمال ومنى لا تزال فى ضمير المستقبل ، ولكنها احتشدت أيضا لتولد فى نصف قرن . فهذا الصدر النحيل الذى وصفه الشاعر نفسه بقوله :

الله فى صدر وهى | وتقوست منه العظام
خاو كجوف الغار تم | لؤه المخاوف والظلام

قد انطوى على طيوف الماضى ومنى المستقبل جميعا ، فلما تفطرت فى فطرته السليمة أعارها من خياله أجنحة ومن بيانه قوة ، فاذا هى فى سماء الحياة شعر خالد

بين نبع رأس العين فى بعلبك ، وأعمدة هيكل الشمس فى قلعتها ، رأت نور الحياة أول ما رأته ، هذه الفطرة العبقرية الشاعرة . واذا لها من ذلك النبع الرقراق صفاء هو فى النفس صدق سريرة ، واذا لها من تدفقه الهادىء من جوف الأرض ومن روعة تلك الأعمدة الجبارة ، عزيمة الجبار ولكن بغير صلصلة الحديد . ثم ترعرعت هذه الفطرة بين دوالى الكرم على منكبى « جارة الوادى » فتفتحت فيها أحلام الشباب وأزهار العقل ، فرقصت وشدت ، ثم بلغت أشدها فى بيروت بين قنن لبنان العتاق ، وصفحة البحر الذى هرم الزمان ولم يهرم . وهناك تمرست أول ما تمرست بسورة الصراع الدائر الرحى يومئذ ، بين النفس العربية المنبعثة من طوايا التراث المسترد ، المتطلعة الى الحق والحرية ، وبين قوى الظلم والجمود التى تحاول أن تلزمها الرغام . ثم شدت رحالها الى الغرب ، الى باريس التى كانت يومئذ موئلا لفئة من أحرار العرب . فلم تكد تلقى عصا الترحال ، حتى وقفت حيرى حيال قرار خطير . ولكن حيرتها لم تطل . وما هى الا هنيهة من الزمن ، عانت فيها عذاب الكفاح النفسى ، حتى حزمت أمرها على أن تختار . وقد كانت مخيرة فيما تأخذ وفيما تدع : أتغرب كما كانت تنوى أن تفعل ، الى حيث يكفل لها العيش الرغد والراحة بل الثراء ، أم تشرق فتعود الى ميدان النضال ، وليس فى العودة من شىء مكفول سوى شدائد النضال وآلامه ! ولعل أنصع دليل على الخير المركب فى هذه الفطرة ، وعلى قوة المنى التى كانت تجتاح النفس العربية فى ذلك الحين ، أن فطرة الخليل اختارت أن تشرق ، مؤثرة غمرة الجهاد والكفاح ، على أفياء الثروة والراحة . وكذلك بت الفتى وهو فى باريس ، وعزم أن يعود الى مصر ، مشيحا بوجهه عن الشق الغربى من كرة الأرض . فلم يكد يطأ أرضها ، ويحس بعبق التاريخ يجرى فى عروقه مرة أخرى ، حتى انطلقت فطرته الشاعرة على سننها ، واذا الآثار المنطوية فيها من بعلبك وزحلة وبيروت ، قد أخذت تمتزج بها وتشد من أزرها آثار الجهاد المصرى الرانى الى نور الحرية والكرامة ، وآثار الجهاد العربى المشوق الى بعث يعيد عصر المأمون وهارون الرشيد ، وآثار الحضارات القديمة ، التى قامت فى هذا

الوادى آية تجلو أسرار التاريخ النابض بالحياة المتجددة على الدهور

وعلى أن خليل مطران كان صحفيا مبدعا ، فى العقد التالى من سنى حياته ، وعلى أنه اشتغل بشؤون المال والاقتصاد والزراعة ، فان فطرة الشاعر العبقرى فيه وقفت مرة أخرى ، كما وقفت فى باريس من قبل ، حيال قرار خطير : أتجعل قبلتها فى الشعر أن تجارى الفحول من شعراء العربية أم تجعل قبلتها أن تتمثل خير ماجاء به الفحول ، ثم أن تنطلق فى آفاق الحياة الرحيبة ، حتى تفتح للشعر العربى أبواب الأدب العالمى ، يأخذ منه ويعطيه سواء بسواء ؟ وفى البيان الموجز الذى صدر به الخليل « ديوان الخليل » ، قال :

« عدت اليه وقد نضج الفكر واستقلت لى طريقة فى كيف ينبغى أن يكون الشعر ، فشرعت أنظمه لترفيه نفسى حيث أتخلى ، أو لتربية قومى عند وقوع الحوادث الجلى ، متابعا عرب الجاهلية فى مجاراة الضمير على هواه ... موافقا زمانى فيما يقتضيه من الجرأة على الألفاظ والتراكيب ... ذلك مع الاحتفاظ جهدى بأصول اللغة وعدم التفريط فى شىء منها الا ما فاتنى علمه ... ولم أكن مبتكرا فيما صنعت . فقد فعل العرب فى كل زمان قبلى ، ما لا يقاس اليه فعلى .. على أننى أصرح ، غير هائب ، أن شعر هذه الطريقة ــ ولا أعنى منظوماتى الضعيفة ــ هو شعر المستقبل لانه شعر الحياة والحقيقة والخيال معا ... »

وما كان النزاع الذى دار فى نفس الخليل فى الحالين ، نزاعا يسهل الفصل فيه . وكان الاختيار الذى آثره ووطن العزم عليه ، غير ما يؤثره السواد من الناس . وليس هذا بالشىء العجيب ، فالخليل من الصفوة فى كل عصر وفى كل قبيل . والحياة منذ كانت الحياة ، لم تتقدم خطوة واحدة الى الأمام ، الا بفضل القلة المصطفاة من الأحياء التى تأبى المتابعة والمطابقة التامة ، وتخرج على الكثرة التى قلما ترضى عنهما بديلا . فتسير هذه الفئة القليلة بالحياة صعدا يستحثها ناموس كناموس الجاذبية لا يرد ، يأتيها نداؤه من وراء حجب الغيب ، فتلبى النداء راضية مختارة . وهذا فى نظرى سر العظمة فى حياة الخليل وفى شعره . فقد كان فى وسعه أن يغرب وأن يثرى ، ولو فعل لكان خليقا أن ينظم شعرا

حسنا ، ولكنه اختار أن يشرق ، فاذا حياته قد فنيت فى حياة الشرق العربى ، أو هى اتسعت حتى تضم حياة الشرق العربى بين جوانحها . وكان فى وسعه أن يجارى الفحول أو يحاول أن يجاريهم . ولو فعل لكان خليقا أن يستقيم له فى بعض الأغراض قصائد أو مقاطع من قصائد تعد فى الطبقة الأولى ، ولكنه اختار أن ينظم شعرا « ليس ناظمه بعبده » ، على ما يقول ، وأن يفتح للشعر العربى باب المستقبل حتى يكون « شعر الحياة والحقيقة والخيال معا » ، واذا هو بما قد اختار، رائد له من مجد الرواد فضل الاقدام على المجاهل يرفع الستار عن مناكبها

ولو طلب المال فى الغرب ، وأوتى ما طلب ، لكان فى وسع العالم أن يسلبه ما آتاه . ولو سعى وراء المتعة فى الشرق أو فى الغرب ، ونالها ، لكان نيل المتعة كفيلا فى حد ذاته باضمحلالها . ولو حاول أن يجارى الفحول واستقام له ما يريد ، لما خرج عن أن يكون واحدا من عشرات أو من مئات ، يحذو حذوهم ويجرى على غرارهم . ولكنه أبى كل هذا ، وأركب النفس مركبا خشنا صعب المراس ، ولو هو لم يفعل سوى أن يحزم أمره على هذا الاختيار فى كلا الحالين، ولو هو لم تواته فطرته الشاعرة العبقرية على آيات وروائع،لكان حسبه فخرا أنه اختار كما اختار . فليس فى وسع أحد أن يسلبه فضل ما فعل

ولذلك حين أعود الى أوراق ديوان الخليل ، التى بليت بين يدى منذ بدأت اطالعها منذ ربع قرن أو أكثر وأقرأ فيها قصيدة « المساء » :

عمرين فيك أضعت ، لو أنصفتنى	لم يجدرا بتأسفى وبكائى
عمر الفتى الفانى ، وعمر مخلد	ببيانه لولاك فى الاحياء
فغدوت لم أنعم كذى جهل ، ولم	أغنم كذى عقل ضمان بقاء

أقول: ليس هذا المهرجان الذى حجت فيه العربية اليك، ولا هذا التكريم السامى الذى أسبغه المليك عليك ، سوى آية من آيات البقاء التى كتبت لشعرك مادام فى الدنيا عرب يتلون سورة أو يترنمون بقصيد

والشعر سلم يرتقى الناس عليه من القريب الى القصى ، ومن المدرك الى



الاستاذ فؤاد صروف



الاستاذ موريس ارقش

الخفى ، ومن الحياة التى أسدل على وجهها برقع كثيف ، الى الحيـاة فى جوهرها المطلق الرحب المنبسط أمام وجه الشمس . والشاعر يصنع لنا هذا السلم من خيال يرى ما لا نرى ، وشعور يحس ما لا نحس ، وفكر يدرك الحقيقة المستترة وراء ظواهر الاشياء . وأنت تقف الى جنب الشـاعر فلا ترى مأساة الدهور فى الوردة الذابلة ، ولا صراع الحقيقة أو الظلم أو الفضيلة ، فى سيرة الرجل المسجى أو الجنين المجهض أو الشمس الغاربة ، ولا الآمال والمنى التى تموج فى صـدور خلائق هى « عد الرمال » . حتى اذ نطق الشاعر رأيت بعينه ، وسمعت بأذنه ، وأدركت بعقله ، واذا ستار من الاستار المسدلة على روائع الكون ومعجزات الحياة ، قد رفع قليلا فرأيت مشهدا يفتن الألباب ، وألفيت ضياء يدنيك قليـلا من فهم الحقيقة

وشـعر الخيال حافل بآيات رائعـة على هذه الأغـراض التى ينشدها الشعراء ، ولا تتم نعمتها العلوية الا لـكبارهم

مختارات من شعر مطران

فى الكفاح

ليس بالـكفء لعيش طيـب كل من شق عليـه العيش حرا

ليت البلاد التى أخلاقها رسبت يعلـو بأخلاقهـا تيـار طغيان
النـار أسوغ وردا فى مجال على من بارد العيش فى أفياء فينان

ولـكن قـوما يذودون عـن حقيقتهـم من يد المعتـدى
ويدفعـهم حب أوطانهـم ويجمعهـم شرف المقصـد
وان غالبتهم جيـوش المنـايا تغالب ، وان جاهـدت تجهـد

فى الدعوة الى اليقظة

نمنا على جهــل وقـد — عاش الكرام ونحن لم
فـاذا انقضت آجالنــــا — فمن الرقاد الى العـــدم
واذا بعثنــــا بعــــدها — فكأنها رؤيـــا حلـم

لا يعصم الأمم الضعيفة فطـرة — الا فضـائل بالتجـارب تكسب
فتكون حائطها المنيع على العدى — وتـكون قوتهـا التى لا تغلب

ولم أر شـيئا كالفضيلة ثابتـا — نبت عنه آفات البـلى والمعاطب

فى صور الطبيعة والنفس

يا للغـروب وما به من عبرة — للمستهـام ، وعبـرة للرائى
أو ليس نزعا للنهار وصرعة — للشمس بين جنازة الاضواء
أو ليس طمسا لليقين ومبعثا — للشك بين غـلائل الظلماء
أو ليس محوا للوجود الى مدى — وابادة لمعـالم الاشـيـاء
حتى يكون النور تجديدا لها — ويكون شبه البعث عود ذكاء

وكم فى فؤادى من جراح ثخينـة — يحجبهـا بردای عن أعين النـاس
أرى روضة ، لـكنها روضة ذوت — وأصغىوما فى مسمعى غيروسواس
وأنظر من حولى مشـاة وركبـا — على مزجيـات من دخان وأفراس
كأنى فى رؤيا يـزف الاسى بهـا — طوائف جن فى مواكـب أعراس
أنا الاسـد الباكى أنا جبـل الاسى — أنا الرمس يمشى داميا فوق أرماس

وكان يهـم الصبح أن يتطلعـا — ويفتض أزرار السمـاء ليسطعـا
ويرفع ثوب الليـل عنه ليخلعـا — فلم يطو منـه الذيل الا وقـد وعى
دما طاهرا أجـراه اثم فـتى نذل

والى ذلك كله كان قلم الشاعر فى يد الخليل مزمارا يوقع عليه ألحان الوفاء لمن يرحل من لداته ، حتى صار ديوان مراثيه صفحة مشرقة من تاريخ هـذه الحقبة الحافلة بالعظماء

الا أننى أحس أننى أظلمك أيها الخليل ، حين أقسم وابوب واستل من شعرك أبياتا من هنا ، وأبياتا من هناك ، فما كان البيت فى قصيدك غاية تحدو اليها ركائبك، ولا كان المعنى فى شعرك منفصلا عن المعنى العام الذى يضم الحياة كلها . ولكن ما حيلتى ! فلا بد لى من شىء كالموشور يحل ذلك الضياء المتوهج المنبعث من فطرة شاعرية عبقرية ، ما زال سناها يغمر العالم العربى منذ نصف قرن أو يزيد

فانفحنا أيها الخليل ، مد الله فى عمرك ، من جديدك ، أو انشر علينا من قديمك شعرا نسمو به فوق ذواتنا الصغيرة الى مسابح النجوم

« تالله ما ظلل الغمـــام معـــاقل   تنأى عليك ، ولا النجوم حصون »

كلمة الاستاذ موريس أرقش

لمطران جوانب شتى من الفضائل يستطاب فيها الحديث . فهو رجـل سمح ، جواد . . يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه . وثاب عندما تدق ساعة النجـدة . عفـو عمن يسىء اليه . ليس فيه جفـوة لعارفيه . ولا نبـوة عن جاحديه . يحمل بين جنبيه قلبا عامرا باليقين والصفاء . فقد صفا منـه ذلك القلب حتى عاد يسع الناس جميعا . لأنه قلب ملك الناس جميعا

* * *

خليل مطران ملاك الفضائل كلها . وكل فضيلة منها كافية لتـكريس حياة رجل كامل . ولولا موهبـة الله ـ يخص بها بعض عبـاده ـ لأجدبت

الحياة عن الفضائل وبخاصة فى هـذا الزمن الذى برزت الحياة المادية فيـه ، لا تشايع فضيلة ، ولا تلامس قلبا رحيما ، ولا تلوى على حياة كريمة

وتلك حياة الذين لم يفهموا الحياة على أوضاعها . فظنوها متاعا يستمتعون بها كما تستمتع الحيوانات الضالة بخصب النبات . ولكنهم اذا فهموا الحيـاة على وضعها الصحيح ، وانها مصدر خير للناس جميعا . وان المال عرض حائل . وظل زائل ، ترتحل سطوته ، وتبقى بين الناس سيرته . لا يحرم منه محتـاج ، ولا يبعد عنه مرزوء ـ لأمكن لكل انسان ، كخليل مطران ، أن يقوم برسالته فى هذه الحياة

قدر مطران فى نفسه مساوىء الحياة ومحاسنها . فآثر محاسنها واطرح مساوئها . فأصبح رجلا مكرما . يحمل فى أطواء نفسه الذكية من صفات يندر أن يتسق حبلها لعدد من الرجال

* * *

خليل مطران أمة فى رجل . سموح ، تفيض المكارم من جنبات نفسه

وما أحوج الاغنياء الذين تعج خزائنهم بالذهب الى أن يترسـموا خطاه ليروا كيف يأسو الجراح فى سكون تسـمع معه دقات قلبه . ولا تعلم يسراه ماذا أنفقت يمناه

وهو لايريد بذلك الا ابتغاء مرضاة الله

لو أن بعض الأغنياء الذين أخذتهم الـكظة ، استجابوا لداعية الضمير الحى ، لمحت الرحمة الشقاء بين بنى الانسان

* * *

هؤلاء بعض أغنيائنا ـ وهذا مطراننا . فانظروا كيف بلغ هذا الرجل بما تقدمه أسرارا يداه

لقد بلغ بجلائل أعماله مناط الجوزاء . واقتعد ، بما يسلفه الى بنى جنسه،



صورة طبيعية صادقة لتواضع الشاعر الكبير. وقد وضع يده على صدره شاكراً للدكتور هيكل باشا ما كان يبديه له من آيات الاعجاب في مأدبة العشاء التي أدبت لتكريمه في فندق شبرد في القاهرة . وقد ظهر إلى يساره المغفور له تحسين العسكري بك ، وإلى يمين هيكل باشا السيدة عقيلته

ذروة الثناء . حتى انه ليخيل الى عارفيه انه خلع عن نفسه غاشيات الطبيعة . يلقى على الناس بنواطق أعماله أبلغ العظات . وماذا أحدثكم عن أدب مطران الذى ملأ جلاله المشرقين . وحسبى أن أشير اليه بأنه موسوعة أدب ـ جمعت بين القديم والحديث غربيه وشرقيه ـ فى لغة الناطقين بالضاد . ولعل أبرز ظاهرة فيه انه جمع بين عهدين فكان لهما قطب الرحى

كان خليل مطران فى فجر الصحافة المصرية علما من أعلامها . وقطبا من أقطابها . وهو فى مجالس الأدب عاهل من عواهله . فهو كالبحر . ان تواثب بأمواجه أغرق . وان جاد بجواهره أغدق . وهو عذب السمر . فياض الحديث . جوال فى دقة المعنى . لايكاد ينساب فى سمره انسياب الماء فى المروج الخضراء . الا وقد روى أزهارها . . فأينعت جنباتها . وتفتحت أكمامها . وبلغت من النماء القوة والحياة

حديثه السحر الا انه نغم جرى على فم داود فغناها

ان البشرية لا تعرف فى قواميسها مالا يدخر فحسب . انما الذى تعرفه خلقا رضيا ، أبيا على الدهر

والأخلاق الفاضلة مقياس الأفراد . فبقدر ما تأخذ منها بقدر ما تهدف الى العلى . وبقدر ما تنحرف عنها بقدر ما تنحدر الى فناء محتوم

والأفراد مقياس الأمم . فمن سخر نفسه عبدا للمال ، ذل وهان

ومن جعل المال له ولغيره ، كان له أعذب سيرة

فقد خلق المال لتعالج به أمراض البشرية وجراح الانسانية . ولم يخلق ليكون حجرا يدخر . وبقدر ما يسدى الانسان الى آفاق الخير من خير المفاخر . بقدر ما يستبقى من الذكر الخالد والثناء العاطر . وبذلك العمل الجليل يكون قد أدى رسالته الى بنى جنسه

هذا ما فهمه خليل مطران . فاقتعد بمآثره الجلى عرش القلوب . وأصبح

فى الناس قدوة علياء يترسمون خطاه . ويستهدون بهديه فى الخلق ، والسماحة ، والنجدة ، واغاثة الملهوف

* * *

هذا مطراننا ـ مسلمين ومسيحيين ـ ملك نواحى القول ، والخلق الكريم ، والرأى السليم

له فى كل أفق آية

وفى كل فج هداية

فلا غرو أن يستهدى الناس بهديه

وان يترسموا بالغ نهجه

ولا عليهم بعد ذلك شىء

ما أخذوا من الاخلاق بقسط وفير

وما المصائب اذ ترمى الرجال   بقاتلات اذا الاخلاق لم تصب

قصيدة

لخليل مطران بك فى مدح الدكتور محمد حسين هيكل باشا

(تلاها الاستاذ موريس أرقش فى الحفلة)

ترسل هيكل ماء مصفى   حبته بسرها بنت الكروم
أحب اليك من كأس الحميا   على شوق ومن أنس النديم
ترى فيه ذكاء عبقريا   ودقة فطنة وصفاء خيم
وتسمع للسلاسة فيه جرسا   كنغمة صوته السلس الرخيم
بيان ما تشاء تصيب فيه   سرور مساهم وأسى قسيم

تزور به ديارا لم تزرها ... ملما بالمقام وبالمقيم
فتعرفها وتشهد ساكنيها ... كأنك فى الديار من الصميم
وتستدنى الجنان منورات ... تفوح بهن أعراف النعيم
يلطفها وبالتلطيف تزكو ... فتفضل كل طيب فى الشميم
وتفتقد الاسى من كل قلب ... بحيث قرارة الجرح الاليم
فحسك حسه لكن برءا ... كلومك وهى من تلك الكلوم
وتنظر فى السرائر والطوايا ... ممحصة الحميد من الذميم
فلا يخفى عليك أدق شىء ... يجول بخاطر العانى الكظيم
وترعى ما النفوس به تناجى ... بأخفت من مناجاة النسيم
وقد تلقى هناك مصورات ... ولم يخطرن فى ظن الحميم
هو الوصف العجيب وليس تلقى ... له وجها سوى الوجه القسيم
تفنن هيكل فيه فأبدى ... لطيف الحسن فى أجلى الرسوم
يطيل ففى الاطالة منه سر ... يديل الشوق من سأم السئوم
فان يوجز ففى الايجاز رجع ... شهى ما تردد فى الحلوم

***

فأما البحث ينضو الرأى فيه ... وينهض منه بالعبء الجسيم
ويستوفى به ما قدمته ... نهى البلغاء من عرب وروم
ويبذل جاهدا فيه قواه ... لاصلاح خصيص أو عميم
بفكر فى منازعه جرىء ... وقلب فى مراجعه كريم
فمضمار مضى فيه حسين ... مضاء المقدم الدرب العزوم
وجارى السابقين به فجلى ... وبز المعلمين من القروم

مأدبة الغداء في نادي الروتاري في القاهرة

تتابعت حفلات التكريم لشاعر العروبة . فبعد المهرجان الكبير فى دار الاوبرا الملكية ، ومأدبة العشاء الكبرى التى تلته فى فندق شبرد ، أقام حضرة الاستاذ ادجار جلاد بك ، صاحب جريدة « جورنال ديجيست » فى اليوم الاول من شهر ابريل ١٩٤٧ مأدبة غداء فى نادى الروتارى فى القاهرة حضرها رجال السلك السياسى وأعضاء المفوضيات ونخبة من الادباء الوطنين والاجانب . وبعد أن شرب رئيس النادى ، الاستاذ فيلكس موصيرى ، نخب جلالة الملك ألقى صاحب الدعوة كلمة بالافرنسية عن حياة المحتفل به وآثاره الفكرية وفنه ، عقبتها كلمة رقيقة من الدكتور طه حسين بك قال فيها :

اذا كان خليل بك استاذ المدرسة الشعرية الحديثة فهو أيضا من أعلام المدرسة الشعرية التقليدية ومن ميزات فنه انه جدد الاداب العربية مع الابقاء على مقوماتها التليدة

وكان مسك الختام كلمة شكر ألقاها المحتفل به

وفى ما يلى كلمة الاستاذ ادجار جلاد بك :

Dans cette semaine littéraire, en l'honneur de Khalil bey Moutran, le grand poète des pays arabes, je suis heureux d'être le premier orateur à le féliciter, au nom du Rotary Club et en mon nom personnel, publiquement pour la haute distinction dont il vient d'être l'objet de la part de S.M. le Roi. Notre Auguste Souverain a voulu ainsi récompenser un des plus nobles exemples d'une vie entièrement consacrée aux Lettres, déroulée dans la plus haute abnégation et oubli de soi. Ce sont toutes les Lettres arabes que Sa Majesté vient d'honorer en sa personne.

●

Dans ce cercle d'essence internationale, il est logique et juste que soit rendu un hommage à Khalil Moutran, non seulement par esprit de coopération intellectuelle avec l'opinion égyptienne et arabe, mais parce que le poète que nous fêtons est un des écrivains qui ont le plus fait pour les échanges des deux cultures. Les Lettres européennes, françaises et anglaises, lui doivent la diffusion en arabe de quelques-uns de leurs plus beaux chefs-d'œuvre et l'éveil de l'intérêt du grand public pour les littératures étrangères. Nous sommes donc dans la plus classique tradition du Rotary, en soulignant par cette réunion notre estime pour Khalil Moutran.

Comme il m'est agréable de souligner que LL.EE. les ministres d'Espagne, de Turquie, de Pologne, du Liban, de Tchécoslovaquie, le Secrétaire Oriental de l'ambassade française, l'attaché de presse de Grèce, en acceptant notre invitation, ont tenu à s'associer à cette grande fête du monde arabe,



ادجار جلاد بك



الدكتور طه حسين بك

تصوير واينبرج

ainsi que ces éminents représentants de l'Intelligence, de la Culture et de l'Art européens que sont MM. Levy-Provençal, de Comnène, Bernard Guyon, Charles Kuentz, Henri Soulon, Pierre Jouguet, Arnaldez, Morik Brin, A. J. Boyé et qui sont assis parmi nous, sans aucun protocole, d'après la loi rotarienne !

Vous me permettrez également d'adresser un salut spécial à S.E. M. Ben Djennef, le premier ministre plénipotentiaire musulman de la République auprès de S.M. le Roi Ibn Séoud qui, de passage au Caire, a accepté notre invitation, étant lui-même un grand représentant de la fusion des deux cultures, sans modifier la personnalité originale.

●

Messieurs,

Khalil bey Moutran est né à Baalbeck, Liban, dans cette région sur laquelle les ruines du Temple du Soleil projettent une ombre de poésie épique et qui ne sera pas sans influence sur l'adolescent grandi dans leur atmosphère. Au moment d'achever ses études à Beyrouth, déjà brûlant de la fièvre d'écrire, il publie un article qu'on jugea séditieux, et pour échapper aux représailles du tyran du jour, il céda aux sollicitations de ses parents et se réfugia à Paris. Etape importante de son évolution, car il y saisit toutes les nuances et les finesses de la poésie française, dont il devait plus tard transposer en arabe les vers les plus subtils.

Puis, toujours conséquence de son esprit frondeur, il dut quitter la France et partir pour l'Egypte, y arrivant ainsi du Liban par ce détour parisien. En Egypte, il fut rapidement engagé par le fondateur de l'« Ahram », Bichara Takla pacha, dont il fut le rédacteur en chef pour quelques années, se faisant remarquer par sa défense passionnée des libertés publiques, en un style d'une grande qualité littéraire. Entre-temps, il avait traduit du français en arabe le Précis d'Histoire Naturelle de Victor Dury (2 volumes) et puis — ne vous en étonnez pas, Messieurs — les cinq grands volumes d'Economie Politique de Leroy-Beaulieu, en collaboration avec un autre grand poète, Hafez Ibrahim, l'adaptateur en arabe des « Misérables » de Victor Hugo.

Ainsi, la langue arabe doit son premier traité d'économie politique et surtout son vocabulaire d'expressions techniques, en usage jusqu'aujourd'hui, à deux poètes. Fort heureusement, ils ne s'égarèrent pas longtemps dans ce domaine et revinrent à la poésie pure. Mais Khalil Moutran avait également traduit en arabe « L'Education de la Volonté » de Payot, en annotant par des réflexions et des conclusions personnelles chaque chapitre. Puis il édite la « Revue Egyptienne » où, pendant trois ans, se plurent à écrire les grands écrivains de l'époque. La revue fut suivie d'un quotidien, « Al Gawaeb Al Masria » (Les Nouvelles Egyptiennes), et par la fusion de cinq grandes imprimeries en une seule. Ici semble finir la carrière d'éditeur et d'imprimeur du poète.

Tant mieux pour la Littérature.

●

Cinquante années de production inlassée et qui continue jusqu'aujourd'hui, vous admettrez, Messieurs, que je ne puisse en marquer que les Majuscules, sans analyse des détails.

Pour le théâtre, Khalil Moutran a publié quinze pièces environ, dont les traduction de Shakespeare : *Hamlet, Macbeth, le Marchand de Venise, Othello* et *le Roi Lear*. Des traductions de Corneille : *le Cid, Cinna, Polyeucte*. De Racine, l'incomparable *Bérénice* ; et de Victor Hugo, *Hernani*.

Traductions, diriez-vous, donc œuvres sans originalité : non. D'une langue européenne en une autre langue européenne, la traduction est peut-être simple virtuosité, sans création, mais pas quand il s'agit de langues d'un génie si différent que les langues anglaise, française et arabe. Ici, il faut de l'adaptation ; il faut une nouvelle écriture de l'œuvre première ; il faut de l'invention et du sens musical. Une splendide image, une phrase éclatante, des stophes puissamment orchestrées ou des vers d'une flexible douceur deviennent insipides, simplement traduites. Il faut en habiller la pensée dans une forme sans aucun rapport avec la première et être soi-même un très grand écrivain arabe pour que le monologue d'*Hamlet* ou une tirade d'*Hernani* ou une plainte de *Bérénice* produisent en arabe la même impression qu'en anglais ou en français. C'est ce que Khalil Moutran a réussi comme pas un, car il s'était donné pour but de recréer en arabe le style de l'auteur. Aussi, le style arabe de Moutran, dans son adaptation de *Macbeth*, n'a rien de commun avec son style arabe dans *le Cid* ou dans *Hernani*. Comme son talent est riche, carié, il sait lui faire rendre la violence, la noblesse ou la tendre spiritualité par des gammes de mots précis et musicaux.

C'est pourquoi ces prétendues traductions sont classées comme des œuvres dans lesquelles la contribution de l'adaptateur lui est comptée autant qu'une création originale. Mais le triomphe de Khalil Moutran fut dans l'adaptation des *Nuits* d'Alfred de Musset. Entre lui et le fiévreux romantique, vibrant de toutes les émotions jusqu'à la douleur créatrice de chefs-d'œuvre, de profondes affinités permirent à Khalil Moutran de donner en arabe des *Nuits de Mai et d'Octobre* qui ne cessent d'exalter l'ardente jeunesse qui les lit et s'en inspire.

L'influence de ces traductions de Khalil Moutran a été énorme et a créé un grand mouvement de curiosité vers les Lettres occidentales.

•

Mais ces ouvrages, si précieux qu'ils soient, ne sont pas ceux qui ont assuré à Khalil Moutran sa gloire poétique, son titre de poète des peuples arabes.

C'est l'extraordinaire variété de ses poèmes, des chefs-d'œuvre dans chaque genre.

Il a écrit une véritable « Légende des Siècles » en puisant dans l'Histoire de l'Egypte et dans l'Histoire Universelle des figures de Rois, de Martyrs, de Héros pour en faire le sujet d'épopées d'un grand souffle et d'un saisissant relief d'Images. Son Ramsès II et son Néron sont parmi les plus beaux poèmes de la littérature arabe. Mais dans la sonorité des poèmes et la splendeur des images, se glisse toujours une pensée philosophique. Ramsès, c'est le conquérant qui, grisé par ses victoires et sa popularité, finit par se croire dieu, après s'être proclamé chef de la religion et avoir tyrannisé son peuple.

Néron, c'est le tyran qui, s'illusionnant sur ses dons artistiques, finit par

brûler Rome pour y puiser une inspiration. Mais à qui la faute ? Au peuple romain qui s'est laissé faire. Et il établit la responsabilité des peuples dans l'instauration des dictatures, quand il leur dit : « Chaque peuple crée son Néron ». Cette description de l'incendie de Rome par Moutran est devenue une page d'anthologie.

Mais voici que, de l'antiquité, la pensée du poète glisse lentement vers les temps modernes, et Moutran s'attaque maintenant aux autocrates du jour. Il a la haine de la tyrannie et écrit une série de châtiments, de poèmes vengeurs qui retentissent dans tout le monde arabe. Il devient l'expression de ses aspirations, et mérite ainsi ce nom de poète des peuples arabes, ce couronnement qui vient de se dérouler à la cérémonie de l'Opéra.

Une des caractéristiques de la poésie arabe est le poème de circonstance en l'honneur d'un personnage de marque, soit de son vivant, soit après sa mort. Dans la poésie occidentale, ce genre semble plus ou moins faux mais, en arabe, est des plus naturels et sa tradition, remontant à des siècles en arrière, est arrivée jusqu'à nous pleine de vigueur. Les poètes médiocres en font une banale flatterie et leur poème meurt avec l'actualité. Mais les grands poètes en font des œuvres qui demeurent. Un Khalil Moutran, par exemple, commence par en faire des portraits d'analyse psychologique. Il pénètre dans le profond même de son héros, démonte son mécanisme cérébral et affectif, les motifs moraux de son acte, et le personnage devient ainsi un « type », un « caractère » qui a sa vie propre. Bien plus, en le situant dans les événements qui lui ont permis d'affirmer sa personnalité, il commente les événements au point de vue général et le poème devient une page de grande histoire comme son poème sur la mort de Moustapha Kamel, de Saad Zaghloul ou de Chawky bey. Dans le recueil qui bientôt paraîtra, en suivant la filière de ses poèmes, on découvrira qu'ils forment une véritable histoire de l'Egypte durant les dernières cinquante années.

De tous les poèmes et discours qui, depuis quelques années, sont récités, prononcés ou écrits en l'honneur de notre grand poète, il se dégage une idée capitale : Khalil Moutran est le maître de l'Ecole Moderne, l'homme qui a rajeuni la poésie arabe, qui lui a ouvert des horizons nouveaux. Jugement que personne ne discute et qui lui fait une place à part dans la littérature arabe, celle d'une tête de chapitre, d'un chef de file.

Moutran a voulu prouver que la langue arabe se prête à tous les genres et qu'elle n'est pas rigide, immuable. Après en avoir tiré les grandes sonorités orchestrales de la poésie épique, nous avons vu comment il l'a subtilisée jusqu'aux résonances des *Nuits* de Musset ; puis ce furent des poèmes verlainiens, avec cette fluidité, cette musique avant toute chose, auxquelles répondirent ensuite la simplicité émotive d'un Sully Prudhomme ou la précieuse virtuosité d'un Rostand. Sous la plume de Moutran, la rime devient légère, chatoyante, loyale, tandis que le rythme s'assoupit et se prête à toutes les cadences. Malgré l'opposition des conservateurs farouches, il introduit des innovations qui offrent à tous les talents les possibilités d'expression, qui s'adaptent à l'évolution des temps. Aussi les jeunes se réclament-ils de lui comme Chef d'Ecole et considèrent-ils Moutran comme un des leurs, aussi jeune qu'eux.

Je regrette de n'avoir pas devant moi deux ou trois heures de temps pour vous lire des poèmes illustrant cette étude et de ne pouvoir vous en

donner qu'une idée approximative. Mais s'il me faut résumer en une formule Khalil Moutran et son génie, je vous dirai qu'il est l'homme de toutes les poésies, c'est-à-dire de la Poésie elle-même, ne se limitant pas à un genre, mais les abordant tous avec un égal bonheur. De là vient son immense popularité. Les hommes d'action, les patriotes, les cœurs généreux trouvent en ses poèmes les appels ardents, créateurs d'enthousiasme, les vers qui exaltent et soutiennent l'action périlleuse, le sacrifice ; les penseurs trouvent en d'autres poèmes la méditation profonde, la réflexion clairvoyante, la leçon de sagesse, la vérité de la condition humaine ; les romantiques et les âmes nées pour aimer et souffrir bercent de ces vers leur peine dolente, leurs brèves ivresses et leur nostalgie des bonheurs perdus, tandis que les hommes d'action publique, politique s'instruisent aux conclusions de ses poèmes d'histoire, qui leur rappellent toutes les chutes des tyrans, le péril des ambitions démesurées et les adjurent de ne jamais oublier le droit des peuples à la liberté et au pain quotidien.

●

Le style, c'est l'homme ; la poésie de Khalil Moutran est l'homme. Aucune dissociation entre sa pensée et sa vie, et quand on se penche sur la suite des jours qu'il a vécus et qu'il vit, on découvre que son plus beau poème, le plus clair, le plus harmonieux, le plus vrai, est encore sa vie. Les jours se renvoient les mêmes rimes riches de simplicité, de modestie, de désintéressement et de travail ininterrompu ; toutes ses actions se rythment encore en une émouvante unité ; les mois et les années s'équilibrent en des strophes de même noble inspiration.

La gloire n'a jamais grisé Khalil Moutran. Il y a trente-quatre ans, sous la présidence de S.A.R. le Prince Mohamed Aly, avait lieu une grande fête en l'honneur du poète que le Souverain venait de décorer ; tous les grands poètes et écrivains lui rendirent hommage, à leur tête Ahmed Chawky bey et Hafez Ibrahim, ses pairs dans la gloire. Khalil bey n'en est pas moins demeuré l'homme simple et modeste que vous voyez aujourd'hui ; il y a un an que nous insistons auprès de lui pour qu'il accepte l'hommage littéraire de cette semaine ; nous avons dû également lui forcer la main pour qu'il accepte d'éditer ses œuvres, car, poète dans tout le sens du mot, il écrit et cède à l'inspiration, puis ne s'en occupe plus et laisse son poème faire son chemin, comme un enfant prodigue parti tenter sa chance à travers le monde, sans que son père lui organise son succès. Tous ces admirables poèmes, partis aux quatre vents, nous essayons aujourd'hui de les retrouver, de les ramener au bercail pour les grouper en de recueils durables. Des *Nuits* de Musset, par exemple, je vous dirai que deux sont perdues ; nous n'en avons retrouvé que deux, heureusement les plus belles, celles d'Octobre et de Mai, et le poète lui-même ne peut retrouver les autres. Ce trait dit l'absence de toute vanité littéraire en lui ; il se refuse d'accorder une importance exagérée à ce qu'il écrit, au grand désespoir de ses innombrables admirateurs. Mais nous sommes aussi tenaces qu'il est dégagé de tout intérêt ou ambition ; nous arriverons à le faire éditer la plupart de ses œuvres et, ce jour-là, j'espère qu'une réunion nous groupera, pour une conférence d'un critique plus autorisé comme Taha Hussein bey et Antoun Gemayel pacha, et qui nous analysera en détail, avec des citations, cette œuvre poétique qui est une des pièces maîtresses des lettres arabes de tous les temps.

حفلة الأندية الخمسة في النادي الشرقي في القاهرة

١ – وصف الحفل

اشترك النادى الشرقى ، ونادى لبنان ، ونادى الشبيبة ، ونادى الاتحاد الارثوذكسى ، ونادى هليوبوليس الرياضى ، فى اعداد حفلة شاى شائقة أنيقة أقيمت فى مساء اليوم الثانى من شهر ابريل **١٩٤٧** فى حديقة النادى الشرقى بشارع سليمان باشا تكريما للشاعر الكبير ، شهدها لفيف من أصدقائه وعارفى فضله

وافتتح الحفلة حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك ، رئيس النادى الشرقى،بكلمة موجزة أشار فيها الى الغرض الذى أقيمت من أجله الحفلة وقال انرئاستها لشاعر الشباب الاستاذ عادل الغضبان رئيس نادى الشبيبة .وهنا ألقى الاستاذ الغضبان كلمة رحب بها بالحاضرين ، ونوه بمزايا الخليل ، ومساهمته فى نهضة اللغة العربية ، كما أشار الى ما تشعر به القومية من عزة وكرامة وخيلاء عندما ينبغ فيها شاعر

ثم تعاقب الخطباء والشعراء بالترتيب التالى : –

الدكتور انطون صفير بك	خطاب
الاستاذ حسيب غبريل	قصيدة القاها الاستاذ حبيب برنوطى
الاستاذ السيد محمد أبو المجد	خطاب
السيدة ايفا غرزوزى	خطاب
الاستاذ مختار الوكيل	قصيدة
الاستاذ ميشيل سعد	قصيدة
الاستاذ لبيب برنوطى	خطاب

وتخلل البرنامج قطعة تمثيلية من رواية « مكبث » لشكسبير ألقاها الاستاذ جورج أبيض بك

وبعد ذلك عزف الاستاذ سامى الشوا فاصلا من الموسيقى قوبل بكثير من الاستحسان . واختتمت الحفلة بالسلام الملكى

٢ - الخطب والقصائد التي ألقيت في الحفل

كلمة الدكتور انطون صفير بك

أيها السادة الاجلاء

من الاسماء ما يحتاج الى تعريف ، ومن التعاريف ما يقصر عن الوفاء بالغرض المنشود . ومن ثم ينشأ حوار فيه ، فخلاف على حقيقة مدلوله ومدى أثره

ومن الاسماء ما يغنى ذكره عن كل تعريف ويقبل أكثر من تعريف . ويكفى أن تسمع به أو تقرأ له حتى تعرفه ، وأنت لم تره . كأنما المقصود بهذا التعريف أعمال المرء من دون جسمه . تبلغ الناس فيتحدثون بها ويتناقلونها ، فاذا كانت هذه الاعمال مما يعود على الناس بالنفع المادى والمعنوى ، كالخير والبر والتضحية ، لم يكتفوا بالتحدث بها ولا بتناقلها ، بل أذاعوها فى أديانهم وحضاراتهم وثقافاتهم ، ونقلوها للاجيال المتعاقبة فى كتبهم قدوة انسان للناس جميعا . وهكذا يتجرد ذو الشهرة الحميدة من جسده أولا ، ثم من زمانه ومكانه، ولا يبقى له من كل ما تواضع الناس عليه الا انسانيته ، التى تصله بالناس كلهم، بأدق ما فى أحاسيسهم ، وأعمق ما فى خواطرهم ، وأخص ما جبلوا عليه من عواطف كريمة ، وأنبل ما سموا اليه من مثل عليا ، واذا هم يكتشفون على نور معرفته معرفتهم بأنفسهم . فتقترن الشهرة الحميدة بالحب العميق والاعجاب الرائع الشديد ، ويكتفون من معرفته ومعرفتهم بهذه المتعة من الرضى . وقد يحاولون تفسيرها فينجحون حينا ويخفقون حينا ، لان الاحاطة بسر الانسانية أشبه ما تكون بمن يحاول الاحاطة ببحر خضم ضمن اطار ضيق الجنبات ، يراه جيدا ويشعر به مليا ولكنه يعجز عن وصفه فى ذاته وشعوره . ذلك أن الشهرة تكون قد طبعت فى مخيلات الناس ، صورة لذلك الاسم ، لا تقوى عقولهم ، مهما حصفت ، على ردها الى عناصرها ولا تقدر أساليبهم ، مهما جزلت ولطفت ،أن تعبر عنها

ونموذج هذه الشهرة ، على غاية ما تبلغ اليه، من الكرامة والنبل والروعة، شهرة خليل بك مطران : فمجرد ذكر اسمه ، يبعث فى النفس ما يبعث عليه الروض الاريض فى ابان الربيع وقد تدفقت الحياة فيه ، فرقرق ماؤه ، واكتست أغصانه ، وتفتحت أزهاره وفاح عبيره وتغنى طيره . ولم يبق فيه ساكن أو متحرك الا وطغت عليه الحياة الحارة الحلوة الموسيقية ، ما بدل أشكاله وألوانه وظلاله تبديلا خلق منها عالما جديدا . وان نحن عرفنا أن لا ورقة من ورقاته لها شكل اختها ، ولا زهرة من زهراته لها لون شقيقتها ، ولا غنة من أغاني طيوره فيها حنان النغمات الأخر ، ان نحن عرفنا ذلك أو بعضه ، أدركنا ان الاحاطة بانسانية مطران كالاحاطة بالبحر أو الروض ، ولكننا أدركنا فى الوقت نفسه أن علينا أن نجمع من هذا الروض طاقة ، على قدر طاقتنا نزهى بها ونعجب . أو لم يقل بشار :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب م وتغشى منازل الكرماء

فشخصية خليل بك مطران تقوم على مجموعة فريدة من السجايا الحميدة يصعب تمييزها والتفضيل بينها ، يلقى ، من يعرفه منها فيه ، خير ما يحب فى خير من يحب ، حتى يصدق فيه ، قول ابى نواس :

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

ولعل أقرب خلاله متناولا ، سعة علمه ورحابة صدره وخفة ظله ، من الناحية الحسية ، وحسن صداقته ووفاؤه من الناحية المعنوية . فانت فى مجلس مطران تفيد منه وتبته وتأنس به ، فتمر الساعات وأنت لا تدرى . وأنت فى صداقة مطران واثق من أن لك صديقا ، وأنت كيفما رأيته ، وفى أى حال صرت اليه ، ترى الوفاء على مناعته يكاد يتقمص مطرانا فى جسمه على ضآلته

وهكذا تكاثر أصحابه واتسع محيطه ، وعاش لهم فى أفرادهم وجماعاتهم ومشروعاتهم أكثر مما عاش لنفسه ، وبذل فى سبيلهم من عبقريته وصحته وثروته



الاستاذ عادل الغضبان



الدكتور أنطون صفير بك

وجاهه ما يبذله الآباء الشفقاء للأبناء البررة ، وفرح به فرحهم ، وهو مع ذلك لايرجو أجرا ولا شكورا ، ولا يمن بيد أو صنيعة . فعمل الخير سجيةطبيعية فى نفسه يأتيهاليوم وغدا لهذا أو لذاك ، ويحب أن يأتيه كما تحب الشجرة أن تجد قاطفا لثمارها لئلا تجف على أغصانها وتقع تحت جذعها

ومن أبين ما يختص به مطران بك ويجلوه ويرفعه الى منازل العباقرة فى الشعر قلبه ، هذا القلب الغنى الكبير الذى تسمع نبضاته فى كل مانظم وكأنما له جرس لا يستقيم وزن ولا قافية الا به . وأغرب منه أنك لا تقرأ قصيدة مهما طالت أو قصرت، قيلت فى الشرق أو فى الغرب،تناولت الاحداث أو الاشخاص، الا وسمعته ، وشعرت به وجاوبته ، فكانت أفراح الناس أفراح قلبه ، وأحزانهم أحزانه . فاذا أهدى الناس الى الناس فى أعيادهم بعض ما يملكون ،أهدى مطران اليك كل ما يملك ، وهو قلبه . قال يهنيء سمو الخديو عباس الثانى بالسودان:

النيل عبـدك والمياه جـوارى ... باليمن والبركات فيـه جوار
أمتـه بمعـاقل وجـــوارى ... وجعلته ملـكا عزيز جـوار
سر كيف شئت لك القلوب منازل ... انى انتقلت فمصر فى الامصار

وديوان مطران بك المطبوع ينطوى على الكثير من التهانى لاصحابه فى كل مناسبات أفراحهم ، والكثير من المراثى فى البكاء على من مات منهم. فهكذا القلب الكبير الذى خفق بهم أحياء ، ما فتىء ينبض بهم ذكرى ، ويرى أن هذا القلب يفيض عن حاجته وحاجتهم ، وانه يتصل بغيرهم من الناس ، ممن لو وجدوا فى زمانه ومكانه ، لكانوا من أصحابه،فيضفى عليهم منه. فتستفزه واقعة أوسترلتز، وليس بينه وبين نابليون سوى انحناءة ، ولا بينه وبين ذلك الجندى الذى انحنى عليه نابليون غير كلمة . ولكن الانحناءة والكلمة أثران انسانيان ، لم يستطع الشاعر الانسانى ، الا أن يشيد بهما فأنشد :

أمات أولئك الجنـد الـكرام ... ولم يثبت لهـم أثر مقـــام
سوى قول الرواة حيوا ليقضوا ... منى رجـــل كبـير ثم ناموا

وبعد أن يصف فوز الفرنسيين ، وطواف نابليون بجنده ، ذلك الوصف الساحر الذى عرف به ، يقول فى نابليون :

اذ استرعاه نزع فتى جديل ... بجانبه يصارعه الحمام
فطأطأ نحوه رأسا لديه ... تحدبت القياصرة العظام
فحل عن الفتى ثوبا خضيبا ... كأن ثقوبه فيه كلام
وزاد ندى فقلده وساما ... وكل جراحة فيه وسام

وقال فى الجندى :

تلقاه وفى عينيه شكر ... تسلسله مدامعه السجام
فقال ، تعيش ياملكى وتفدى ... ومات وفى محياه ابتسام

ويروع مطران بك مقتل بزرجمهر ، على يد كسرى ، ويؤلمه مصيره بقدر ما سرته انحناءة نابليون وكلمة الجندى ، أى أن قلبه الانسانى يخفق ، ولكن خفقات الغضب فيصيح :

سجدوا لكسرى اذ بدا اجلالا ... كسجودهم للشمس اذ تتلالا

ثم يتوجه الى كسرى بالتقريع فيقول :

كسرى أتبقى كل فدم غاشم ... حيا وتردى العادل المفضالا
وتدق فى مرأى الرعية عنقه ... ليموت موت المجرمين مذالا
ان تستطع فاشرب من الدم خمرة ... واجعل جماجم عابديك نعالا
لو كان فى تلك النعاج مقاوم ... لك لم تجىء ما جئته استفحالا

ويقول فى « حرب غير عادلة ولا متعادلة بين أمة كبيرة وأمة صغيرة » :

فيم احتباسك للقلم ... والارض قد خضبت بدم
اليوم يوم القسط قد ... قام الاولى ظلموا فقم
من يستبحه عدونا ... فله بنا صلة الرحم

قل يا فتى الشعراء قل لبتك أم عصت الهمم
كل يقوم بما عليه ومن تثاقل فليتم

وهذا القلب الكبير الغنى الذى ينفق منه ويغرق فى الانفاق ويزيده الله غنى بانفاقه ، يمنحه لمن يعرف ولمن لا يعرف من الناس ، ولكنه يعرف انه قلب يخفق بخفقات القلوب . من ذلك انه خرج صباحا من منزله واذا نعش مكسو بالبياض محلى بالزهر يتبعه رهط من الفتيان الافرنج . فسأل أحدهم عن ذلك . فأجابه انه شاب انتحر غراما فخرجوا يشيعونه . فشيعه معهم على غير معرفته به وطفق يرثيه :

قربته فما ارتوى وجفته فما ارعوى
وقضى خالد النوى يتداوى من النوى
فبكيناه من أسى والبكا للاسى دوا
انما نحن فى الهوى اخوة حكمنا سوا

ويضفى قلبه على الطبيعة ، فيتغنى بازهارها وأثمارها وطيورها وكأنما هو شاعر الحياة كلها ، والطبيعة بجملتها ، فيناجى الطائر :

أعر جناحيك يارفيق أطر وامرح خلى بال
من ساكب النور لى رحيق وفسحة الجو لى مجال
أشرق وأغرب بلا مرام فلا مكان ولا زمان
ولا هيام الا هيامى بين السموات والجنان

فاذا انطوى على نفسه ، لينظم ما فيها ، وقع على عالم خصب ، رحب سام ، كأنما هو مصغر هذا العالم ، على أفضل وجه وأتمه وأجمله ، يحتاجنا تذوقه وتذويقه الى مجلدات لا قبل لنا ، الا بالطاقة التى وعدنا أنفسنا بها . ومن روائع هذا العالم قصيدة عنوانها : « الأثر الباقى » ، قالها وقد مرض مرضا عضالا :

ياقلب مات بك الغرام فعلى بقيتك السلام
الله فى صدر وهى وتقوست منه العظام

خاو كجوف الغار تمـ لأه المخاوف والظلام
الا سراجا حـائـلا فيـه ينير بلا ابتسـام
روح تضىء على ضريح فى صـــميم القلب قام

ثم يتسع هذا القلب الكبير ، فيسمع آثار ما خلفته العبقريات المختلفة فى الاجيال المتعاقبة ، ويأبى عليه عمل الخير الا أن يشمل أكبر عدد ممكن من الناس فى أبعد بقعة من الارض،فينقل مسرحيات شكسبير وكورناى الى اللسان العربى نقلا لم يؤته غـيره ، ويكسب الاصـل جزالة ورواء ، ويدفعهـا الى كبير ممثلى الشرق جورج أبيض بك ، فيبعث أبطال العباقرة ، ولا أصدق عند الناس ، ولا أحب اليهم من تلك الاعـلانات ومنها : شكسبير ومطران وأبيض ، على مسرح الاوبرا الملكية

* * *

أيها السادة

من خلال هذه النماذج القليلة الفريدة النفيسة التى تفسر شهرة مطران وتسببها ، يظهر قلبه الـكبير الـكريم العظـيم الذى تحقق فيــه الانســـانية الشاملة فيشعر بشعورها فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ويشعر بشعورها فى أقل شىء فى حركة وسكنة ، فى شكل ولون ، فى رنة فرح وأنة ألم ، فى أناسيها وطبيعتها وما وراءهما من خالق مبدع . ولكنه لا يكتفى بهذا الشعور ، ولايقف عند تصويره موقف الابداع ، بل يكون من شعوره ، دعوة اخلاقية تشيد بالخير وتدعو اليه وتذم الشر وتحرمه . وكل ذلك بطابع شخصى عظيم لا يقلد فيــه غيره ، ولا يختلط بسواه ، وكأنما هو منه بمقام هذه الاوانى البلورية الفنية التى يكونها الفنيون ويشكلونها بمقدار ما ينفخون فيها من أنفاسهم ويلونونها بحسب ما يقتضيه فنهم . أو ليس الشعراء ، العظام منهم ، من مبدعى عوالم الاشكال والانوار والظـلال والموسيقى لتأليف قوس سحاب يبشر بالخير بعد الشدة ؟ أليسوا من خالقى دنيوات هى أدق حسا من دنيواتنا ، وأخصب عاطفة ، وأعمق فكرة ، وأروع جمالا وأسمى مثالا ؟ . .





جورج أبيض بك





الاستاذ سامى الشوا

هكذا شاعرية مطران . فهي وان اتخذت موادها من عالمنا في الشعور ، وفي اللغة المعبرة عن هذا الشعور ، تبدع عالما أغنى وأفضل من عالمنا ، أو عالما يجب أن يكون عالمنا ، وانما نتعرف الى أنفسنا على ضوئه حتى ولو كانت موجودة فينا ، كوجود بعض نجوم في السماء لاترى بالعين المجردة ، الا أن عدم رؤيتها لا يمنع وجودها . وفي قصائد مطران نغمات أعلى وأعمق وأرحب من النغمات التي تصل الينا عادة . ولوحات فنية قلما نراها بعيون المادة ، ومشاهد لله والناس والطبيعة لم تر بعين أجمل من عينيه وأنقى وأطهر . ولهذا فان الاجيال القادمة ، التي ربما ستنال من الحضارة والثقافة حظا أوفر من حظنا ستظل تجد في أدب مطران شاعرا انسانيا عظيما ، لأن شعوره من صميم قلبه . وما زال في الانسانية قلب انساني خفاق سيظل أدب مطران شديد الأثر . وبرهان ذلك أنك لو ترجمت أدبه أو غيرت ألفاظه، أو بدلت حوادثه لظل انسانيا لانه عراه من الشعر الموضعي، وشعر اللفظة ، أو شعر الحادثة ، بمقدار ما نفخ فيه من شعره الروحي ، فهو شعر روحي لا يفنى بفناء الجسد . ولو انك وضعت في التأثر مكانه ، الشعراء العالميين ، قدامى ومحدثين ، لما خرجوا بغير الذي خرج به من تأثر

ونحن، قراءه ومحبيه والمعجبين به، نصدقه العهد، عند ما نكون كما أرادنا في مقدمة ديوانه عندما قال : « وغاية ما أتمناه لدى القراء من الجزاء على هذه العبر المروية ، والغرائب المحكية ، والنوادر الممثلة ، والصور المخيلة . . . ان يشاركوني في وجداني أثناء مطالعتهم لهذا الكتاب فيرضوا عن الفضيلة كما رضيت ويأسوا في الرذيلة كما أسيت . وان يستفيدوا من مناصحاتي ويتخذوا أدوية لجراحاتهم من جراحاتي . . . فما أسعد حاديهم ـ وهو الشاعر ـ اذا حدا ، أن يحسن لنغماته عند اخوانه في المسير رنة وصدى »

قصيدة الاستاذ حسيب غبريل

رسم شعرى

مهدى الى شاعر الأقطار العربية

استـــــهلال

يا شـــاعر الاقطـــار بالـ ... أخلاق صنت جمـال ذكـرك
مـا ضـــمنى مـــن مجلس ... الا تضـوع طيـب نشرك
وجرى الثنـــاء عليك يتـ ... ـلوه الدعاء بطـول عمـرك
يتنـــاقلون محـــامدا ... ومنـاقبا من فيض بحـــرك
يـروون مـا يـروون لى ... وأنا الخبير بكنــه أمـرك

جابر العثرات

كـــم عثـرة آسـيتها ... وأقلت عاثـــرها بــــرك
تغـنى ويفقـــرك النـــدى ... يا شارى الحســـنى بفقرك
أشرعت بابـك للعفـــاة ... فواكبـــوك الى مقـــرك
لمشـــورة وشـــفاعة ... ولمــا تيسر رغـــم عسرك
فأصـــاب كـل مؤمـــل ... ما شـاء من مبـذول نصرك
يا جـــابر العثـرات ان ... تفخر فهـذا بعض فخـرك

العاذر الصابر

كم زلـــة لأخيك تســ ... ـتر عريهـا بوشـاح عذرك
واســاءة ذابت عبـــو ... ستهـا لـدى بسمات ثغـرك
ونميمـــة دبت ولـــم ... تبلغ الى عتبـــات قـدرك
واذا تحـــداك الجهــول ... فمـن لـه صبر كصبرك

العافى عن مقدرة

ولرب مفتشت عليــــك   وطامع برحيب صــدرك
يبدى الضغينـــة وهو يــر   جو أن يفـوز ببعض شكرك
والحاســدون النافثـــو   ن سمومهم من خلف ظهرك
أمنـــوا أذاك ولـو تشـاء   حطمـت نابهـم بظفـرك
فتـــاك عفـــو القـــادرين   ولـم تثر طلبـــا لثـأرك

الأمين على السر

عف اللســـان فكل ما   تبـــلوه من أبنـــاء دهـرك
بين الشفــــاه مليحـــه   وقبيحـه فى عمــق سرك

البار بوالدته

أســـعد بمنجبـــك التى   كافأتهـــا خـــيرا ببـــرك
لـــولا تقـــاك وكنت تعـ   ـبدها وقـارا قيــل مشرك
قـد كـــان فى قسمـــاتها   وســـماتها بشر كبشرك
ولعـــل ما تركت لروحـك   من فضائل خـــير ذخـرك
ذهبت لخالقهـــا . رضـاها   شـــافع بعظيـــم أجــرك

نديم المجالس

أدب الحـــديث بلغت منـــه   ما غـــدا عقـــدا لنحـــرك
فتــرى النـــدامى ان نطقت   ترنحوا ســــكرا بخمـرك
وتعاهـــدوا بالصـــمت أن   لا يعـــدلوا صـــدفا بدرك

الشـــاعر

ينتـــابنى شـــبه الـــدوار   اذا ســـموت لجـو فـكرك

وأرى نسور الشعر ليس | يقاس باعهم بشبرك
والناظمون زهوا وهم | لم يبلغوا معشار عشرك
وسمعتهم فوق المنابر | ينشرون أريج عطرك
قالوا خلدت وجاوزت | حسنات شعرك عد شعرك
لكن اعجابى بخلقك | فوق اعجابى بشعرك

المتفرد بأخلاقه

لو كان خلقك مثل خلقك | كنت فتنة غيد عصرك
ولقام يحبو سافرا | نصر بن حجاج بأثرك

مؤرخ عصره

سجلت تاريخ الأولى | عاصرت فى طيات سفرك
فبذلت أغلى الدمع فى | أحزانهم أخذا بشطرك
وضفرت فى أفراحهم | ما شئت من طاقات زهرك
ورفعت من حسناتهم | برفيع نظمك أو بنثرك

الوطنى الصادق

أما البلاد فلم تدع | فى حبها شأوا لمدرك
فاذا ونت أشبالها | كنت المنبه والمحرك
أو طوحت بغرورها | أسمعتها صعقات زجرك
واذا العدو طغى فيا | لله من لفحات حرك
ان يعل صوت بالوعيد | أضعته بدوى زأرك
وتلقفت ومضات عو | د تقابه نيران جمرك
واذا الخطوب دجت أثر | ت سبيلها بسناه بدرك
نار ونور . جئت أنت | كما براك ولى أمرك



الاستاذ حسيب غبريل



السيدة ايفا غرزوزى



خلاصة الصورة

كثرت نواحيك الكبار ... ولم تهونها بكبرك
انى أشدت ببعضها ... وحصرت عيا دون حصرك
لو أحصيت تلك الشمائل ... لم يكن وفر كوفرك

كلمة الاستاذ السيد محمد ابو المجد

من الصفوة المختارين ـ وربك يخلق ما يشاء ويختار ـ شاعرنا المحتفل به شاعر الاقطار .أحد أركان بعث الشرق ونهضته ، وتحرره الفكرى والاجتماعى والبيانى . هو فرد فى مادته وهيولاه . لكنه أمة فى عبقريته ودعوته ، وهو جسم معروق صغير فى عالمنا الأصغر ، لكنه قد تحوى فيه وانطوى العالم الأكبر . فكان خليل مطران من نصف قرن وما يزال يستقبل بقلبه الملهم صور الحياة وأوضاعها ويغوص فى أعماقها وله عقلية استقرائية تأليفية تؤلف ما بين الصور والأشتات ، وتجمع ما بين العناصر والأمشاج . تكشفها له وتحدد معالمها ارهاصات وبدوات يشق بهما ظلمات البيئة ويستشف بهما ما وراء الغيب من أحجبة وأستار ، ويستقرى بهما ما لا تبث القلوب ، فيلتقط منها ، أوثقها صلة بالمجموع ، وأقربها وشيجة بتحرير العقول والأفكار ، وأشدها آصرة بالبيان المشرق الساحر الآسر الأخاذ وأكثرها ارتباطا بالعقل الجمعى ، والشعور الشرقى . يتعث فى كل أولئك التأمل والمتعة الذهنية التى ينعتق بها الشرق من الجمود . وينطلق بها من اسار الجهل الجاثم فوق صدره من أمد بعيد . وبهذا أصبح الخليل حلقة من سلسلة التفكير الانسانى الحر . بل صفحة مشرقة من صفحات تاريخ الشرق الحديث بل أصبح كيانا فى كيانه وبضعة فى عاطفته،وآمالا فى نفسه ، وجزءا فى وطنيته ، وعنصرا فى نهضته . وركنا عظيما فى حريته وشراعا فى سفينته . وكان بهذا خلية من خلايا الشرق العاملة الدائبة فى مختلف

مرافقه وطلعة فى ركبه يشق له آفاقا ، ويعبد له سبلا ، ويهىء له طرقا. ويضرب له أحسن الامثال . يقيل من عثرته اذا عثر . ويمهد له سبيل الصعود اذا انحدر والشرق من ورائه يغذ فى السير ويشرئب صعدا الى العلاء . ويتجه فى طريقه الى مقعد الشمس وهو متعطش الى المجد حتى كان أمس يوما مشـهودا فى تاريـخ الكنانة . أشرقت شمسه المتلألئة على مهرجانين . مهرجان يقام بعـد أن تقلص عنها ظل الاحتلال وخرج الى غير عودة دعاة الاستعمار ، ومهرجان يقام تكريما لشاعر العروبة والاقطار . وقد شاءت عناية الله فى لفتة من لفتات الفاروق، وقد كرم ذكرى أبطال الوطن المجاهدين ، أن يكرم الأدب والفـن فى قطب كان منهم بمثابة الجناح من الطير والمركز من الدائرة والقب من الميزان . ذلـكم هو خليل مطران بك

والشعر أمانة اجتماعية لا يستطيع حملها الا من آتاه الله الحكمة وفصـل الخطاب وجعله فى الشرق والله أعلم حيث يجعل رسالته اماما فى صناعتى الشعر والبيان. خليل مطران وهو من؟ هو رمز الروح العصرى وسليل البيت العربى. تأثر فى خطاه المثل العصرية سجية وابتداعا فلم يرم أو يتحول أو يقف حتى فى مفترق الطرق ليصيد جاها أو انتفاعا. فالحياة من الهامه فكرة ، والدنيا فى عقيدته وسيلة ، والانسان فى شرعته خليفة عن الله فى أرضه لا يمكن له فيها الا اذا مكن لنفسه بذاتية عارمة جبارة العزم ، سداها ولحمتها العلم والخلق والوفاء والدعوة الى التآزر والتناصر .وقد اكتملت للخليل هذه المفاخر . وهى أوسمته التى أعزه الله بها فاعتز وكمله بها فاكتمل، وناط به فى الوجود أمانة ينوء بها كثيرون. ولكن الخليل حمل العبء واحتمل فكيف يريد الجاه ورسالته فى الوجود تكليف وبذل وايثار . لكن المجد مولع بالخليل ولع المجنون بليلاه . فأين اتجه يلقاه ولايدرى من أين مأتاه .فان قال شعرا كان مجدا .وان ساهم فى عمل كان سعدا .وان لقيته معسرا كان رفدا . وان ظمئت اليه كان وردا . وان حلفت به كان عهدا .وان قام فى سفارة كان وفدا . وان مددت الحبل شد . وان شددت الحبل مد . وان تنكرت له ود . وان جدت الحياة جد . وان احتميت به كان سدا . وان تعاليت

عليه كان جزرا وكان مدا . وان لقيته مرا لقاك شهدا . وان عد الرجال كان فردا . وان قال هزلا كان جدا . وان فودى فدى . وان عاركته الصروف كان صلدا . وان باديته تبدى وما اعتدى ولا تعدى . فكيف لا يريد الله له الفضل « ولا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده » . وكيف لا يكون من بعث الشرق وتحرره ، عموده الفقرى . وهو يؤثل فى مدى خمسين عاما ثورة واعية دفعت به الى أن يعيد النظر فى امكانياته العقلية وحالاته العامة وأوضاعه الاجتماعية . ورائده العلم وما أدراك ما العلم . سينبئك به الخليل فى ملاحمه الشعرية الحماسية ولا ينبئك مثل خبير

بالعلم يدرك أقصى المجد من أمم	ولا رقى بغير العلم للامم
لم يرهق الشرق الا عيشة ردحا	والجهل راعيه والاقوام كالنعم
اليوم يمنع من ورد على ظمأ	من ليس باليقظ المستبصر الفهم
اليوم يحرم أدنى الرزق طالبه	فأعمل الفكر لا تحرم وتغتنم
ربوا بنيكم فقد صرنا الى زمن	طارت به الناس كالعقبان والرخم

ويستصرخ الخليل قلوب الاغنياء فى وخز خفيف لطيف فيفجر بها ينابيع البر والعطاء . ويستعين مناهل الجود التى يحشدها فى سبيل المحامد . ويقصرها لكى تؤتى أكلها على تعمير المدارس وانشاء المعاهد . فسبق أقطاب الاجتماع بدعوته هذه الى تنظيم البر والاحسان الذى يحفظ توازن المجتمع ويربط ما بين عناصره وخلاياه ليكون الفرد للفرد كالبنيان يشد بعضه بعضا

يحظى أولو البذل أن تحسن مقاصدهم	بالباقيات من الآلاء والنعم
فان تجد كرما فى غير محمدة	فقد تكون أداة الموت فى الكرم
معاهد العلم من يسخو فيعمرها	يبنى مدارج للمستقبل السنم
وواضع حجرا فى أس مدرسة	أبقى على قومه من شائد الهرم
شتان ما بين بيت تستجد به	قوى الشعوب وبيت صائن الرمم

معاهد العلم فى شعر الخليل مدارج المستقبل . وحسن القصد من شيمة أهل

البذل والعطاء . والحجر فى جسم مدرسة أبقى وأخلد وأشرف من حجر فى جسم الهرم والمدارس معقل لاستثارة وصهر قوى الشعوب . وهـذه الملحمة أبدعها فى سنة ١٩١٥ ولها شقيقة أخرى سنة ١٩٠٩ أى عمرها يصغر الاولى بست سنوات وفيها نشاركه شعوره ونبادله عاطفة هى جزء من العاطفةالانسانية العامة تتأثر بها وتؤثر فيها :

من الغرب ما نكسى لنستر عرينا ... ومنـه شراب نصطفيه ومطعم
ومنه معـدات الجـلاد التى بهـا ... ندافع عنـا منـه من يتقحم
وفى كـل يوم منـه للعـلم آية ... وفى كـل يوم منـه فن متمم
ولسنا على شىء سـوى شهواتنا ... عكفنـا عليهـا لا نغص ونبشم

در فى المجد در شاعر ينشر مطاوى النفس . ويتسرب الى أغوارها فيبدع صورة شامخة شموخ الهامه . صادقة صدق احساسه . رائعة روعةبيانه . سامية سمو تأثيره . واضحة وضوح دعوته . ثم يعود فيفتح عيوننا على ما يعوزنا من الخلق والدعوة الى التآزر والترابط ويبصرنا بالثقوب التى انحدرت منها عيوب جنت على تاريخنا وأورثتنا صغارا وذلة وهوانا . واذا كان عمر هذه الملحمـة ثمانية وثلاثين‌عاما فاعجبوا كيف أبدع الخليل فى‌تصوير أسباب الفوضى والتفسخ

ويعوزنا الاخلاص فى كل مطلب ... ويعـوزنا الخلق المتين المقـوم
الى أى حين فى قلى وتخـاذل ... وشمل شـتيت والعدى تتحكـم

ضاق‌صدر الحليم الحكيم بهذا التفسخ الاجتماعى فأودع استفهامه‌ضيقا وثورة فكيف بصدره الآن بعد ثمانية وثلاثين عاما وما زلنا كما عهدنا متدابرين كلما دخلت أمة لعنت أختها ؟ وهاتان الملحمتـان تصـدران عن وحدة العلم والخلـق والدعوة الى التناصر والتآزر . ولم ينحرف مطران عنها وان كان قد انحـرف فالى ابداع آلاف الصور والجزئيات التى تتضام بعضها الى بعض فى توجيه دعوته وتهيئة السبيل لها فى القلوب والنفوس . ولقوة تمكنه واكتمال عناصر البيـان له يخال لك أن صور معانيه بها تجديد وما تدرى انه حول القلب يكرر ويبدىء



الاستاذ
السيد محمود ابو المجد



الاستاذ مختار الوكيل

ويعيد شأنه فى ذلك شأن أرباب الدعوات الكبرى وزعماء الاصلاح الذين يجود بهم الزمن فى فترات متباعدات ، والذين يوجدون فى عصور يموت فيها القلب ويضام فيسلطون من اشعاعاتهم الروحية عليه اشعاع العلم واذا ما علمت عملت . واذا ما نبهت تنبهت وتغيرت حالها فتتغير حالة الأمة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . ويؤيد هذا ما قاله أهل التتبع من علماءفلسفة التاريخ . ان الأمة التى ليس بها شعراء متأججون تموت وشيكا ما لم تحصل على ما يعادلهم بطرق أخرى . ولهاتين الشقيقتين شقيقة أخرى عمرها اثنتان وثلاثون عاما أركب الخليل فيها طالب العلم صهوة الجواد فى تعاظم وكبرياء . فاذا ساعدته الأمة كفلت لها مستقبلا رشيدا ومكن الله لها فى الارض لا بسوقة جهل وانما برجال عظام

للنبيين معشر كفلوهم	والنبيون قصر أيتام
ما على العلم لا ولا طالبيه	من نصير غضاضة أو ذام
هكذا تستغل احسانها الاقوام	فيهم فتسعد الاقوام
لم تقم أمة بسوقة جهل	انما الأمة الرجال العظام

يدعو الخليل الى العلم ويعتز بطالب العلم ولم لا ؟ وهو يعلم أنه بالعلم عز آدم الملائكة فى الخطاب ، وصرع النور الظلام واستعبد الغرب الشرق . وكان الفرق بين الانسان والحيوان (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اللهم لا . والعلم فى شعر الخليل يمتص العصير السام فى الامة الذى تفرزه الترهات والخزعبلات والتقاليد البالية . وهو شعر يجمع أمم الشرق على احياء ماضيها التليد واحتشادها رأيا لرأى ومثقالا لمثقال لابتناء حاضرها ومستقبلها العتيد . وهو رسول سلام يقضى على الخلف والونى والتخاذل والتقاعس

وتاريخ الميلاد لهذه الملاحم جعل الخليل قطبا من أقطاب الشرق ، وعنصرا من عناصر التحرر ، وثورة على الأوضاع الغريبة الشاذة التى لم توجد الا لكبت الوعى القومى . وقد ولدت هذه الملاحم فى وقت أطبقت فيه على الشرق مخالب

الاستعباد فتذرع أولو الأمر بأعنف الوسائل لاطفاء أى شعاع يبشر بالهام ، أو ذكاء ، أو اشراق ، حتى أن أحد المربين شرح لتلاميذه :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

فكان نصيبه الفصل بحجة أنه قد يستثير فى التلاميذ روح الشجاعة وحمية الرجولة — فى هذا الوقت العصيب ، الذى كانت تعصف فيه السياسة بكلمة الحق ويجاور السوط الكلمة الطيبة ، والقولة الصالحة، كان الخليل يرسل قبسا من شعره فى ملحمة تلو أخرى ، ويزجيها بثالثة وبرابعة فيحدث انفجارها دويا فى المحافل الأدبية وتفتح الناس عيونها على نور جديد ، وأمل مجنح بعيد. فاذا ما استيأسوا أرسل الخليل آية من آياته كأنها معجزة جاءت لوقتها ، وقيلت فى حينها ، تؤيد الأولى فى دعوتها الى العلم ويدعم فيها الخلق ، وهو اذ يدعم الخلق يهتف فيها بالبذل ، وهو اذ يهتف بالبذل يفضل الايثار ، وهو اذ يفضل الايثار يمجد اختزان الحمد ، وهو اذ يمجد اختزان الحمد يطلب من الله التوفيق ، وهو اذ يطلب من الله التوفيق يرجو التعميم لا التخصيص ، منشدا شاعر بعلبك وشاعر معرة النعمان :

فلا هطلت على ولا بأرضى   سحائب ليس تنتظم البلادا

هذا من شعره فى بدء حياته بدء وللبدء تكملة . وهذا صوت من ملايين الأصوات فى الشرق التى ترفعه حيث رفعها ، وتبوئه ، من قلبها وتاريخها الشرقى الحديث ، المقام المحمود

كلمة السيدة ايفا غرزوزى

ليس بالمألوف فى مثل هذا الحفل الرائع ، حيث يتبارى كبار الشعراء وفطاحل الأدباء فى ابراز عبقرية شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران ،

أن تقف سيدة ، ليست ملمة الا بالقليل من الشعر والأدب العربى ، فتقول كلمتها وتضم صوتها باسم بنات جنسها الى صوت الأدباء والشعراء

ولكن قد يشفع فى تقصيرى وخروجى عن هذا العرف قدم معرفتى بالمحتفل به . عرفته منذ طفولتى حيث كان صديقا حميما للمرحوم والدى ، جمع بينهما حب الشعر فكانا يتبادلان فرائده كما يتبادل عامة الناس طرائف الحديث . كنت طفلة فأحاطنى بعطفه ورعايتــه والآن قد أصــبح لى العم السموح ، الرحيب الصدر ، التجىء الى رشده كلما حيرنى الزمان . كانت زيارات « عمو خليل » تضىء حياتنا العائلية بنور عبقريته كأشعة الشمس التى تسطع على منظر ساذج مألوف فتكسبه رونقا وبهاء . وانى لواثقة انه لو كان والدى هنا اليوم لأضحى أول المتكلمين فى هذا الجمع من الاصدقاء لما كان بينه وبين شاعرنا العظيم من مودة وثيقة ورابطة وطيدة . وقد أراد عمى أن يقوم بالواجب فاستبدل المنحت بالقلم والتمثال بالقصيدة

وماذا أقول فى شاعر القطرين ولا يعرفه العرب قاطبة ؟ أأتكلم عن شعره وقد جاوز المشرقين ؟ أم عن سمو شعوره وخلقه وكرمه وتواضعه ؟ أم عن حبه للفقير وعطفه عليه ؟ فقد تجمعت فيــه صفات قلما اجتمعت فى انسان . . . انمــا الناحية التى أريد ابرازها كامرأة فى شعر خليل مطران هى مساهمته فى النهضة النسائية وتتبعه خطواتها وتشجيعه اياها فى قصائد خالدة

لذلك حق علينا ، نحن معشر النساء ، ان نسجل فضل خليل مطران على نهضتنا بقدر ما اعترف له به الشــعراء ، وان نتمنى له أطيب التمنيات ، راجين المولى أن يبقيه للانسانية والادب

قصيدة الاستاذ مختار الوكيل

تحية شاعر العروبة

الاستاذ الجليل خليل بك مطران

من أحد تلاميذه

ناشيء الفن ، هنا كهف الفنون فاخلع النعل ، وطف فى الطائفين

ها هنا الشاعر والشعر الذى تخشع الدنيا له فى الخاشعين

ساحر طاف على أرواحنا برحيق من شراب الخالدين

عجبا للجام فى كاساته توقظ الغافى ، وتهدى السادرين

ها هنا « المطران » فى صومعة المودات سداها واليقين

ها هنا « الاستاذ » فى مجلسه يهب العلم ، ويروى الظامئين

وجهه الوضاء ، لا ينفك فى فرحة عند لقاء القاصدين

فهو يسدى علمه للطالبين وهو يهدى ماله للسائلين

دينه الحب ، ومن ديدنه نخوة لا تنثنى أو تستكين

* * *

شيخنا الشاعر وضاح الجبين وحيه الخالد من « طور سنين »

عبقرى بز من نشأته كل قرن ، وتخطى السابقين

لوذعى جدد الشعر على صور مستملحات تستبين

صيرفى أحكم القول ، فلم يدع الالفاظ فوضى لا تبين

واصف ثبت النهى ، ليس له فى التقصى من ضريب أو قرين

شاعر الفصحى ، وحامى حوضها وفتى فتيانها الندب الأمين

* * *

نصف قرن مر يا ساحر مذ عرفتك الضاد أستاذ الفنون

القوافى أنت صناجتهـــا مثلمــا أنت امام النـــاثرين
دقة التصوير والوصــف ، على رقة التعبير ، واللفظ الرصـين
عتقت شعرك كـــرات الضحى بمـــزاج من خيـال وحنـين

* * *

باعث التمثيل فى الشرق بمـا أرسلت يمناك من وكف هتـون
أنت أهـديت الى الضاد يـدا سمحة تبقى على مر السنين
سقت « كورنيى » و« شكسبير » فى لغـة فصحى وبنيـان متين
ففتحـت البـاب للمـرتاد فى عالم الفـن ودنيـا النابغين

* * *

شاعر الجيـل ونبراس الهـدى قف ، تأمل خطـوات الناشئين
كلهم يفخـر اذ انتـاجه مستمد من سنا الوحى المبـين
وأنا منـك كمـا تعهـدنى بين طـلابك ، أو بين البنـين
كل ما قـد نلتـه من أدب هو من رفدك يا فخر القـرون
واذا سـامحت ، فاغفـر زلـلى فقصورى منك بالصفح قمـين
فالمعـانى فى ضـميرى جمـة تتغنى بك ، والنظم يخـون
ولتدم يا بطـل الفصحى لهـا أبد الدهـر ، امام الملهمـين

قصيدة الاستاذ ميشيل سعد

مدح الخليـل لعمرى لا أوفيـه ولو أذبت فـؤادى فى قوافيـه
من لى بالهامه السـامى فيسعفنى على التغنى بمعنى من معانيـه
أرنو فتنحسر الأجفـان خاشـعة من ساطع النور فى أسنى مراميه
انى أرانى فى المضمار منزلتى دون المجلى بعيـدا عن مصليـه
أشـكو الذين أنابونى لمدحكم أبنـاء لبنان من أعضـاء ناديه

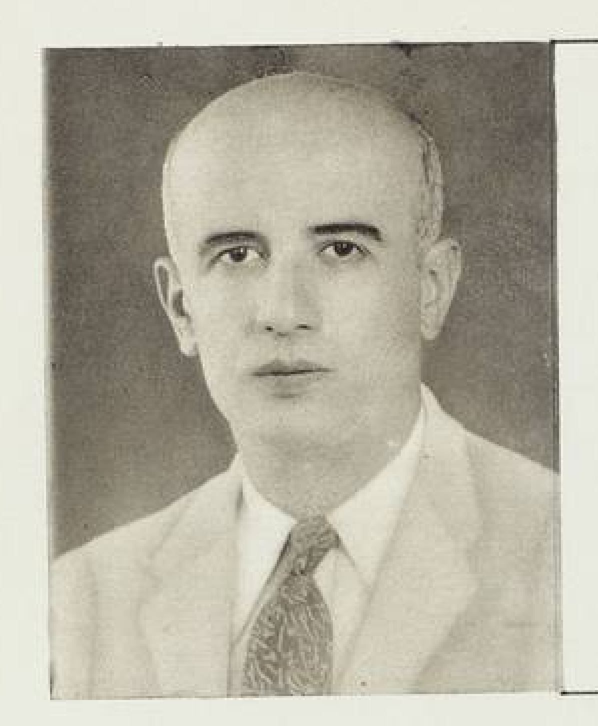
واشتكى عادل الغضبان وطنى — ربى على الخير والحسنى يجازيه
هم يعلمون بأن الشعر بى مرض — والداء بالداء أحيانا أداويه
وان من كان داء الشعر علته — فدعه يشدو لعل الشدو يشفيه
عرائس الشعر يوم المهرجان شدت — بالوحى أنزل من عالى مراقيه
انى اذا ما صفا شعرى بمدحكم — فنور وحيك للاذهان يوحيه
فانك الشاعر المطبوع ما برحت — تفيض عن سعة الدنيا أمانيه
يلهو عن العرض الفانى بأغنية — تقصيه عن غمرة الدنيا وتغنيه
ويستمد من الالهام سانحة — لاحت فيحيى بها حينا وتفنيه
وسدرة المنتهى بالروح يدركها — لينظم الخلد سمطا فى أغانيه
وينتقى من موات اللفظ شارده — يعطيه من روحه روحا فيحييه
وكم ينير الى هدى الورى سبلا — وهو المخبط تيها فى دياجيه
للناس ينثر آيات النهى دررا — تغنيهم ويلوك الفقر فى فيه
سقى الورى فارتووا حتى اذا ظمئت — لهاته لم يجد من قام يسقيه

* * *

عدت على لغة الاعراب عادية — لله من جور دهر فى عواديه
فبات أبناؤها الابرار يرهقهم — جيل من الجهل تاهوا فى بواديه
فهب لبنان سباقا لنصرتها — يذود عن مجدها العالى ويحميه
فضل اذا ما ذكرناه لمفخرة — فليس نبخس حقا مستحقيه
انا اذا ما تفاخرنا بها شرع — كمن يفاخر أهليه بأهليه
ونحن كالطير لا تغنى قوادمه — اذا أراد التخلى عن خوافيه

* * *

مطران يا شاعر الاقطار فقت بها — صناجة العرب فيما جئت ترويه
جددت فى الشعر أسلوبا وكنت به — رب الجديد بلا فخر ولا تيه
شدوت حتى جعلت الشرق أجمعه — يصغى الى النيل صداحا بواديه
مرددا نغمات الخلد يسمعها — لبنان تيها فيزهى فى رواسيه



الاستاذ ميشيل سعد



الاستاذ لبيب برنوطى

أحييت عهـدا به أم اللغات سـمت للمجد تختال فى أبهى مجاليـه
عهـد الى ذلك الثـالوث نسبتـه شـوقى وحافظ والمطران بانيـه
مجـد أنارت ذرى الجـوزاء هالتـه كأن فرع الثريا من مبانيـه
رفعت للادب العالى نواصيـه ثم استويت على أعلى نواصيه
فدولة الشـعر ما دالت امارتهـا ما دام مطرانهـا ملـكا بكرسيـه
أصح من شـاعر الاقطار تسميـة بشاعر العرب طرا لو نسميـه

* * *

مطران يا شـاعر الاعراب معـذرة لاتبخلن بعـــذر مستميحيـه
هذا مديحى وعفوا ان رأيت به التـ ـقصير فهـو عـلى مقدار مهـديه
فانما المـــدح أحـلاه وأعـذبه ما كان عاطفة الاخـلاص تمليـه
والشعر كالسحر أبهاه وأروعـه ما العقل يثبتـه طـورا وينفيـه
والكون لو عـرضت يوما مفاتنـه فالشـعر أحسنها بل خـير ما فيـه
أولاك قدرك من فيض المليك ندى وفضـل فاروق أجـدى فى محبيـه
لا زال يحلى صدور المخلصين لـه فخـــرا وعن شرقـنا تجلو أعاديه
والله يكلأه للعـرب مفخـرة وأمة العـرب يفـديها وتفـديه

كلمة الاستاذ لبيب نصرى برنوطى

مما لا شك فيه ان فكرة التكريم اذا قامت فقط على تنظيم الولائم ، واقامة الحفلات ، وانطلاق الالسن بالافاضة بفضل وفضائل المحتفى به ، واحراق بخور الثناء حوله ـ وقد يكون لشدته خانقا ـ أصبح التكريم عبئا مرهقا

وانى لأخشى من دقة احساس خليلنا ورقة شعوره أن يؤدى تعاقب هذه الحفلات الى ازعاجه واخجال تواضعه وهو العزيز الحبيب الذى نفديه بالمهج

وكأنى بالخليل يستنجد للافلات من هذا الاسر الذى لم تألفه نفسه وقد عاش ، كما تعلمون ، متواريا متواضعا مؤديا فى الخفاء ، بأثمن التضحيات، أشرف وأسمى رسالة فى الوجود

يا للذكاء ينيرنا بضيائه ويكون للجسم المضيء مذيبا

* * *

لقد استمعت أيها الشيخ الوقور الى استغاثتك الخفية من وطأة هذه الحفلات ، وأيقنت أن التكريم الصحيح ، الذى يقع من نفسك الابية موضع القبول ، هو التكريم النفسى القائم على ائتلاف القلوب وامتزاج النفوس وتعانق الارواح . لذلك وقفت أكرمك بقلبى وجنانى لا بالالفاظ والمبانى . وهذا التكريم الروحى الصادر من القلب ، ليقع فى القلب ، علائمه مرتسمة فى وجوهنا لما نلت من فخر ، وبلغت من مجد ، وأحطت به من مقام مليكنا المفدى من شرف وعطف

أما صفاتك الراقية ، وشمائلك العذبة ، ورقتك المتناهية ، واحسانك الصامت وصداقتك الغالية ، ووفاؤك الدائم ، ونبوغك العظيم، وعبقريتك المثلى، وأدبك الرفيع ، وشعرك الفريد ، فالاجماع منعقد عليها لا تحتمل منى تنويها ولا تعريفا

هل كلام العباد فى الشمس الا انها الشمس ليس فيها كلام

على اننى ، وقد أوجزت الى هذا الحد ، ليخلو لى ، قبل الختام ، ان أطرب مسامعكم ببعض المنتخبات الشعرية من آيات المطران ، ترتفع بكم من كلامى الوضيع الى شعره الرفيع

يوم البرميل[1]

أو

مرقص البر والبحر

لهفى على برميلك الذبيح ... كان بروح صار زق ريح
تنفخ البطين حتى اندلقا ... محموله ومن تقاوى انفلقا
ياعجبا لهول ذاك المصرع ... واحربا للعرق المضيع
فشرب الرصيف ذاك الماء ... مشتفيا فزاده ظماء
وسكر الرصيف سكر بنى ... فاهتز حتى خيل ملهى جن
مرتقصا وذاهبا وآيبا ... مباعدا للشط أو مقاربا
وانسربت من راشحات الخمر ... ثمالة فاتصلت بالبحر
فهبت الامواج أى هبه ... ووثبت بالبر أى وثبه
فما ترى الا مياها تنتفض ... تكاد لا تصعد حتى تنخفض

* * *

واسمع حديث مارآه الطائر ... فى جوه فآب وهو حائر
عنيت ذاك الطائر البحريا ... أوفى الطيور شبعا وريا
طابت له السلاف وهو ينقر ... ولم يخله بعد حين يخمر
فملأ الوطاب ثم انطلقا ... نشوان فى أوج العلى محلقا
البحر تحت قدميه مضطرب ... والبر فى عينيه كاللج يخب
فما الذى رآه من بعيد ... من منتهى النيل الى الصعيد
رأى حقول الجنة الخضراء ... كأنها فى ملتقى مراء
زاهية النبات والنوار ... تموج بالألوان والأنوار
والنيل بين ضفتيه يسعى ... مأودا فى سيره كالافعى

---

(١) هى قصة برميل من الخمر ثقب فى الميناء فسال ما فيه

له التماع آخذ بالطرف بين انتظام واختلال صرف
رأى أبا الهول وقدما ظلا ما هز منه الدهر الا الظلا
يقفز كالارنب فى الصحراء قفزا الى الأمام والوراء

* * *

وهكذا ناب جميع القطر فى بره ونيله والبحر
ما نابه من سكرة المفتون ورقصة الحياة والمنون
فصار يوم ذلك البرميل وأين منه رزء عام الفيل

* * *

فيا أخى المرزأ الحبيبا لا تسمع الواشى والرقيبا
ليس الذى أسكر كل مصر ببالغ منك محل الفكر
فهل يرى فى نفسك انفعال يوما لما قيل وما يقال
سامح كما اعتدت وكن كريما فقد يكون اللائم المليما

هو أنتِ

يا منى القلب ونور الـ ـعين مذ كنت وكنت
لم أشأ أن يعلم النا س بما صنت وصنت
ولما حاذرت من فطـ ـنتهم فينا فطنت
ان ليلاى وهندى وسعادى من ظننت
تكثر الأسماء لكن م المسمى هو أنت

النوارة

أو

زهرة المرغريت

أراجع نفسي هل أنا ذلك الذي عهدت بأمسي أم أنا رجل ثان
علمت صنوف العلم درسا وخبرة فما لى بلغت الجهل فى منتهى شانى
أرانى بعد الشيب عاودنى الهوى فرد صبى الدنيا على واصبانى
غدوت كأنى ما عرفت حقيقة وهل أنا ان يدع الهوى غير انسان
فيا لى من كهل يرى وهو جاثم كطفل على شيء يقلبه حان
بكفى من النوار ذات أشعة لها قرص شمس زانه تاج ألوان
لظن وحسبان تحللت قطفها وأبعد بظن عند غيب وحسبان
فلما أجلت الطرف فى قسماتها وثم فنون من جمال واتقان
اذا أنا للتاج المنظم ناثر تباعا ولى فى ذاك ترديد صبيان
أسائل أوراقا ، وياليت شعرها ، أتهوانى الحسناء أم ليس تهوانى

ولو جاز لى ، فى ختام الختام ، بعد نثر هذه الدرر الغالية الثمن ، النادرة الوجود ، أن ألخص موقفنا من الخليل ببيت واحد من الشعر ، لدعوتكم للانشاد معى :

كأنك من كل القلوب مركب فأنت الى كل القلوب حبيب

حفلة المفوضية اللبنانية في القاهرة

١ ـ وصف الحفلة

كانت الحفلة التى أقامها سعادة الشيخ سامى الخورى ، وزير لبنان المفوض فى القاهرة والسيدة الجليلة عقيلته فى مساء اليوم التاسع من شهر ابريل **١٩٤٧** من أعظم الحفلات التى أقيمت تكريما لشاعر الاقطار العربية ، وأبهاها وأحفلها بأسباب البهجة والسرور ، واستيفاء شروط الحسن والكمال . فان جميع الذين شهدوها ، من عظماء مصر ولبنان والاقطار العربية الشقيقة ، وكرام الاسر الكريمة ، وذوى الوجاهة والفضل ، أجمعوا على الاعجاب بها ، والثناء على ما لقوا من أنس مضيفيهما الكريمين ، وحسن استقبالهما ومظاهر كرمهما ، ومبالغة رجال المفوضية والقنصلية اللبنانية فى الترحيب والاحتفاء بهم

افتتحت الحفلة بمأدبة عشاء فاخرة . وبعد الفراغ من تناول الطعام وقف الاستاذ شبلى ملاط بك ، مندوب لبنان فى مهرجان الخليل ، وألقى قصيدة . ثم أنشد قصيدة أخرى فى تحية رجال السلك السياسى اللبنانى وأتبعها بقصيدة ثالثة وجهها الى المحتفل به

وغنت الآنسة أوديت كعدو نشيد « الجلاء عن مصر » نظمه شبلى ملاط بك ولحنه الاستاذ فريد غصن

وبعد أن أنشد الاستاذ الياس نوفل قصيدة ، ألقى الاستاذ موريس ارقش كلمة موجزة ، ثم تلا قصيدة لمطران بك نظمت لهذه الحفلة

ووقف بعد ذلك سعادة الشيخ سامى الخورى وألقى كلمة حيا فيها المحتفل به باسم لبنان

وتلاه الاستاذ حبيب جاماتى بكلمة قدم فيها ثلاث قطع شعرية لمطران بك فى تحية لبنان ورئيسه وممثله فى مصر



حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية
وقد تفضل فخامته فأنعم على شاعر العروبة الكبير بنشان
الأرز من رتبة ضابط اكبر

وبعد أن ألقى الدكتور رشيد كرم قصيدة وقف الاستاذ عجلان سلام ، الزجال الفلسطيني ، فأنشد زجلا بصوته الرخيم . وتلته الانسة اوديت كعدو فأنشدت أزجالا لبنانية يرافقها الاستاذ فريد غصن

ثم تلا الاستاذ حليم أبو عز الدين مستشار المفوضية ، مرسوما من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية بالانعام على مطران بك بنشان الارز من رتبة ضابط أكبر . وعلى أثر ذلك علق سعادة الوزير المفوض النشان على صدر المنعم عليه بين تصفيق المدعوين

ثم قدم صموئيل عطية بك ، سكرتير لجنة التكريم ، الى سعادة الوزير المفوض المدالية التذكارية للمهرجان الكبير ، مصنوعة من الذهب الخالص ، ليرفعها باسم اللجنة الى مقام صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية . فقوبل هذا التقديم بتصفيق شديد من الحاضرين

وظل المدعوون فى طرب وحبور الى ما بعد منتصف الليل فودعوا مضيفيهما الكريمين ، مجددين عبارات الشكر والثناء ومكررين التهنئة لخليل مطران بك

وفيما يلى ما وصل الى اللجنة من القصائد والخطب التى ألقيت فى الحفلة

٢ ـ الخطب والقصائد التى ألقيت فى الحفل

قصائد شبلى ملاط بك

مندوب لبنان فى مهرجان الخليل

(١)

نحن فى البيت الذى تحفظه ... وتراعيه عيون الحرس
يخفق الارز عليه علما ... طيب الريح زكى النفس
حبذا البيت الذى أسسه ... هامة الارز الكريم المغرس
وبنى استقلال لبنان على ... صخرة الحق متين الأسس
تزأر العرب حواليه اذا ... حاولت غمزته كف المسى
قل لسامى أنت للبانى أخ ... أنت منه قبس عن قبس
هادىء الاعصاب موفور النهى ... لابس للحلم أبهى ملبس
جاء وادى النيل مع أسرته ... هاجرا مغنى الشباب المؤنس
فأعانته على غربته ... مريم العذرا وروح القدس

* * *

أيها الناظر فى الوادى سنا ... ملك يجلو سواد الغلس
انما الفاروق فى دنيا الهوى ... وحده من يفتدى بالانفس

* * *

شاعر الدنيا الذى لم أنسه ... لا ولن أنساه ان يوما نسى
أنت عندى منذ أيام الصبا ... سيد الشعر وبدر المجلس
أنت من أحييت من أندلس ... سالف الابداع فى الأندلس
وكساك الفن ثوبا معلما ... من سوى المطران ذا الثوب كسى
يهرم الشعر ويبقى يافعا ... شعرك الكاسى رداء العرس
يا ليالى النيل حييه معى ... زاعصرى كرمته فى أكؤسى

(٢)

السلك الدبلوماسى اللبنانى

أى فخر أتيح للأرز لما مثلته فى الخارج السفراء
نثرتهم فى الشرق والغرب أم مثلما تنثر النجوم السماء
وصلوها بالنازحين حبالا فاطمأنت كما تشاء وشاؤوا
أصبحت لا ترى المزار بعيدا فبنوها بقربها نزلاء
يا لها وثبة للبنان فى الآ فاق أدنى مرادها الجوزاء
وسقى الله فى ثرى الشرق زرعا حيث لبنان وردة بيضاء

(٣)

أيها الشاعر الذى يتناجى وهواك الضمير والجوباء
عجب أن يودك الناس ودا قلما حدثت به الانباء
جاء موسى فخاصموه وذاقت غضب الرب (اخته البرصاء)
وتلاه عيسى فثارت عليه من لظى الحقد موجة حمراء
ثم جاء الرسول يدعو فهبت من ذويه عواصف هوجاء
رسل هدى لكنهم لم ينالوا ما أرادوا من القلوب وشاؤوا
ومن المعجزات نيلك شيئا لم ينله من قبلك الانبياء

* * *

أيها المالك القلوب حبيا أيها الشوق والهوى والوفاء
أنت يا صاحبى الامير علينا جندت فى صفاتك الامراء
لك فى النيل والكنانة عهد ومقام وحرمة وولاء
وكفى أنك المكرم من فاروق وهو المراد وهو الرجاء
أيها الشاعر الحبيب تهنا وليفاخر بمثلك الشعراء

نشيد « الجلاء عن مصر »

نظمه شبلى ملاط بك ولحنه الاستاذ فريد غصن
وغنته الآنسة أوديت كعدو فى الحفلة

يابنى مصر هلموا   واشهدوا عيد الجلاء
أى عيد ، أى نصر   أى مجد وعلاء
حصحص الحق وجرت   مصر ذيل الخيلاء
فامحضوا الفاروق شكرا   واحمدوا رب السماء

دور

هو ذا الارز يحيى   أمة الوادى الظليل
من قريب وبعيد   من حبيب وخليل
نحن والنيل نهجنا   للعلى أهدى سبيل
والى الفاروق سرنا   نلمس المجد الأثيل

اللازمة

يابنى مصر هلموا   واشهدوا عيد الجلاء
أى عيد ، أى نصر   أى مجد وعلاء

دور

نحن والنيل أحبا   فى التنائى والتدانى
وبهذى الدار جئنا   نعزف المجد أغانى
لمليك فى حماه   بلغت مصر الامانى
ومشى الارز فخورا   حاملا أغلى التهانى



فى حفلة المفوضية اللبنانية فى القاهرة

الشاعر الكبير يتوسط بعض كبار المدعوين . ويرى إلى يمينه الشيخ يوسف يس ، والشيخ سامى الخورى ، والأستاذ حبيب جاماتى ، والفريق عمر فتحى باشا . وإلى يساره المغفور له تحسين العسكرى بك ، وشبلى ملاط بك ، والأستاذ الياس نوفل

كلمة الاستاذ موريس ارقش

ياخليل الجميع . لقد أضفى عليك أدبك العالى الرضا السـامى ، وتقدير الشعوب العربية وأقطارها، ومصر العربية منها فى الطليعة . فهتفت بك الالسنة، ومشى الجذل والسرور بين الاضالع ، حتى غدوت من كل ناطق بالضاد كعبـة الجميع ومحط رحالهم

وقد عقد لك اللواء بين الأقطار العربية الشقيقـة ، فأولاك عارفو فضلك ونبلك ومكبرو أدبك تلك الثقة الغالية

ولا غرو فقد جمعت بين برديك خير تراث يقتنى ، وأفضل كنوز تجتنى ، حتى لقد اغتبط ذوو الجاه الخطير، والمال الوفير، فبوؤوك هم أيضا حبات قلوبهم، وأنزلوك بين طيات نفوسهم . وهكذا يأبى الادب الغزير الا أن يتضع يدا من المثوبة وحسن الاحدوثة فى هذا المجتمع الزاخر بشتى العظائم

خليل الجميع. ان أدبك الرائع الذى شغل سمع الزمان وبصره عهد يؤرخ به أقطاب اللغة العربية عهودهم ويتخذونه منارا لحياة وجودهم

فأنت ماثل فى الضمائر مثولا سرمديا خالدا بين ثنايا تاريخ الادب العربى. فهنيئا لك بما أحرزت من غوالى الفن وروائع الحكمة ونبالة الخلق

وسقيا لارض بعلبك التى أقلتك

وسمائها التى أظلتك

وللبنان الذى أنبتك

وأبقى الله على فخامة رئيسه الاول حفيظا على استقلاله ، أمينا على تراثه . وحفظ سعادة الشيخ سـامى الخورى وزير لبنان فى مصر الذى تفيض من قلبه

المكارم . وسلام على مصر التى فتحت لك ذراعيها ، ومدت اليك كلتا يديهـا ، مقبلة اياك من عسف العاسفين

وسلام على نيلها الذى أرواك

وعلى هوائها الذى حباك

رفع الله راية مصر فى عهد فاروقها الاول ، واطلع عليها شمسا من الحرية تضىء لها سبيل استقلالها فى ظل مليكنا المفدى فاروق الاول

حفظ الله للكنانة راعيها ، ولارض مصر كافلها وحاميها

قصيدة خليل مطران بك

(تلاها فى الحفلة الاستاذ موريس ارقش)

غاية الفن لا ترام

أمر من يطلب الخـلود عسـير	لا يعار الخلود من يستعـير
ذاك أسمى مطالب المجد لا يد	ركه مـدع ولا مغـرور
غاية الفن لا تـرام وما يقـ	رب منها الا النبيغ الصـبور
أدهش الخلق رافئيـل ولم يب	لغه منـه ما شـاءه التصـوير
نحت فدياس حير الناس حتى	لغدت تدعى الحيـاة الصخور
ثم ولى ذاك الصـناع وما فى	نفسه حال دونه التقصـير
أشعر الخلق كان هومير هل أد	رك منـه كل المنى هومير
لم يتـم الذى توخاه جـوتى	لا ولم يقض ما اشتهى شكسبير

فى الفرنسيس هل تقضى مرام ... لمجيد أو استمر مرير
ومن العرب لايحاشى امرؤ القيـ ... ـس ويناى عن القياس جرير
قال شيئا مما أراد حبيب ... وتغنى بما تسنى الضرير
وأتى معجزاته المتنبى ... وهى مما أراد شىء يسير
سل فحول القريض ممن بهم أ ... ـل مجدا هذا الزمان الاخير
هل لسام أو حافظ أو لاسما ... عيل فيمن أجاد شعرا نظير
جاء شوقى ببعض ما رام منه ... وهو فى الحق للقريض أمير
كلهم لم يصل الى ما توخى ... فثوى فى الطريق وهو حسير
سره وحيه فلم يأل جهدا ... وأبى العجز أن يتم السرور
ولكل مكانه من هوى النا ... س وكل بالتكرمات جدير
هذه يا أحبتى سانحات ... لا تمارى فى الحق والحق نور
كان فى الشعر لى مرام خطير ... فعدا طوقى المرام الخطير
هائم فى الوجود أسأله الوحـ ... ـى كما يسأل الغنى الفقير
لهج ما ادخرت عزما ولكـ ... ـن مرادى ناء وباعى قصير
أكبرونى ولست أكبر نفسى ... أنا فى الفن مستفيد صغير
فوق شعرى شعر وفوق أجل الـ ... ـشعر ما قدر البديع القدير
لا يضق صدر شاعر بأخيه ... يكره الفضل أن تضيق الصدور
والسماوات لو تأملت فيها ... ليس تحصى شموسها والبدور
كل جرم يعلو ويصبح نجما ... فله حيز وفيه يدور
والنجوم التى تلوح وتخفى ... ربوات وما يضيق الأثير
ذاك قولى وليس ينقص شكرى ... وأخوكم كما علمتم شكور
غير أنى أخشى تخطى حدى ... وهو ضعف منى فهل لى عذير
ان هذا الاكرام للفن لا لى ... والمرام الذى ابتغيتم كبير
أى قسط أوليتمونى منه ... هو فضل على قليلى كثير

كلمة الشيخ سامى الخورى

وزير لبنان المفوض فى القاهرة

لا يجوز لوزير لبنــان فى المملكة المصرية أن يعتصم بالصمت والمهرجان مهرجان خليل مطران فلا بد لى أن أقول كلمتى . ولكن ما عسانى أن أقول ، بعد الذى سمعناه فى الحفلات السابقة وفى هــذه الحفلة ، وقد تبارى فيها الخطباء والشعراء فألموا بالموضوع من جميع أطرافه . تكلموا عن المحتفل به فى جميع أدوار حياته ، عددوا مناقبه وأفاضوا بوصف أدبه العالى وشعره الرفيع ، قابلوه بغيره وقدموه من نواح على أقرانه . ذكروا الكثير من أشعاره المأثورة فلم يدعوا مجالا للمزيد . فلا عجب بعد ذلك اذا أعيانى الكلام وأعوزتنى البلاغة ولا سيما وأنا لست من رجال هذا الميدان ، لا أجرؤ على القول بأن كلمتى ستكون مسك الختام ولــكن ، اذا لم يسعدنى عبير المسك ، فان كلمتى ستجىء على كل حال معطرة بأريج من الارز نفحتنا به نسمة لبنانية حاملة اليك تحية فخامة رئيس الجمهورية موشحة بوسام الارز العالى

* * *

أيها السادة ليست الاوسمة هى التى تحلى صدور الرجال ، ولا الرتب ترفع مرتبتهم بين الناس ولا الالقاب تعلى شأنهم . . فما هذه الانعامات كلها الا اعتراف رسمى بما تتحلى به الصدور من عواطف نبيلة وأخلاق كريمة . ان هى الا اقرار علنى بفضل مستحقيها لما قاموا به من أعمال مجيدة ومفيدة . ان هى الا شهادة مزكاة على التفوق والنبوغ

فاذا تلاقى القطران الشقيقان فى تكريم شخصك أيها الشاعر العظيم فما ذلك الا اعتراف بمواهبك السامية واقرار بفضلك العميم . واذا أنعم عليك الفاروق بالرتبة الممتازة ، واذا رصع صــدرك رئيس لبنان بوســام الارز ، فلا تعجب من اتفاقهما على تمجيــد نبوغك ، ولك أن تعتز بأنها شهادة قام نصــابها بمليك مصر وبرئيس لبنان . وأكبر به من نصاب بلغت فيه البينة علم اليقين



حضرة صاحب السعادة الشيخ سامى الخورى
المندوب فوق العادة والوزير المفوض
للجمهورية اللبنانية فى المملكة المصرية

أنت سليل أسرة لبنانية عريقة ، نشأت ورأت عيناك النور فى مدينة الشمس هادية المبصرين . هدتك الى مصر فنزلتها واستوطنت ربوعها ، أحبتك فأخلصت لها واعتنقت جنسيتها، ولكنك لم تنس وطنك الأول وهو لن ينساك . فلايسعنى فى يوم عرسك الأدبى الا أن أقول : بارك الله فى بلد كريم نشأت فيه ، وبارك فى بلد كريم دخلته . ما أنت بالولد الشاطر وتعلم المنزلة الرفيعة التى ما زالت لك فى لبنان ، وما أنت بالدخيل على مصر وقد رأينا من عطف مليكها عليك ما جعلك بالصف الاول من أبناء رعيته المخلصين . غنمت بك مصر ولم يخسرك لبنان ، لذلك حق لنا ، يا شاعر القطرين ، أن نرى فى شخصك مثالا مجسما حيا لروح التآخى بين مصر ولبنان

* * *

أما عبقريتك فقد جاوزت حدود لبنان وحدود مصر . أسموك أيضا شاعر الاقطار العربية ولو انصفوك لما وضعوا حدا لنبوغك ، فالنبوغ لا وطن له واذا ضاقت به الاوطان استعاض عن ضيق المجال بسعة الزمان والخلود

تأصلت فيك النزعة الى الخلود من يوم انفتحت عيناك على عالم الوجود ورأيت هيكل الشمس موفيا بعظمته على سهل بعلبك ، فمتعت نفسك بروعته وانطبعت فى مخيلتك صورة الاعمدة الجبارة كأنها شموع للخلود لا تحترق ، ترفع الى العلى صلاة لا تنتهى

واذا دخلنا الهيكل وسرحنا الطرف فيما يحيط به ، وجدنا جدرانا متهدمة وأحجارا ضخمة متحطمة ورؤوس التماثيل وسواعدها متناثرة على الارض كأنها الاشلاء فى ساحة الوغى . وما هذا الا حدثان الدهر أخنى عليها بنوائبه فدك البنيان المرصوص وهتك حرمة المعبد . وما العظمة التى تشع من هيكل الشمس بالرغم من هذا الدمار ، سوى عظمة فكر الانسان ، لان وراء هذا المعبد المتهدم مشيئة ذاك السلطان القدير الذى أمر بتشييده ، ويد الفنان الماهر الذى نحت فى صلب الصخور تلك النقوش البديعة ، ويد البانى الحذق الذى ركز القواعد

ونقد الاحجـار الضخمة فتحـدى باحكامه فن البناء عواصف الطبيعة وتعاقب الاجيال

فالخلود لم يكتب للمادة ، وانما هو تراث الروح والفكر وهذا هو الخلود الذى اخترته لنفسك

* * *

ولا حاجة بى الى تبيان فضلك على اللغة والأدب والشعر ، وقد سبق الى بيان ذلك وأفاض من تقدمنى من الخطباء والشعراء . ولكن حسبى الاشادة بأن العمل الهادىء الصامت الذى قمت به فى عزلتك والتفوق فى استنباط المبتكر من المعانى وفى وضع الصحيح المتين من المبانى يدلان على عبقرية سامية ونبوغ لا يقل بجلال آثاره عن آثار هؤلاء العظماء . لا بل يجاوزهم فى ميدان البقاء والخلود

هم نقشوا على الاحجار بنات أفكارهم وأنت طبعتها فى النفوس . هم بنوا على الارض ، وأنت شيدت فى سماء الخيال قصورا شاهقة متينة المبنى ورصعت جدرانها بالآيات الجميلة فجعلت منها جنة غناء تسرح فى جوانبها وتمرح عرائس الشعر من قصائدك الخالدة

وكأنى بها ، وهى فى مرحها ، ترنو من عليائها الى هيكل الشمس وتقول:

لايبـلغ البـانى ولو رفع الدعائم ما بنينا

كلمة الاستاذ حبيب جاماتى

يدعى الخليل أنه شاخ فلا تصدقوه . فقد حطت الاعوام عبئا بأثقالها على منكبيه ، ولكنها لم تنل من حيويته ، التى جددتها وثبة أوطانه العربية الى المجد والحياة الحرة ، وعطف المليك والرئيس . فلن تنال منك السنون يامطران ، فى

عهد الفاروق فتى الفتيان ، وعهد شيخ الشباب فى لبنان : وما هذه شيخوخة بل مشيخة ، يا فتى الشعر وشيخ الشعراء !

قضى الخليل نصف جيل ، يداعب عرائس الشعر فتنقاد له ذليلة خاضعة . يتغنى بلبنان مسقط رأسه ، ومهبط وحيه ، ويرتل الآيات لمصر ، محط رحله ومرتع نشاطه . ويفرغ فى أناشيده الخالدة وأعماله المأثورة ما أفرغته فيه طبيعة البلدين الشقيقين : فمن الينابيع الصافية ، والقمم الشاهقة ، والوديان السحيقة والدوحات الباسقة ، والنسيم العليل هناك، ومن النيل المتدفق والسهل المنبسط، والغيطان الخصبة هنا ، أخذ الخليل أطيب العناصر ، فوضعها كلها فى خدمة لبنان وفى خدمة مصر ، وفى خدمة العرب والعروبة

قضى الخليل نصف جيل ، وهو يقف فى لبنان وقفات يخلد كلا منها فى قصيدة من قصائده وفى انشودة من أناشيده . فلكل بقعة من البقاع ، ولكل جنة من الجنان ، ولكل موقع من المواقع ، قصيدة وأنشودة ، طبعت فى صفحة الخلد قبل أن تطبع فى كتاب

فاسمعوا الخليل يتغنى بلبنان ، ويعبر بلغة الشعر عن العاطفة التى تختلج فى صدر كل لبنانى مغترب . يحفظ للوطن الأول الوفاء ، وللوطن الثانى الولاء :

تلك الديار أتذكرون جمالها	بين السهول الخضر والاطواد
أتردها أحلامكم ، أترودها	أوهامكم فى يقظة ورقاد
أما أنا ، فعلى تقادم هجرتى	عنها ، ودادى لا يزال ودادى
لبنانها ودمشقها وبقاعها	وضياعها والبحر طى فؤادى

* * *

لبنان هل للراسيات كأرزه	تاج ينضرها على الآباد
ياليت ذاك الارز كان شعارنا	بثباته وتواشج الاعضاد
بسقت بواسقه على قدر فما	جهلت وما كانت من المراد

لو امعنت صعدا لما ضلعت ولا رسخت ولا جلدت لرد نـآد
ان تدهها حمر الصواعق تبتسم فيهـا النضـارة عن لظى وقاد
وتر الغصون كأن كل مخضل فيها تبـاعث منـــه ورى زناد

* * *

أوقفت تعجب من صنيع الله فى لبنان بين شـــوامخ ووهاد
أرأيت أشتات المدارج والقرى متنوعات الحـــلى والأبـــراد
وكوالح الاصلاد تم نباتهـا خلسا عن التحنان فى الاصلاد
والسـائمات أقـرها فى نعمة أخذ الرعاة لها من الآســاد
ترعى الخزامى والثمام نشيطة محمودة الاصــدار والايراد

هذا كان شأن الخليل ، فى عهد الكبوة والظلمات ، عندما كان لبنان يتململ فى قيوده . فكيف به الآن ، وقد انتقل الجبل العزيز من حال الى حال ، من كبوة الى وثبة ، ومن ظلام الى نور . وأشرقت على ربوعه شمس الحرية الوهاجة ، وجلس على أريكة فخر الدين الشهابى ، رئيس مقدام ، طوت يده صفحة الماضى الأليم ، وخطت السطور الاولى من صفحة المستقبل المفعم بالآمال

فلنتجه بأنظارنا ، وأذهاننا ، وقلوبنا ، ومشاعرنا ، الى ذلك الوطن الاول ، والى أول رئيس للجمهورية اللبنانية الحرة ، ونبعث اليهما ، على أجنحة النسيم ، أطيب التحيات والتمنيات قائلين مع الخليل :

أمعيد الاســـتقلال مكتملا الى بلد أبى الضيم المــذل فثـارا
ما اختص لبنــان بما لك من يد شملت ، وقد أوليتها ، اقطارا
سيظل ذاك اليوم فى تاريخه أبدا لأشرف حـادث تذكارا
أبهج به يوما يجـدد عـزمه ويوحـد الآراب والأوطارا
لله درك من دؤوب صـــابر ابلى فجـــدد أمـة وديارا
يرعاهما ويسير فى نهج الهدى قصدا ويخشى الله ان هو جارا



الاستاذ حبيب جاماتي



الدكتور رشيد كرم

لا يوقع الاحكام الا صـــادرا	عن حـكمة تستبطن الاسرارا
ما من لهيف لم يغثـه ومعهـد	للـبر لم يخـلد به آثارا
من يعدل الشيخ الرئيس مروءة	ان ذاد ضرا أو أقال عثـارا
من يعدل الشيخ الرئيس ثقافة	وكتـابة وخطـابة وحـوارا
انا لنعظم فى شـــمائله التى	كملت ، صفاء النفس والايثارا
ونرى به الكبر الصحيح يروعنا	بالمحمدات ولا نرى اســتكبارا
حلو اللقاء على جـلالة قـدره	يحيى النفوس ويبهج الابصارا
تجلو بشاشـتـه وداعة طبعه	ويزيده رفـع الحجـاب وقارا
هـل فى المـدائح ما يوفى حقه	أو ما يكافىء صحبه الأبرارا
لله ما أبلى رياض اذ دعا	داعى الفدى فتزعم الأنصارا
ومضوا فاما الموت أو يحيى الحمى	حرا ويحيى أهله أحـــرارا
حتى اذا بلغوا النجاح وصرفوا	فى الحكم كانوا الصفوة الاخيارا
فليكـلأ الله الرئيس ويبقهـم	ذخرا عزيزا للحمى وفخـارا

والآن ، فى هذا البيت ، بيت لبنان فى مصر ، المشمول بعطف الفـاروق ، ليهنىء بعضنا بعضا على ما لقيه شاعرنا الكبير ، ولقيناه جميعا ، فى هذا البلد المضياف الكريم ، من رعاية ، ومحبة ، واخوة وصفاء

ومن قديم الزمان ، كان لبنان حليف مصر ، وسيظل على اخلاصه لها ، على كر الايام . وقد تلقى الخليـل مئات من البرقيات ، من لبنان والمهاجر ، لم تخل واحدة منها ، من ذكر الكنانة ، والدعاء للفاروق

أدام الله هذه الاواصر ، بهمة وزير لبنان المفوض فى مصر ، الذى نشارك الخليل فى مخاطبته :

انـــا نحــيى اذ نحيـ	ـيك الحصيف الحازمـا
عنـــوان أمتـــه نهى	ومناقبـــا وعـــزائما

كان الجـوار لمصر عهـ ـدا للأخوة دائمـا
واليوم وثق حسـن رأ يك اصره المتقـادما
هيهـات أن يلـفى وفـ ـى للكنـانة نادمـا
أسـعد بهـا والله ولا ها المليـك القائمـا
أفما ترى حيث اتجهـ ـت مفاخرا وعظائما

* * *

يا من لقينـا فى ذرا ه لطائفـا ومكـارما
وكـدأبه يجد المغـا رم فى الحقـوق مغـانما
أثنى عليـك وهل أوفـ ـى ناثـرا أو ناظمـا
ما القول فيمن وجههـا يجلو الصبـاح الباسما
دامت مثـالا للـوفا ء وعش عزيزا سـالما

ولم يبق الآن ، الا أن ندعو بطول البقاء ، لابن لبنان البار ، وربيب مصر الوفى ، وشاعر العرب اجمعين ، خليل الجميع ، ومطران الجميع

وان يحقق لمصر العزيزة وحـدتها ، ويرفع الى الذروات تاجها ، ويبـدد الغيوم من سمائها

ويحفظ للمصريين وللبنانيين ، مليك الوادى ، وشيخ الجبل



فى حفلة المفوضية اللبنانية فى القاهرة

جلسة طبيعية للمغفور له تحسين العسكرى بك والشيخ سامى الخورى يتوسطهما المحتفل به

قصيدة الدكتور رشيد كرم

تحية الشعر

الى شاعر الأقطار العربية

خليل مطران بك

ألقت اليك الشام فرقدها — فعطلت بالوفاء مقلدها

يا مصر . كم حامل مشاعله — وعاصف فى الدهور أخمدها

رمى به البين فاستعنت له — بنار موسى فىالطور أوقدها

وظامىء للعلى وكورته — رمضاء تفنىالركبان اجلدها

رويته بالكؤوس مترعة — فبات يطوى الحياة أرغدها

والنيل حوض الجنان كوته — عند الثريا تفض موردها

فراعن الارض من كواكبها — فاروقها بالعيوق قلدها

* * *

خلى الخليلون «أور» دونهم — والدير أو بعلبك معبدها

ومنشدى اليوم شاعر غرد — منافس بالأنغام معبدها

كأنما الطير فى مجاثمها — راضت حلاقيمها لتنشدها

يسامر النجم هازجا طربا — يهزهز الناعمات هجدها

ويذهل الزهر فى مسارحها — ترخى له عنقها ومقودها

وفى الربى للزهور وسوسة — احداقها تستشف مرصدها

والكنس الموحشات مؤنسة — تعيد نفارها وشردها

وكل مفتونة بشاعرها — خلت عكاظا ترد قصدها

وخلفت ثورة بحسدها — والعين يلحىالبياض اسودها

فتلك كنارتى عزفت بها — فاسترجعت بالخليل سؤددها

كالقوس خرساء دون واترها　　مرنانة السهم ان تقلدها

* * *

يا شاعر الدهر والحكيم لقد　　خبرت جد الحياة أوددها
تمرد الجهل فانبريت له　　مصاولا منذ كنت أمردها
فى كل فضل بلغت غايته　　من مارس المكرمات جودها
اقصرت عن عدها وقد كثرت　　وليس بالشعر أن يعددها
لم يأخذ الزهو منك عن خلق　　يخفى بريق السيوف محتدها
وفى القنا روعة وان ركزت　　وصولة ان ترى تأودها
وكنت فى خاطر الزمان منى　　لا تلمس الراحتان مجسدها
تجول كالوحى فى ضمائرنا　　وكالحميا لمن تعودها

* * *

أى جزاء فى الارض تطلبه　　وقد سلكت الدروب ارشدها
ما خلدت ذا وذا ببهرجها　　وخلدت حافظا واحمدها
قد ناولتك الافلاك أوسمة　　اعشى بنى بكر ما تقلدها
وجاءك الشعر من لآلئه　　من كل بحر ماصاغ أو بدها
قلادة العلم لا شبيه لها　　ما نظموا درها وعسجدها

* * *

أوفى للبنان أن تصوغ له　　أثمن ما فى النهى وانضدها
وقد سقتك العيون كوثرها　　وارشفتك الكروم جيدها
وشيخ لبنان من جواهره　　أهدى بحق اليك خردها
والدار فى مصر تزدهى طربا　　نشوتها تستخف امجدها
فرعان فى دوحة العلى وشجا　　وبالخصال الرحمن أيدها

* * *

عشت مديدا رمز الوفاء ومن　　صفت لياليه عاش أسعدها
وكلما قلت هلهلت سنة　　لا يبرح الله أن يجددها



فى حفلة المفوضية اللبنانية فى القاهرة

فريق آخر من المدعوين يستمعون إلى برنامج الحفلة

حفلة جمعية الاتحاد العربي في القاهرة

١ ـ وصف الحفلة

فى أصيل اليوم التاسع عشر من شهر ابريل **١٩٤٧** أقامت جمعية الاتحاد العربى حفلة شاى شائقة تكريما لشاعر العروبة خليل مطران بك حضرها بعض الوزراء والضيوف الشرقيين وأعضاء المؤتمر البرلمانى من وفود الدول العربية

وافتتح الحفلة محمد على علوبه باشا بكلمة رحب بها بالمحتفل به وأعقبه شاعر الارز شبلى ملاط بك فألقى مختارات من شعره ، فالاستاذ حسين السيد فألقى زجلا بديعا ، فالاستاذ موريس أرقش بكلمة فى آثار المحتفى به . ثم تلا قصيدة لخليل مطران بك فى العروبة فكانت موضع استحسان الجميع . ثم ألقى نجيب هواوينى بك أبياتا من الشعر وألقى تحية المغرب الاستاذ محمد اليمنى الناصرى . واختتم الحفل بكلمة من الاستاذ جميل الرافعى

٢ ـ الخطب والقصائد التى ألقيت فى الحفلة

كلمة محمد على علوبه باشا

الشرق العربى مهبط الوحى. ومهد النبوة ، ومستراد الحضارة والتمدين، وينبوع من ينابيع الثقافة الأصيلة العريقة فى تاريخ الانسانية . ولا تزال هذه الصفحة البيضاء المشرقة التى سطرها الاشوريون والبابليون فى تاريخ الثقافة تقرر فى حزم ويقين عظمة الشرق الروحية ، وامكانياته النفسية ، وعناصره الثقافية . وحسب الشرق فخرا وتمجيدا أن التقت به الشرائع السماوية التى وضعت من المبادىء والانظمة والاتجاهات العلمية والروحية ما كفل للانسانية أن تسير فى الطريق السوى والصراط المستقيم . وشاءت ارادة الله أن يبقى



حضرة صاحب السعادة محمد علي علوبه باشا
رئيس الاتحاد العربي في القاهرة

الشرق يفجر هـذه الينابيع التى تخصب ما حولها وتتحف الانسـانية بين الآن والآن بأفذاذ من الرجال توافـرت لهم أسـباب النبـوغ والاكتمـال . ومن مفاخر هـذا الشرق ، بل من ينابيعه المتصلة بالينبـوع الاول الروحى والثقافى والبيانى شاعرنا ـ استغفر الله ـ بل شاعر العروبة والشرق خليل مطران . نشأ بحضن الجبل الاشم فى لبنان ، حيث دوت أصوات الحق والبر ، وبرقت لمحات النور والخير ، وتبدت بدوات من الفكر الحر كأن كل حبية فى هذا الجبل الاشم أمة بأسرها ، ومن بين هذه الحبيبات حبية نبتت ونمت حتى أصبحت شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وفد الى النيل فاستأثر به وغرد على شـواطئه بأغاريد توقظ فى شعوب الشرق الوعى القـومى ، واليقظة النفسية ، مما جعل النيل يستأثر به ويعتصم بأدبه بل ويجنده فى عـداد أبطاله ويضعه فى القمة بين مصلحيه ورجاله . وأول ما تعرفت الى الخليل تعرفت اليه من أدبه وشعره . وراعنى فيه عنصر الوفاء والصدق ، وما لبثت أن التقيت به . ولا أذيع سرا اذا قررت بأنه اشتغل بالاقتصاد ولكنه رسب فيه ، ولم يكن رسوبه فىالاقتصاد الا نجاحا منقطع النظير فىالادب والفن وأى الثروتين أخلد وأشمل وأكمل وانفع؟ لاجرم أن الثروة المادية يقتسمها الورثة وحدهم وهى معرضة للضياع والتبديد، أما الثروة الادبية فيقتسمها أبناء الشرق أجمعون وهى باقية بقاء الجديدين وقابلة للزيادة والتجديد . فاذا كرم الاتحاد العربى الاستاذ خليل مطران بك فانما يكرم جهاده فىتركيزه وتدعيمه . ولى اليك مطلب : اذا كنت فىشبابك تغزلت فنريد منك فى شيخوختك أن تبدع القصائد الطوال والقصار فى الغزل بالشرق الذى كرمك واعترف بفضلك وتشامخ بأدبك بعد أن تحرر ونهض نهضته العربيـة الـكبرى

زجل الاستاذ حسين السيد

يا سابق العمر من قبل الأوان بأوان
يا موزع الفضل فى عمر الزمن أوزان
يا ناحت الصخر ومشيد عليه أوطان
لما السنين طاوعتك وطاوعتها بأمان
سبقت عيونك عيون فكر الزمان بزمان

* * *

لوعة أهاتك فى تنهيدة صدور الغيد
وامواج بحورك صداها فى صدور البيد
وفى كل كلمة معانى فيها معنى جديد
الفرحة لو قلتها تسبق ليالى العيد
والدمعه لو صغتها تفنى حجر وحديد

* * *

طولت عمر السنين من طول نداك فيها
ما لقتش غيرك علم خفاق فى واديها
مشيت وراك واتحنت وانت اللى هاديها
صبحت سنينك بحاضرها . . . وماضيها
هى اللى عاشت بيك . . وكان مفروض تعيش بيها

* * *

سيف الجهاد بين ايديك حارب فى كل جهات
أشعار ونثر وصحافة واقتصاد ونبات
وسنين قضيت صفوها فى ترجمة روايات
لو شاكسبير يختلس غفلة من الاموات
ويشوف روايه ليحلف أن عمره ما مات

غـيرك كتير اتنسى أدبه وهـو رضيع
باعه رخيص واشترى آداب نسبها وضيع
آداب يقـولوا الجرائد عنها .. فن رفيع
أما انت أدبك وهبتـه من ربيع لربيع
عمرك ما بعته ، ولا عمـرك فى يوم حاتبيع

* * *

الملك فى الدنيـا مش للسيف أو النـيران
ولا قنابل تفجـر فى الفضـا . . . بركان
ولا مدافع ولا أسـطول عليـه قبطـان
الملك يمكن يكـون حكمـه بوحى أيمـان
حكمه ، فى كلمه، فى شطره، من بيوت مطران

* * *

مطران . حبيب اللى فى الدنيا ما لوهش حبيب
مطران . نصيب اللى ضاع له فى القوافى نصيب
مطران . طبيب اللى جرحه ما التقاله طبيب
دنيـا ونورها سـحاب فيضـه بعيـد وقريب
لـو غابت الشمس شمسـه عمـرها ما تغيب

* * *

شعرك نظمته سبح حايسبحوا بهـا النـاس
ويوزعوها عقيـده لوحدة الاحسـاس
وحاييجى يوم والسبح دى بالدمـوع تنباس
لمـا صـداها حايسرى فى كافة الأجنـاس
زى الأدان للصـلا أو دقة الأجـراس

* * *

يا ما دعيت باتحاد شـمل العـرب أعـوام

أيام ما كانوا العــرب فى مجــدهم أيتــام
بتنا وصبحنا وشــفنا . . وشــافت الأيام
دعوة شبابك حقيقه مش صدى أحـلام
وادى اتحاد العرب تشهد عليه الاختام

* * *

رضيت عليك الشعـوب واتسـابقت الحكام
أهدوا اليــك الخلــود فى يقظــة الأيام
ألقاب دليل الرضا ووسام ينافسه وسام
وكان رضـاه « الفـاروق » فى لفتة الأنعــام
أعظم وأسمى ، وأكـرم معنى للاكــرام

كلمة الاستاذ موريس أرقش

قبل أن أردد بين حضراتكم صدى قصيدة عامرة الابيات، متسقة المعانى ، فياضة الحسن، لشاعر الاقطار العربية المحتفىبه الاستاذ الكبير خليل بكمطران، فى مجد العرب والعروبة ـ يطيب لى أن أمهـد لهذه القصـيدة بكلمـة تجيش بخاطرى . كان للعروبة فى مطلع شمسها مجد لا يطاول . وعز لا يحاول . درجت بين اكنافها شعوب وأمم . فتلقت عنها العلم والحضارة . وتابعت خطاها آمادا متعاقبة من الزمن . ولعلل ، ماثلة لنا جميعا ، خفت صوت العروبة . فمشت وئيدا . ولكنها لم تقف . وظلت ترقب بصيصا من الرجاء المساور . والامل الزاهر . حتى انبثق فجـرها . وهب نسيمها بعبير متأرج الانفـاس . مرهف الاحساس . فاشرأبت اليه الاعناق . ثم أخذ يزداد يقينها بأن شمسها لا بد مشرقة على عالمهـا . اشراقا تطهـره من أرجاس الاسـتعمار . وأدران الفتح المسلح . ذلك السناد الذى قامت عليه لغة الاستعمار . فلا يفهـم غير القـوة .



نجيب هواويني بك





الاستاذ حسين السيد

ولا يعتنق غير المادية مذهبا . وما دام الغربيــون لا يفهمون الا لغــة القــوة . ولا يحترمون الا الاقوياء . ولا يهتدون الى اعتناق الحق الا اذا فرض عليهم فرضا . فها نحن أولاء الشرقيين وبخاصة العرب سنشمر عن ساعد الجـد . محفزين من قوة يقيننا . وايماننا بعدالة حقنا . وقوة قضيتنا . المسلم والمسيحى بيننا سواسية . سوف نضرب للغربيين ولغيرهم أنبل المثل وأسماها فى الجهاد الصادق . بعد صبر . طال أمده . وبعد أن ضعف اليقين . بأن الاعتماد على الحق الوادع . دون قوة تؤيده . أو سلاح يسنده . انما هو اسطورة . من أساطير الاولين . فوق أنه تواكل وتخاذل نام المستعمر فى ظله أحقابا من الزمن

أما اليوم . فقد استيقظنا . وفتحنا أعيننا . بعد سبات عميق . ولكن على دم الضحايا الذين استشهدوا فى ميدان المجد والشرف الرفيع . وطاحت نفوسهم سخية . مخضبين أرض الوطن بدمائهم القانية

فها هى ذى مصر والعـراق وسـوريا ولبنان خلعت عنها ربقة المصـابرة والمسايرة وحطمت عن ساقيها ويديها أغلال الاحتلال ونادت باعتناق هدف واحد هو اتقان لغة القوة ما دام الغربى لا يفهم لغة سواها

وصدق ابن المعرة حين قال :

نفـوس أصابتهـا المنـــايا فلا تكن	يؤوســـا لعـل الله يوما يؤوســـها
وما برحت أجسادها تطلب العـلى	من الدهر حتى زايلتهـا رؤوسها
بنت بالظبـا أبيـــات عز فأودعت	بيوت حفـير أحكمتهـا فـؤوسها

حفظ الله أرض الكنانة . تحت لواء قائدها الأوحد وعلمها الفرد الامجد . فاروق الأول . زعيم العروبة ورمز الكرامة الوطنية والعزة القومية

قصيدة

لخليل مطران بك

في العروبة

(القاها فى الحفلة الاستاذ موريس ارقش)

يا معشر العــرب الـكرام الأُولى ... بهــم أباهى كــل ذى معشر
يا أمــة أنكرت تفريطهــا ... انــكار لا قال ولا مــزدر
بصــدق من يوقــظ حبا لــه ... وقد غفا عن طــارىء منــذر
كم بت استشفع منهــا لهــا ... ونومهــا من ريبــة مسهــرى
أقــول هــل من رقدة قبلهــا ... بغــيرك امتــدت الى أعصر
ألم تــرى أن قــرار الضحى ... غــرم وان الغنم للمبكــر
أربى عــلى كل سـبات مضى ... نومـك فى المبدى وفى المحضر
يا أمــة تاريخهــا حافــل ... بالآى مــن مبتـدا الادهــر
من عهـد قحطــان تبــاعا الى ... قيس ابن شـيبان الى عنتــر
الى اليتيم القرشى الــذى ... اعجــز بالرأى وبالابتــر
مستنزل الــوحى الــذى دال من ... كسرى والقى التــاج عـن قيصر
الى العميـد المجتبى بعــده ... وشيخهــا بالعقل والمخبــر
الى الــذى لم يلف ند لــه ... فى مالك بالعــدل مستعمــر
الى ابن عفــان وفيما تــلا ... دماؤه تجرى عــلى الاسـطر
الى عــلى سـيفها فى الــوغى ... وصوتها المسمــوع فى المنبــر
الى نجـوم عــز احصــاؤها ... من قادة غــر ومن عســكر
ومن أولى حــزم اداروا بــه ... مرافق الدنيــا عــلى محـور
ومن أولى علـم أفاضـوا هـدى ... عــلى النهى من نوره الازهــر
ذلــك ما كنت عــلى سمعهــا ... القيــه ان أسرر وان أجهــر

وطالما عدت وبى حزن من | حاول احسانا فلم يقدر
سهران لكن رجائى بها | يؤنسنى فى ليلى الأعكر
كالكوكب الثابت فى قطبه | يسطع فى فكرى وفى منظرى
عاتبتها حتى اذا روعت | بطيف شر أشعث أغبر
مستتر الهام خؤون الخطى | جم من العدة مستكثر
منطاد جو فارس راجل | خواض بحر فى الدجى مبصر
قلت لقد حل المصاب الذى | يوقظها يا نفس فاستبشرى
ما لشعوب جمدت باعث | كالخطب مهما يطوها تنشر

ابيات نجيب هواوينى بك

خليل العلى قد كرموك فأكرموا | نبوغا تجلى فيك يا خير ألمعى
جلست على عرشين عرش بلاغة | وعرش بحبات القلوب مرصع

كلمة الاستاذ محمد اليمنى الناصرى

أيها السادة :

كان بودنا أن يشارك المغرب العربى فى تكريم شاعر القطرين خليل بك مطران وألا يستأثر بتكريمه قطر عربى دون أخيه . على أن فى المغرب ، ولله الحمد ، شعراء فحولا لا يقعقع لهم بالشنان . ولو علموا بتكريمه لكانوا أول من بادر للمشاركة فيه ، لأن شاعر القطرين هو شاعر العروبة فى هذا العصر . فكل قطر عربى ينبغى له أن يكرمه ويشيد بذكره . وقد علمت أخيرا ، بعد عودتى من الاسكندرية ، انه سيكرم فى نادى الاتحاد العربى . فبادرت بصفتى

عضوا فى هذا الاتحاد ، وبصفتى مغربيا من شعراء المغرب ، الى ارتجال الابيات الآتية راجيا من حضرة المكرم الكريم قبولها :

فى الشعر منك عـذوبه	تسمو بشعـــر العروبه
لفظ تجـــلى فجـــلى	غريبـــه وغـــروبه
غنى فأغنى بمعـــنى	منـــه العقـــول طروبه
ضريبـــه ليس يلفى	وقد ملـــكت ضروبـــه
عليـــه دربت نشـــأ	لـــولاك ضـــل دروبه
مكروبهم ان تســـلى	به ازاح كـــــروبه
وان غريب تمـــلى	به أفـــاض غـــروبه
يشجى وينجى كسيـف	ما فـــل قرن غـــروبه
قد كرموك فشـــادوا	بذاك مجـــد العـــروبه

كلمة الاستاذ جيل الرافعى

سادتى :

كان من أسباب السرور والشرف لى انى كنت أحد أعضاء لجنة الاحتفال لتكريم شاعر الامة العربية ، وصديق الانسانية العليا ، وفتى فتيانها الذى نحتفى به هذه الليلة فى نادينا العربى الصميم . من أجل ذلك أتيح لى ان أشهد جميع الحفلات التى أقيمت فى مهرجان الخليل ، وسمعت كل ما قيل فى عبقريته شعرا ونثرا ، وأصغيت بكليتى الى جميع ما اقتبسه الكتاب والادباء من شعره الخالد فى مختلف المواضيع والوان المناسبات ، وطربت نفسى فى أعماقها عندما تجلى عطف المليك تقديرا لشاعر العرب الاكبر فى أولى الحفلات التى شرفها صاحب الجلالة برعايته السامية ، وفى مناسبة عيد الجلاء ، وفى تقدير صاحبى الفخـامة رئيسى سورية ولبنان لشاعرية الخليل وبما أهديا اليه من كريم الاوسمة



السيد محمد اليمنى الناصرى



الاستاذ جميل الرافعى



سمعت كبار الوزراء والعظماء ، وفطاحل الشعراء والادباء ، وخيرة الكتاب الذين هرعوا من جوانب الممالك والاقطار العربية لينوبوا عن أممهم وحكوماتهم فى تكريم الشاعر الفذ . سمعتهم يقولون فى الخليل الشاعر وعبقريته الادبية ما لم يقل فى شاعر ولا أديب ولا عالم معاصر من قبل . سمعتهم يؤكدون ان من مفاخر الخليل انه جاء للشعر العربى بالجديد المبدع ولم يقطع صلته بروائع القديم المطرب فمزج الفكرين وأضفى عليهما من خياله الرائع ما جاء للناس فى هذا العصر بالعجب العجاب . فهو أمام المجددين الذين لقحوا الادب العربى بالادب الغربى ففتح بعمله هذا افاق الخيال الصافى المحلق فى سماء الحقائق حتى استطاع أن يوجه الادب العربى والرأى العام توجيها صادقا ، سداه الغيرة والاخلاص للوطنية العاملة ، ولحمته النهوض بالعربية السمحاء الى كل جديد نافع حتى تماشى ركب الحضارة فى أبعد أشواطه

كانت تلك الخطب الرنانة والاشعار البديعة محاضرات أدبية فنية أخلاقية ، كانت دروسا مشرقة نافعة لفتت أقرب المقربين الى الخليل فأعادت الى الذاكرة أيام عكاظ ومواسم المعلقات . ثم أسمعنا الاديب المسرحى الاستاذ زكى طليمات محاضرة بارعة فى تأليف الخليل وترجمته لمسرحياته المعروفة التى امتازت بأسلوبها وتفكيرها واقتباسها ولغتها على جميع ما سبقها ولحقها فى هذا الباب . فجاءت نهجا فذا لمن يتصدون لكتابة القصة وخدمة الفن المسرحى . ولم يبخل علينا الاستاذ طليمات فى بيان الخدمات الجلى التى أسداها الخليل للمسرح العربى فى توجيهاته العصرية بما يطابق الاسلوب الاوربى العلمى فى روح شرقى يتوهج سناه ويعبق شذاه ففتح الخليل بطريقته هذه المثلى فتحا مبينا فى هذا الفن العظيم وجاء له بالآيات البينات

وكأننى بجميع الذين تصدوا للكلام عن الخليل شعروا أن الأدب والشعر والمزايا التى تحلى بها شاعرنا الموهوب أحدثت أثرها المرجى فى النهضة العربية العامة فأفاد البعث العربى منها من تلك الايام الخوالى . يوم رفع شاعرنا عقيرته

وهو غض الاهاب ليهاجم الطغاة فى أرض الشام عند نهاية القرن الماضى . شعروا أن تلك الخدمات هى الفضل طوق أعناق الكثيرين من أبناء العروبة فطفقوا يؤدون ما فى أعناقهم من دين لخليل مطران . لذلك كانت كلماتهم كلها صادرة من أعماق الوفاء والاعجاب والتقدير . فقالوا فى أخلاق المحتفى به ووفائه النادر وأدبه الجم الرفيع وتواضعه العجيب وفنائه فى حب الخير شيئا عظيما حتى شهدوا فى احسانه الصامت أن يمناه لا تعرف بماذا تتصدق يسراه . وأنا على ذلك من الشاهدين

وبعد فليس عندى ما أقوله لك ياصديقى العظيم الا أن أذكر اخوانك ومريديك بتلك الاحاديث الطلية والدروس النافعة التى يتمتعون بها بأمسياتهم فى النادى الشرقى حيث يتحدث اليهم الخليل فى مختلف المواضيع العامة . هنالك يشهد الاخوان كيف تقرر الحقائق وتصفى العلوم .وما أبدع الحديث حينما يدار حول العلماء والادباء ورجال الفن الذين عاصرهم الشاعر الحكيم . فهو يبرز لك شخصياتهم بهالة من الجلال والاحترام والتقدير . يصور لك جوانب النبل والرجولة والوفاء واحترام الحقائق العلمية والفنية تصويرا يحملك على احترام الخليل من أعماق نفسك لانه يعلمك كيف يجب أن تحترم رجال أمتك الذين رحلوا الى الدار الاخرى وكانوا عظماء دون ضجة ولا دعاية ولا زعامات .وهو فى جميع ما يحدثك لا يجلو لك الا النواحى السامية وما أعظم ما يجسم لك الوفاء ، الوفاء الذى يقدسه الخليل ويعتبره معيارا لقيم الرجال فى كل عصر ومصر

انى أعلم علم اليقين ان ما قيل فى شاعرنا العظيم من روائع النظم والنثر جاء مطابقا لحقيقة الرجل ولم يكن لنسج الخيال يد تذكر ولا سيما عندما عدد الخطباء والشعراء صفاته النادرة ولونوها بألوانها الزاهية . وما أبدع وأرق ما وصف الواصفون من شمائله وأجلها خلة التواضع التى لا أعرف له ضريبا فيها الا المغفور له احمد تيمور باشا رحمه الله

لقد جمعتنى الايام بعالم أجنبى من علماء المشرقيات كان يتردد كثيرا على

المرحوم تيمور باشا . وكان الرجل ممتلئا اعجابا وتقديرا لعبقرية الباشا وغزارة علمه وغيرته فى الدفاع عن الحقائق العلمية . فكان العالم الغربى المستشرق يقرر انه لم يعرف عالما اجتمعت له من صفات التواضع ما اجتمع لأحمد تيمور وان هذا الخلق يدل بأجلى بيان على فهم الحقيقة العلمية واستيعابها والشعور التام بقيمتها وشدة الحاجة الى تمجيدها وتقديسها . وفى هذه الغمرة من التفانى بالحقائق تتضاءل شخصية الرجل أمام نفسه مهما عظمت مجهوداته فى سبيل العلم ومهما سما فى خدمته

وانى أشهد الله على انى رأيت هذه الخلة التى عرفتها ومجدتها فى المغفور له تيمور باشا متجلية كل التجلى فى صديقى الخليل ، وأراها تتجدد وتنمو معه حتى يشعرنا دواما بأنه لا يرى فى حالته كلها شيئا يستحق اعجاب الناس أو تقدير المقدرين . بينما نشعر وتشعر معنا أمتنا العربية ويشهد الوطن العربى الاكبر ان خليلا مثار الاعجاب وموضع التجلة والتقدير من جميع الناطقين بالضاد

انك أيها الخليل تحية خالدة من أرض الشام الى أرض الكنانة عم شذاها الدائم أرجاء الدنيا العربية . وقد كتب لها الخلود منذ البعث العربى وسيرف نداها على جميع العاملين فى حقول العلم والأدب والفن والوفاء . فباسم الاتحاد العربى فى مصر وسائر بلاد العروبة أهنيك وأرحب بك

فاهنأ بمهرجانك تحتفى به أمتك العربية بدافع من عبقريتها وحسبك هذا فخرا فى العالمين

حفلة الرهبات الطائفية للروم الكاثوليك في القاهرة

١ - وصف الحفلة

فى أصيل اليوم الرابع من شهر مايو ١٩٤٧ أقامت الهيئات الطائفية للروم الكاثوليك - المؤلفة من المجلس الملى ، والجمعية الخيرية ، والكلية البطريركية ، واتحاد خريجى المدارس الكاثوليكية ، وجمعيات القديس يوحنا فم الذهب - حفلة تكريم لخليل مطران بك فى دار الكلية البطريركية فى القاهرة . فنصب فى ساحة الكلية سرداق فخم زين بالاعلام المصرية واللبنانية وضم لفيفا من صفوة أهل الوجاهة والعلم والادب وكرائم السيدات

وافتتحت الحفلة بالسلام الملكى . ثم وقف سيادة المطران بطرس مدور وألقى كلمة غبطة السيد البطريرك كيرلس مغبغب الذى تفضل فقبل رئاسة الحفلة . وأعقبه الاستاذ لبيب نصرى برنوطى بكلمة المجلس الملى والاستاذ توفيق حداد بكلمة الجمعية الخيرية وجمعيات القديس منصور . ثم أنشد الاستاذ عادل الغضبان قصيدة وتحدث من بعده الأب يوسف طويل فالاستاذ الياس دبوس . ثم عزف الاستاذ سامى الشوا قطعة موسيقية

وعلى أثر ذلك وقف الاستاذ أنطون حجار استاذ الرسم فى الكلية البطريركية وقدم الى الأب المحترم رئيس الكلية تمثالا من صنعه للمحتفى به ، وكان معروضا فى السرادق الى يمين منصة الخطابة . فتقبله رئيس الكلية بين تصفيق الحاضرين واعجابهم

ثم أنشدت جوقة الكلية البطريركية نشيد الكلية من نظم المحتفى به وتلحين الاستاذ قسطندى خورى

واختتمت الحفلة بقصيدة شكر للمحتفى به عقبها عزف السلام الملكى

وفيما يلى ما وصل الى اللجنة من الخطب التى ألقيت فى الحفلة



فى حفله الهيئات الطائفية للروم الكاثوليك فى القاهرة

ويرى فى الصف الأمامى حضرة صاحب الغبطة المثلث الرحمات كيرلس مغبغب بطريرك الروم الكاثوليك ، وإلى يمينه المحتفى به ، فسيادة المطران رزق الوكيل البطريركى للروم الكاثوليك ، فسيادة الارشمندريت شديارة المستشار البطريركى . وإلى يسار غبطة البطريرك بعض كرائم السيدات من أسرة خليل مطران بك

٢ – الخطب والقصائد التى ألقيت فى الحفل

كلمة الاستاذ لبيب برنوطى

الكلمة التى أتشرف بالقائها الآن هى كلمة الهيئة النيابية ، أولى الهيئات الطائفيةالداعية لهذا الاجتماع . فهى اذن معبرة عن شعور طائفة الروم الكاثوليك الملكيين قاطبة بمصر لمناسبة تكريم أحد أبنائها البررة ، بل ابنها الابر وعلمها الفرد ، امام الصناعتين الشاعر الكبير والكاتب القدير الاستاذ خليل بك مطران

كان على هيئاتنا الطائفية حقا ان تقوم هى أيضا بقسطها من الحفلات التى أقيمت لتكريم شاعر الاقطار العربية ، بل كان من الواجب على كل هيئة منها أن تقيم له حفلة تكريمية خاصة . ولكنها خشيت أن يؤدى تعدد هذه الحفلات الى اخجال تواضع الخليل وارهاقه فآثرت أن تشترك جميعها لتكريمه فى مهرجان طائفى واحد برئاسة راعيها الاسمى ، صاحب الغبطة البطريرك ، وتشريف الأحبار الاجلاء ، والآباء المحترمين ، والفضلاء من أبناء طائفتنا

ولهذا التكريم الاجماعى معنى سام ومغزى خاص . اذ أن اتحاد جميع هيئاتنا الطائفية واشتراكها معا لاقامته يكون فى ذاته وثيقة شرف وتكريم للمحتفى به ، وينهض بنفسه دليلا على اتحاد القول بسمو منزلته منها

* * *

أيها السادة :

ان خليل بك مطران مكرم من جميع نواحى الكمال الانسانى – مكرم فى كل مكان ، مكرم فى كل زمان ، مكرم من كل انسان ، لانه كرم نفسه أولا فكرمه الناس . وما أصدق ما استهل به الشاعر الظريف الشيخ محمد الاسمر قصيدته التكريمية التى ألقاها بدار الاوبرا حيث قال :

هل مر يوم كنت غير مكرم		فيه وكان الشرق غير مكرم
حفل أقمناه وكم من مثله		لك فى القلوب علمت أم لم تعلم

* * *

على أنه اذا اتجه تكريم الشاعر حتى الآن من ناحية شعره وفنه وأدبه ، فاليوم فى هذا المحيط الطائفى ينحصر تكريمنا له من ناحية نفسه الكريمة ، وقلبه الكبير ، واحسانه الصامت ، واخلاصه المتواصل لطائفته وهى الصفات المثلى التى أوجبت على كافة الهيئات الطائفية أن تقيم له هذا التكريم الشامل عربونا للوفاء وعرفانا للجميل

أما موقف خليل مطران من الهيئة النيابية فقد انتخب مرارا عضوا فيها بأغلبية أصوات مطلقة . ولكنه اضطر الى الاعتذار عن النيابة تحت اعباء مشاغل عدة ، ان منعته عن حضور جلسات الهيئة ، لم تمنعه عن تلبية كل دعوة خاصة وجهت اليه ليشترك معها فى توجيه أمر هام . ولطالما اعتمد على شخصيته المحترمة ومكانته العالية وكياسته ولباقته فى شؤون طائفية ذات أثر بعيد

وأما صلته الشخصية بأحبار الطائفة وآبائها فوثيقة العرى ، ، ودية الى أقصى حدود الود ، حتى ليظن أنهم أدمجوه فى جامعتهم ، وشرفوه بلقب المطرانية الفخرى ، أو جعلوه مطرانا بدون أبرشية ، أو نصبوه مطرانا عاما على جميع الابرشيات

وهل تحصى مجاملات الخليل ومواقفه الخطابية نظما ونثرا فى جميع مناسبات أفراح الطائفة وأحزانها ؟ وهل تنسى تلك النفثات الشعرية والنغمات السحرية التى انبعثت من قلب الشاعر قصائد عامرة ملأت الآفاق وهزت النفوس من الاعماق

* * *

أجل أيها الخليل الحبيب والصديق الوفى الامين ـ وما أجمل الوفاء فى الصداقة وما أحقر الغدر فيها ـ لقد كنت لطائفتك التى اجتمعت اليوم بجميع

هيئاتها لتكريمك ابنا بارا وجنديا غيورا ، وخطيبا لا يبارى ، وشاعرا لا يجارى . فأصبحت منها بمنزلة العلم الذى نصونه بالقلوب ، ونفديه بالارواح ، ونضن على الاقدار به. فطب عيشا فى كنف اخوانك وأحبابك المقدرين لفضلك ، وزد فخرا فى ظل الفاروق مليكنا المفدى الذى شملك بعطفه وأحاطك برعايته وشرفك بألقابه

* * *

وأما أنت أيها الراعى الصالح ، والشيخ الوقور ، والبطريرك المحبوب ، والرئيس الموقر الذى ازدان هذا الحفل بجلاله ووقاره ، فلك أيضا علينا حق التكريم لازدهار عهدك البطريركى بأعمالك الانشائية العظمى . ومن مفاخر هذا العهد معاصرة الخليل ، أشعر الشعراء ، وأبلغ البلغاء . نسيج وحده . وامام عصره . الذى طالما شدا بمآثرك وتغنى بفضائلك . وكأنى به وقد وقف فى حفل مماثل سابق ينشدك هذه الابيات وهى خير الكلام ومسك الختام :

يا أيها الحشد الذين سماتهم ... تجلو بريق البشر للمتوسم
هل فى المواسم مثل ما تجدونه ... فى النفس من بهجات هذا الموسم
يكفى اجتماعكم جلالا أن يرى ... منه كرلس فى المقام الاسنم

* * *

أعظم بهذا البطريرك المجتبى ... من سيد عالى الجناب معظم
بانى الجديد بقدر ما يسطيعه ... جهد امرىء ومجدد المتهدم
جمع البلاغة فى مناقبه وقد ... ترك الصدى لفصاحة المتكلم
حياه بارئه وحبى صفوة ... هو بينهم كالبدر بين الانجم

كلمة الاستاذ توفيق حداد

انها لفكرة وضاءة تلك التى حدت باخواننا فى مصر وفى خارج مصر لان يكرموا الخلق الرضى والادب والبيان ، فى علم جليل وشيخ وقور أجمع الكافة على الاشادة بمثله العليا ، والدعوة الى ترسم خطواته . وان هذا التكريم ، لأقل ما نعترف به وندين ، لشخصية فذة وعقلية جبارة وصفات لألاءة تلك التى اجتمعت واكتملت فى استاذنا الفاضل خليل بك مطران

ولقد كان حريا بنا ــ والخليل فى الطليعة من أبناء طائفتنا العزيزة ــ أن نكون نحن البادئين بهذه الحلقة البديعة من الحفاوة ــ التى يحسبها لتواضعه وحيائه مؤامرة ضده محبوكة الاطراف . ولكنها فى الحق رجع الصدى يردده الشرق والغرب فى آن واحد ــ الجبل والوادى ، النيل وبردى

الا أن الام المتزنة ــ وان كان ولدها عزيزا عليها وملء السمع والبصر ــ وهى جد فخورة به ــ لا يثلج صدرها مثل اكبار الناس له ، واعزازهم اياه ، والتفافهم حوله ، والتحدث بما قام به من عمل عظيم ، وما خلد من صنع جميل . فاذا ما أقبلت طائفتنا اليوم بهيئاتها الكاملة للحفاوة بالخليل ، لا تقوم بذلك داعية لابنها بل مؤيدة ما بايعه الكافة عليه :

مجد مؤثل لا يدركه الا الرجل الكامل الامثل

وشرف رفيع لا يبلغه الا الالمعى الافضل

وكما تعلم الأم الرؤوم من أبنائها ما لا يعلمه غيرها ،فهكذا تعلم طائفتنا ــ التى أتشرف بالتوجه اليكم بلسان جمعيتها الخيرية وجمعيات القديس منصور ــ ما لا يعرفه الكثير من أعماله الجلى فى سبيل الخير . واذا كانت الندرة من الناس هم رسل البر فى العالم ، وان كان الاقلون من هؤلاء لا تعلم شمالهم ما تفعل يمينهم ، فمن هذا الرهط النادر الاقل خليل مطران

وانی لأستمحيه عذرا اذ أكشف عن هذا السر المصون من طوايا نفسه الشريفة ، وان أبين عن هذا الهدف السامی من أهداف حياته ، وهذه الناحية الخفية من أفضاله الغر وشخصيته المحبوبة . ومما يزيده تجلة واعظاما ويسمو به رفعة واحتراما ان هذا السخاء ليس بالطارىء المستحدث ، وليس مصدره وفرة الثراء ، بل هو غنى النفس وحب التضحية والايمان بالله . هو توخيه جعل المال خادما لا سيدا . هو شعوره بالتضامن مع اخوانه فی البشرية ، بل هو الآية الكبرى التی تتجلى فيها المحبة المسيحية

هذا الحنان والايثار والاحسان كلمات تعبر عن صفات لصيقة بخليلنا ونعم الخليل . نشأ وشب وشاب ويده الندية لا تعرف القبض ولا تترك مجالا للاقتصاد ـ ولو أنه صاحب الكتاب الاول فيه . ان برنامجه المالی يتلخص فی كلمة بشطرين : كسب من خير الوجوه وأحلها ، وصرف فی وجوه الخير وأجلها

سلوا زملاءه فی ترقية التمثيل ، مثلا ، يحدثوكم عنه العجب العجاب . لقد كان يشاطرهم مرتبه كما يشاطرهم همومهم مسديا لهم الجميل والنصح الغالی ، ساعيا لرفع مستواهم ، باحثا لهم عن مظان العمل ومطالب الرزق ما وسعه الى ذلك سبيل

وقد تفضل سيادة المطران مدور ـ وهما صنوان فی هذا الميدان ـ فروى لی انه ، فی ذات يوم من عام ۱۹۱۰ ، صاحب الخليل لبعض شأن مسيرة قصيرة . ويشهد سيادة الراوی أنمعارف الخليل العديدين استوقفوه أثناء الطريق عشرات المرات سائلينه وساطة أو مالا . فلم يرد لاحد منهم طلبة أو يرفض سؤالا . فسأله سيدنا فی ذلك قائلا : وهل أنت بطركخانة ؟ فأجابه الخليل كلا بل أنا « منتشخانة »

وخليل عام ۱۹۱۰ هو بذاته عام ۱۹٤۷ . جديده قديمه ، وطارفه تليده . سلسلة متصلة الحلقات يحاول أن يبز بعضها بعضا . فهو كالمعدن النفيس ـ يتغير الزمان ولا يتغير . بل هو

كالبحر من أى النواحى أتيته   فلجته المعروف والجود ساحله

لقد شاد العرب بالكرم على وفرة الكرماء فيهم . وكانت سجية لديهم . فلا عجب أن نشيد بهذه السجايا التى يعز وجودها فى هذا الجو المشبع بروح الشح والاثرة

ويخال لى أن الخليل قد عنى ببره ، كما عنى بشعره ، ان ينقل الينا ـ مع أدب العرب الجم ـ كرمهم الحاتمى وأخبار جودهم

ولا نغالى اذا قلنا موجزين انه جمعية خيرية مستترة ينبغى التبليغ عنها الى وزارة الشؤون

فجمعيتنا اذ تكرم الخليل اليوم ، انما تحيى فيه هذه الرحمة ، وهذه الغيرة فى اسداء المعروف واغاثة الملهوف ـ هذه الناحية الطيبة العزيزة فى هذا العصر، عصر المادة والمصلحة والانانية

ان جمعيتنا ـ أيها السيدات والسادة ـ فقيرة لكثير من أمثال الخليل، بل اننا لنزداد حاجة الى التعاون والتضحية وبذل الجهد والمال كلما ازدادت الحياة مادية والناس جشعا

اننا فقراء الى هذه الروح الطائفية ، الفياضة فى صدور القليل منا . فتعدادنا فى القاهرة ١٥٠٠٠ بينما ان المشتركين فى جمعيتنا لا يتجاوزون ٤٠٠ . وهم هم المحسنون فى جمعيات القديس منصـور . وهم هم محيو الحفلات وغـيرها . ان الباقين يعيشون لانفسهم فحسب . لا يشـاطرون اخوانهم محاربة الفقر والجهل والمرض ـ لا بالجهد ولا بالمال . ألا فليعلموا ان الانسان انما يقوم بما يحمله من الانسانية وبما يعمله للانسانية ، وما استحق أن يعيش من عاش لنفسه فقط

فليأتم هؤلاء بخليلنا ونظرائه ، وان لم يحذقوا صنعهم أو يبلغوا شأوهم. وليسمعوا ما قاله فى جمعيتنا سنة ١٩٣٠ بمناسبة عيدها الخمسينى ، معادا اليه الآن:



الاستاذ توفيق حداد



الاستاذ الياس دبوس

قسمت حظوظ النـاس الا انه لا حظ فى الدنيا كحظ المنعـم
والبـذل أرفـع غاية ان يستتر والفضل أروع قدوة ان يعلم
كـثرت مآثره ولو فصـلتها طالت وظل الوصف غير متمم
ولو اننى أحصى الاولى انتفعوا بها لنبا عن الارقام حـد المرقـم

فنحن اذ نكرم فى شيخنا الكبير المروءة، والشهامة والندى ، ندعو له بموفور العافية وجزيل المثوبة طول المدى

كما اننا نتوجه بالشكر لوطننا العزيز ـ مصر ـ الذى نشأ ونشأنا فى حماه، داعين له باليمن والتوفيق حافظين لجلالة الجالس على عرشه أخلص آيات الولاء ، ضارعين الى الله تعالى أن يصون ذاته الكريمة وان يديمه خير ملجأ وأقوى ملاذ

كلمة الأب يوسف طويل

بأى لغة وبأى لسان نتكلم فى حضرة المطران . فانا نخشى لو نطقنا بالعربية أن يتطرق اليها اللحن والاعجمية . فربة السحر والبيـان سوقى الينا من آيات الكلم لتكريم شاعر مصر ولبنان والاقطار العربية

لله در غريغوريوس بين الرجال العاملين ، وبطريرك الطائفة بين أعاظم المنشئين . شيد المدارس البطريركية تحت لواء العلم والفضيلة فبعثت فى الابناء الحمية وهزت فى القلوب أوتار الوطنيـة . فهرع اليها الطلاب من كل صـوب وناحية ، وأوفدت بعلبك خليلها ، فاتخذ مكانه على مقاعد البطريركية

واستوى اليازجى على منصة التعليم وراح يبث فى تلاميذه آيات الاصـلاح والتقويم واليكم فحوى كلامه : بنى . اللغة العربية فى انحطاط وكبوة ، ولكن البطريركية فى تحفز ويقظة . فهلموا بنا الى ذخر المعين نستخرج الكنز الدفين ، ونحيى عصر السابقين ، ونعد أمجاد الامة العربية

تلكم أقوال الاستاذين خليل بن ناصيف اليازجي ، حامل الشعلةالأدبية، وأبي النهضة القومية . وابرهيم صاحب مجلة الضياء ، وزينة أسرة الأدباء . ناهيك عن درر مجمع البحرين كان يتلقفها بشوق ولهفة شاعر القطرين

وتكر الأيام ، وتدور الاعوام ، ويلقى المطران عصا الترحال فى بلد الاهرام . فيواصل رسالة اليازجي بجد واهتمام ، باحثا ممحصا . فاتحا كل يوم فتحا بل فتوحا ، بانيا للادب العربي صرحا بل صروحا فى جو من الهدوء والسكينة وانكار النفس والطمأنينة . ضاربا المثل الأعلى فى التزهد والترفع عن الدنيا والتجرد . الا أن النور لا يحبسه الظلام . ولا تخفى مدينة مبنية على جبل . ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال ، بل على المنارة ليرى الداخلون نوره ، وينقشع الليل وينبلج النهار ، فيكبر الكل ما أوتى فى هذا المضمار فيقبلون ناثرين تحت أقدامه الرياحين والغار

فيا بني الطائفة اعتزوا بقوميتكم وأعلوا من شأنها تعل من شأنكم . واخلعوا عليها تخلع عليكم نورا سنيا وفخرا أدبيا . واهتفوا معى جميعكم عاش خليل مطران ابن الطائفة الابر

كلمة الاستاذ الياس دبوس

فى بناء المدرسة البطريركية الذى كان قائما الى بضع سنين خلت فى حى الفجالة، والذى أزيل ليقوم مكانه صرح المدرسة اليوسفية الحديث الطراز الانيق المظهر ، كانت لوحة معلقة فى اطار بديع الى أحد جدران قاعة الاستقبال بها ، وقد سطرت عليها قصيدة عصماء من شعر الخليل جاء فى مطلعها :

أشرق وحولك ولدك الابرار كالشمس تزهو حولها الانوار

بهذه التحية الكريمة التى حيى بها شاعرنا سلفك، عند تشريفه دار المدرسة بالزيارة ، أحييك يا صاحب الغبطة ، وأرجو أن تجد فى هذه التحية التعبير

الصادق عن شعور أحد أبنائك ، تحية ان هى الا صدى لشعور جميع أبنائك

بيت من الشعر كنت أردده كلما مررت بتلك القاعة وأنا بعد صبى أرضع لبان الفضيلة والعلم على مقاعد المدرسة . فرسخ فى ذهنى وتكونت لصاحبه فى مخيلتى صورة غامضة دامت بضع سنوات ، الى أن اكتملت فى الصبى الذى كنته امارات اليفوع ، وأصبحت أتذوق الشعر والادب ، وأتيح لى أن أقرأ له بين الفينة والفينة قصيدة أو مقالا ، فأعجبت بالشاعر وشعره والاديب وأدبه ، ووددت لو جاد على الزمان بالتعرف اليه والتقرب منه

ثم جاءت السنة ١٩٣٦ ودعى خريجو المدارس البطريركية الى الاجتماع ليعيدوا تنظيم اتحادهم. فلبيت الدعوة مع الملبين وكنا كثرا . وتليت علينا التقارير والمحاضر ، وتكلم من تكلم من الخريجين ثم جاء دور الانتخابات لمجلس الادارة فانتخب المحتفل به رئيسا بالاجماع . فوقف وخطبنا خطبة ما زلت أذكر بعض عباراتها وهى تنم عن عطف ونصح وتوجيه وارشاد وتحميس وتشجيع

ولما كنت قد نلت شرف الانتخاب لعضوية مجلس الادارة فى تلك السنة ، وهو شرف ظل ملازما لى الى اليوم ، وكنا فى كل سنة نجدد انتخاب رئيسنا ، فقد وصل العمل بيننا ونعمت طيلة تلك السنين بما كنت أمنى النفس به من حظوة التعرف اليه ومتعة القرب منه

لقد تحدث الشعراء والكتاب عن الخليل ، فوصفوه بأنه شاعر موهوب ، وأنه زعيم الشعر العربى المعاصر ، وصوروا شعره بأنه قيثارة العصر الذى نعيش فيه ، يرسل على أوتارها النغم فيشجى ويبكى ، ويهنىء ويؤاسى ، ويعلم ويهدى ، ويسجل ويخلد

فهل لضعيف مثلى بعد هذا أن يحدثكم عنه ليضيف الى عقود الثناء التى نظمت له ، وأكاليل الفخر التى ضفرت على جبينه ، وردة تحمل عبير التقدير أو زهرة يفوح منها عطر الاكبار والاجلال ؟

نعم أيها السادة ان للشاعر فى نفسى وفى نفس من اتصلوا به مكانة سامية ومنزلة رفيعة ، تستمدان كيانهما من خلقه العظيم . فما أتذكر اننى قصدته يوما الا قام لتحيتى مرحبا بى فى بشر وايناس . ولا أتذكر اننى لقيته الا كان كما قال الدكتور طه حسين : « مشرق الوجه يستمد اشراق وجهه من اشراق نفسه التى لم يستطع الزمن أن يشوب صفاءها بشائبة ، مبتسم الثغر يستمد ابتسامه من ابتسام قلبه الذى لم يستطع الناس أن يكدروا ايمانه بالحق والخير والحب والجمال»

وكيف لا تكون له تلك المنزلة الرفيعة فى قلوب الناس الذين عرفوه فأحبوه ، لانهم عرفوا فيه المروءة والوفاء ، ووجدوا عنده الكرامة والاباء ، والصدق والنقاء

وكل هذه الخلال والسجايا انما تنبعث لديه عن فطرة كريمة وسجية نقية ونفس سمحة ، هى نفس الشاعر الحق والاديب الحق الذى يعطى أكثر مما يأخذ ويهب أكثر مما ينال

هذا بعض ما لمسته فى الشاعر فى كهولته مذ سعدت بمعرفته . وهو بغير شك ما اتصف به فى رجولته ومن قبل فى شبابه

ولعلكم تتوقون الى معرفة شىء طريف نمى الى عن صباه . فاعلموا أن خليلنا كان تلميذا فى المدرسة البطريركية ببيروت وكان من أساتذته فيها سيادة المطران كيرلس رزق (وكان اذ ذاك شماسا باسم الشماس موسى رزق) . ثم ان غبطة بطريركنا الحالى اذ كان عائدا من رومة الى الشرق على أثر رسامته كاهنا ، ألقى مواعظ رياضة روحية على تلاميذ المدرسة البطريركية ببيروت ، وكان التلميذ خليل مطران معينا قندلفتا لكنيستها . وفى نهاية الرياضة نظم للكاهن الواعظ قصيدة من سبعة عشر بيتا ، قال غبطته أخيرا انه لو كان يعلم ان ذلك التلميذ اليافع سيصبح يوما شاعر الاقطار العربية لحافظ عليها وما فرط فيها

ومن نعم الله أن يكون البطريرك والمطران على قيد الحياة . مد الله فى حياتهما ممتعين بالصحة والعافية



فى حفلة الهيئات الطائفية للروم الكاثوليك فى القاهرة

سيادة المطران بطرس مدور يلقى كلمة غبطة السيد البطريرك كيرلس مغبغب . ويرى إلى اليسار تمثال نصفى للمحتفى به من صنع الأستاذ انطون حجار استاذ الرسم فى الكلية البطريركية فى القاهرة

أيها الشاعر :

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر ، أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة ، وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لانه حماية لأعراضهم وذب عن حياضهم وتخليد لمفاخرهم واشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج

وأنت اليوم شاعر قبيلتنا ، قل أن يجود الزمان بمثلك . نبغت فينا لا لهذا الجيل بل لاجيال مضت وأخرى تأتى . ترنمت بمآثرها وتغنيت بأمجادها وكنت بلبلها المغرد وجرسها المدوى فى كل حفل أقامته أو ذكرى أحيتها

فاذا ما أدينا لك اليوم بعض واجب التكريم لقاء فضلك وفضائلك ، فسيظل دينك علينا عسير الاداء باهظ الاعباء . الا أن لنا من سماحة نفسك ومن طهارة قلبك ما يشفع لنا عن هذا التقصير

فاهنأ أيها الشيخ الوقور بهذه المحافل تنصب والمهرجانات تقام ، فهى أقل ما تجزى به . وعش لنا لنزهى بك ونفاخر ونهتف مع القائل :

أيها الشاعر يا أنس الوجود يابشير الخير يا ذخر الامم
يا مذيع الفن يا رمز الخلود شعرك السامى لحون ونغم

* * *

فيك من كل صباح يشرق بهجة غنى لها القلب وصفق
ومن الزهرة عطر ريق ومن العشب اخضرار يتدفق

قصيدة خليل مطران بك

علام يقام تمثالى وملء الشرق أمثالى
وكم حفل يهيأ لى وذلك محض أفضال
أتوديعا لصاحبكم باحسان واجمال

وما أنا والخلود ومن　　به للهيكل البالى
فخار لم يكن يوما　　ليخطر لى على بال

* * *

أشار السيد البطريـ　　ق ذخر البيعة الغالى
ولباه أماجيد　　سخوا بالوقت والمال
أأملك أن أخالفهم　　ورأيهم هو العالى
فيا حفلا لقيت به　　جميلا جاز آمالى
ويا اخوانى الخطبا　　ء ما شيمى وأفعالى
الا انى لمجدود　　وهذا يوم اقبال

* * *

قصيدى؟ ما قصيدى فى　　هوى وطنى وفى آلى
أليس الله جمله　　وجملكم وأوحى لى

* * *

وكلتم بى أخا برا　　صناعا غير مكسال
فأثوانى بمثوى منـ　　ـه لا دان ولا عال
يقلب فى ألحاظـا　　جوائل كل تجوال
ويرسم بين أنوار　　يهيئها واظلال
فابرز صورتى للناس　　فى مرآة صلصال
كأن الروح تمشى فى　　تجاليدى وأوصالى
غناء سيمه والفـ　　ـن لا يعنى باشكالى

* * *

له ولكم تحياتى　　ومحمدتى واجلالى
أريد الشكر هل توفى　　مكارمكم بأقوال
ودون قضاء هذا الدين　　ما تدرون من حالى
اذا أقللت عن عجز　　فمعذرة لاقلالى

حفلة المفوضية السورية في القاهرة

الانعـــام

على خليل مطران بك

بنشان الاستحقاق السورى من الدرجة الاولى

والاحتفال بتقليده اياه فى فندق سميراميس فى القاهرة

فى اليوم الواحد والعشرين من شهر ابريل ١٩٤٧ تلقى خليل مطران بك البرقية التالية من حضرة صاحب الدولة جميـل مردم بك رئيس مجلس وزراء حكومة سوريا :

السيد خليل مطران بك

يسرنى أن أبلغكم أن الحكومة السورية قررت منحكم وسام الاستحقاق السورى من الدرجة الاولى تقديرا لمزاياكم السامية ولما أسديتموه من خدمات جلى للعروبة وآدابها وان أبعث اليكم بأصدق التهانى مشفوعة بخالص الاعجاب والتمنيات بالسعادة والهناء

رئيس مجلس الوزراء
جميل مردم بك

وقد انتهز مردم بك فرصة وجـوده فى مصر فى شهر يونيو ١٩٤٧ فقلد الشاعر الكبير النشان الرفيع فى حفلة أقيمت لهذا الغرض فى فندق سميراميس بعد ظهر يوم ٧ يونيو ١٩٤٧ بحضور لفيف من رجال الفضل والأدب . وبعد أن اكتمل عقد المدعوين افتتح مردم بك الحفلة بكلمة نوه فيهـا بمكانة الشـاعر الكبير ومما قال :

«من المعلوم ان التاريخ الأدبى يسبق التاريخ السياسى بما يمهده له عن طريق الشعراء الملهمين والادباء المجيدين من ايقاظ المشاعر وتنبيه العواطف واعـداد الجيل لقبول أعلى المثـل ، واعتناق أسمى الفكر . فهم فى الـواقع ثروة الامة



حضرة صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية
وقد تفضل فخامته فأنعم على خليل مطران بك
بنشان الاستحقاق من الطبقة الأولى

وحملة رسالة الادب وكنوز اللغة والافصاح لما أوتوه من رفاهة حس وبلاغة منطق ، وقوة تصوير ، وصدق تعبير ، وسمو خيال ، ولانهم أقدر الجماعات على ابراز آمال الامة وآلامها وتجلية مراميها فتنقاد الامم لوحى عاطفتهم فتعتنق مثلهم . وعندئذ يبرز التاريخ السياسى ليأخذ مكانه وتتجلى عظمته بفضل تلك الطبقة الراقية من الأدباء والشعراء

« ولا ريب ان الشاعر الجليل والاديب الكبير الاستاذ خليل مطران بك من جلة شعراء العصر الذين كان لنثرهم ونظمهم أثر أى أثر فى اقامة دعائم النهضة الحديثة . وان سورية التى تعتز به لتقدر قدر فضله ونبوغه اذ تفضل صاحب الفخامة رئيسها الجليل بمنحه وسام الاستحقاق السورى من الدرجة الاولى »

ولما انتهى مردم بك من القاء هذه الكلمة قلد الشاعر الكبير النشان . ثم أنشد مطران بك الأبيات التالية :

ياصاحب الدولة يا ا	بن صفوة العشائر
شمائل العلياء فيكم	كابرا عن كابر
يا لطف ما أبدعت فى	سفارة المسافر
ذاك جميل يا جميـ	ـل الخلق والمآثر
تلق حمدا صادرا	عن أصدق المصادر
يشف منه بعض ما	تكنه سرائرى
وارفع الى فخامة الر	ئيس شكر الشاعر
كم لكما لو أحصيت	نعماكما من شاكر
بين بنى الشآم من	باد بهم وحاضر
ونجباء العرب فى الـ	أوطان والمهاجر
عاش الرئيس حافل ا	أيام بالمفاخر
وصحبه الابرار فى ا	لعهد الجديد الزاهر
ودمت فى رعاية اللـ	ـه العلى القادر

وفى الختام أنشد مطران بك قصيدة عامرة الابيات ضمنها آيات الشكر لحضرة صاحب الفخامة رئيس جمهورية سورية المعظم وحضرات أركان حكومته الجليلة فقال :

مجد الشآم أعدته فأعيدا ... ورددت رونقه القديم جديدا
كيف الاصيل من الجلال وفوقه ... صرح اثيل للمفاخر شيدا
يتتابع العمران فى جنباته ... وقريبه لولاك كان بعيدا
ماذا أتيت به على قصر المدى ... من كل اصلاح يعد فريدا
لم يذكر التاريخ نصرا كالذى ... أحرزته فوق الظنون مجيدا
هل كان أمهر قائد أو سائس ... فى الحالتين كما أجدت مجيدا
أعجب بشعب فى الخفاء عبأته ... لم يألف التنظيم والتجنيدا
والدو يرميه بزرق عيونه ... والجو فى كل اتجاه ريدا
فيهب مكشوف المقاتل فاتكا ... بمكاثريه عدة وعديدا
ويذيق من أشقى البلاد ببغيه ... عقبى نكال كابدته مديدا
حتى اذا أجلاه كان جلاؤه ... للعرب فى كل المرابع عيدا
عيد له ما بعده فى معشر ... يأبى الحياة مكبلا ومسودا
حلو الشمائل والزمان ملاين ... ويمر ان كان الزمان شديدا

* * *

أهل الشآم كعهدهم لم يبرحوا ... ان يستثاروا فى الخطوب أسودا
وكعهدهم بذكائهم ومضائهم ... رفعوا لهم فى الخافقين بنودا
ان لم تسع نبغاءهم أوطانهم ... جعلوا حدود العالمين حدودا

* * *

يا خير من ولته أمته فما ... ضلت وكان موفقا ورشيدا
اعجزتنى عن شكر ما اوليتنى ... أتزيدنى بقبول عذرى جودا
هيهات يخلدك القريض وانت من ... يهب القريض الوحى والتخليدا



تصوير رياض شحاده

حضرة صاحب الدولة جميل مردم بك
رئيس مجلس الوزراء في حكومة سوريا

قامت فعائلك الكبار شـواهدا ولو انها كلم لـكن قصـيدا

بك توج العهـد المبـارك رأسـه وبصحبك الابرار زان الجيـدا

غر ميامين شـهدت بلاءهم فى كل نازلة فكـان حميـدا

هـذا جميـل من وفى كوفائه أن يذكر القوم الفـداة الصيدا

هيهات ان ينسـوا زعيما سـامه اخلاصــه التغريب والتشريدا

ورفاقه الصيـابة النجب الأولى لم يذخروا عـزما ولا مجهـودا

الباذلين نفوسـهم دون الحمى ليعيش مرفوع المقـام سـعيدا

فلتحيى سوريا ولا برحت كما تهوى علاها طارفا وتليـدا

حفلة النادي السوري في الاسكندرية

١ – وصف الحفلة

في مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو **١٩٤٧** أقام النادي السوري في الاسكندرية حفلة باهرة لتكريم شاعر الاقطار العربية شهدها صفوة من سراة المدينة وكبار الموظفين والاعيان ورجال الاعمال المصريين وأبناء البلدان العربية المجاورة ، يتقدمهم سعادة محافظ المدينة بالنيابة ويسري قمحة باشا حكمدار البوليس وعبد الرحمن زهدي بك المدير العام لمصلحة الجمارك والدكتور أحمد النقيب باشا وجرجس زنانيري باشا ومحمد فرغلي باشا وحسين فهمي بك وسليمان يسري بك وفهمي العيسوي بك والاستاذ نشأت الحسيني قنصل سوريا والاستاذ روبير خلاط قنصل لبنان والاستاذ حايم دره وشارل بك أيوب والدكتور وايت ابراهيم بك والاستاذ شارل شميل والاستاذ الياس فيعاني ومندوبون عن رجال الاكليروس لطوائف الروم الكاثوليك والسريان الارثوذكس والروم الارثوذكس وزمرة من رجال العلم والفضل وأساتذة جامعة فاروق الأول وطلبتها ورجال الصحافة وكرائم العقيلات والآنسات . فكانت حفلة أنيقة سادها جو الأدب الصافي وروح المحبة والوفاء للشاعر الكبير

وافتتحت الحفلة بكلمة النادي ألقاها الاستاذ الياس معربس مديره . ثم تعاقب الخطباء والشعراء بالترتيب التالي :

الاستاذ عباس المصفى	خطبة
البكباشي احمد الطاهر	خطبة
الاستاذ خليل شيبوب	قصيدة
خليل مطران بك	قصيدة

٢ - الخطب والقصائد التى ألقيت فى الحفل

كلمة الاستاذ الياس معربس

سيداتى وسادتى :

باسم النادى السورى بالاسكندرية أعرب لحضراتكم عن بالغ اغتباطه وخالص شكره لتشريفكم هذه الحفلة المزدهرة بكم والتى أقامها النادى تكريما لشاعر الاقطار العربية الاستاذ الجليل خليل بك مطران. وان فى مشاركتكم لنا فى هذه الحفلة لدليلا عما تكنه كل القلوب من الحب والتقدير لشاعرنا الكبير وليست هذه الحفلة سوى مظهر من مظاهر ذلك الحب . ومجلى من مجالى ذلك التقدير . أجمعت القلوب عليهما وامتزجت بهما . فللخليل الشكر مضاعفا على قبول الحفلة أولا وعلى اتاحة الفرصة لنا لنعرب له فيها عما يخالج صدورنا ومشاعرنا نحوه أسوة باخواننا فى القاهرة وتمشيا مع عواطفنا ومحبتنا . ولم تكن هذه المظاهر ولا هذه الحفلات لتفى بفضل خليل بك مطران شاعر العروبة ورجل المروءة والفضل . وحسبه شرفا يفيض منه علينا انه كان موضع عطف مولانا الملك المعظم فاروق الأول ، حفظه الله، الذى شمله برعايته وأعلى مرتبته . وهذا فضل للفاروق العظيم طوق به الخليل بل طوقنا بهجميعا . فنحن نرفع الى سدته الملكية أعظم شكرنا ونؤكد ولاءنا لعرشه المفدى وتعلقنا به . حفظ الله الفاروق ذخرا للادب والأدباء وحمى منيعا لمصر والعرب والعروبة

كلمة الاستاذ عباس المصفى

هذه حفلة اجتماعية يقيمها النادى السورى فى الاسكندرية تكريما لشاعر الاقطار العربية خليل بك مطران . وقد كان لتكريم هذا العلم الجليل فى القاهرة

موسم كبير فى هذا العام شمل تقدير مكانته الاجتماعية العالية والاشادة بذكر عبقريته ونبوغه فى الشعر والادب . ولقد جنى من هذا الموسم محصولا كبيرا قلما يتاح لرجال الادب جنيه فى هذا الزمن . وكانت الجنية الاولى هناك هى الجنية الكبرى وتشتمل على سمات المجد والفخر تمثلها رتبة وأوسمة ، وعلى آيات من المدح والثناء فى حفلات باهرات زفت فيها الى الخليل عرائس الشعر وتضوعت عطور الأدب وأزاهيره فيما أزجى اليه من قلائد التقدير والتكريم والاعجاب

أما حفلة هذا النادى فهى بمثابة الجنية الثانية من المحصول، ولا شك فى أن الأولى كانت أفضل غلة من هذه من حيث الوفرة والجودة . وربما كان الفرق بينهما يعادل الفرق بين طبيعة العاصمة الأولى وطبيعة العاصمة الثانية ولكل منهما طابع خاص . تلك طابعها قومى ، سياسى ، أدبى ، وتكثر فيها أندية الأدب والحركات الفكرية على اختلاف أنواعها ، وهذه طابعها تجارى وتكثر فيها الاندية الاجتماعية والبحرية وغرف التجارة والصناعة والملاحة ودوائر الاعمال

غير أن الشعور الحى الذى أثار فى هذا النادى عاطفة التكريم للخليل يساوى بلا ريب الشعور الذى أملى على سراة القاهرة وأدبائها ما قاموا به هناك لهذا الغرض ولا يقل عنه اذ ان الاساس فى كلتا الحالتين هو الاخلاص والمحبة والتقدير . ونحن جميعا مخلصون محبون مقدرون

لا يختلف اثنان فى ثلاث صفات يمتاز بها خليل مطران هى انه انسان من الطراز الاول ورجل أخلاق من الطراز الاول وشاعر من الطراز الاول . والصفات الخلقية والانسانية فيه هى التى تدعو الى تكريمه واحترامه وهى مبثوثة فى كلامه وفى أعماله كما هى مبثوثة فى شعره

وهذه الصفات يدخل فيها ماهو موروث وما هو مكتسب. والمرء حريص على حفظ ما يرث وما يكتسب ، وهو وفاقا لهذه القاعدة ، حريص على شخصيته وكرامة نفسه ، ومن هذا المصدر تشتق عوامل احترامه وتقدير قدره . فهو

لا ينفرد باستحقاق التكريم لكونه شاعرا مجيدا بل يستحقه بامتلاك مزايا الاخلاق والعواطف الانسانية، وأخصها الوفاء وبث هذه الاخلاق فى شعره الفصيح ونثره المتين . وأعنى بهذا انه هو يحترم نفسه ويكرمها أولا فيرى الناس فى ذلك ما يحملهم على احترامه وتقديره . وقد صدق زهير بن أبى سلمى فى معلقته الخالدة اذ قال : « ومن لا يكرم نفسه لا يكرم »

أما نبوغ خليل مطران فى عالم الشعر والادب العربى فالذى استحق التقدير والثناء منه هو توجيه شاعريته لخدمة مصر والمجتمع العربى الواسع النطاق ، ونفع الامة والوطن بهذا التوجيه العملى الفكرى الرائع . ومن يبحث فيما نظم ونثر لهذا الغرض يجد من منظومه ومنثوره فى نصف قرن سجلا عظيما لوقائع الزمن والسياسة وأحداثها فى السلطنة العثمانية عامة ، وفى مصر وفى الأقاليم العربية التى كانت أعضاء فى تلك السلطنة المترامية الاطراف ثم تحولت بعد حرب سنة ١٩١٤ الى دول . وكان لاحداث مصر وتطور الحالة السياسية فيها النصيب الأوفر من جهوده الفكرية لان هذه الاحداث ما زالت منذ أربعين عاما تثير نفس الشاعر والكاتب والسياسى معا فى هذا المحيط

أما ما قبل ذلك فقد كانت الاوطان العربية فى ركود وخمول صابرة تحت ضغط السياسة الحميدية فى السلطنة ، والسلطة البريطانية فى مصر . فكان الخليل اذ ذاك ينظم الشعر وفاقا لوحى الايام وحوادث الزمن ، وقد نشر فى آخر هذا العهد ديوانه « ديوان الخليل » فبدت للجمهور شاعريته القوية فى قصائد ومقطوعات اجتماعية وغزلية ووقائع عاطفية وحكايات مصوغة كقلائد النحور يجرى كثير من أبياتها ومقطوعاتها على ألسنة الادباء فى مجالس الادب والسمر . وقد كثر فى السنين الاخيرة رواة شعره وأناشيده من محبى الادب فى مختلف المناسبات

واذكر لهذه المناسبة أن زميلا أديبا من القاهرة زارنا منذ بضعة أيام وسمع ذكر مطران لمناسبة قدومه الاسكندرية فقال :

بيني وبينك يا سلمى مغاضبة	أنت التي علمتني الحزن والأرقا
وانت علمت جفني الفراق فما	تلاقيا طرفة الا ليفترقا

وهذان البيتان البديعان هما فاتحة قصيدة للخليل واردة في ديوانه تحت عنوان « مغاضبة »

وقد تجلى في هذا الديوان استقلال الشاعر الفكري في صناعة الشعر ، كما تجلت سيطرة عقله على شعره العاطفي ، فبدا غزله نظيفا مهذبا يريك فيه حب الجمال ورقة الشعور وما توحي به طبيعة الحال من مداعبات لطيفة ومناقشات طريفة بينه وبين من يحب دون أن ترى في أبياته كلمة نابية . وكثيرا ما ينظم قصة غرامية ليظهر فيها عاطفة احسان أو عاطفة وفاء وكرم طباع فيمن يخصها بقوله ووصفه، كقصيدته الواردة بعنوان «عصفور».وهو يمتاز بالشعر الوصفي الدقيق وكثيرا ما يريك مما يصف صورة جلية يمكنك تصورها بارزة أمامك . ومن عيون شعره من هذا النوع قصيدة وردت في ديوانه بعنوان « المساء » نظمها وهو عليل ، وذلك على أثر جلسة أمام البحر في مكس الاسكندرية عند مضي النهار وغروب الشمس ، وقد قال في ختامها يقابل بين حالته وبين الغروب :

ولقد ذكرتك والنهار مودع	والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطري تبدو تجاه نواظري	كلمى كدامية السحاب ازائي
والدمع من جفني يسيل مشعشعا	بسنى الشعاع الغارب المترائي
والشمس في شفق يسيل نضاره	فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا	وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكأن آخر دمعة للكون قد	مزجت بآخر أدمعي لرثائي
وكأنني آنست يومي زائلا	فرأيت في المرآة كيف مسائي

قلت ان شعر الخليل يتجلى فيه استقلاله الفكري فهو ينظم الشعر كما يوحى به اليه الفكر والشعور ، تعينه على ذلك روحه الشاعرة اذ تمازج الصناعة الشعرية وتبرز فيها . وهذا الاستقلال الفكري حمله على التجديد في صوغ



الاستاذ الياس معربس



الاستاذ عباس المصفى

الشعر وخاصةالوصفى منه فبات يعد فى طليعة المجددين . وقد قيل منذ سنينأن شعره عصرى بمعنى انه لا يقلد فيه الشعراء القدماء . فرد هو على ذلك بقوله :

« لقد استقلت لى طريقة فى كيف ينبغى ان يكون الشعر فشرعت أنظمه لترضية نفسى حيث أتخلى ، أو لتربية قومى عند وقوع الحوادث الجلى ، متابعا عرب الجاهلية فى مجاراة الضمير على هواه ومراعاة الوجدان على مشتهاه ، موافقا زمانى فيما يقتضيه من الجرأة على الألفاظ والتراكيب ، لا أخشى استخدامها أحيانا على غير المألوف من الاستعارات والمطروق من الاساليب ، ذلك مع الاحتفاظ بأصول اللغة وعدم التفريط فى شىء منها الا ما فاتنى علمه . . »
الى أن قال :

«قال بعض المتعنتين الجامدين انهذا شعر عصرى وهموا بالابتسام . فياهؤلاء: نعم هذا شعر عصرى وفخره انه عصرى وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر . هذا شعر ليس ناظمه بعبده . . . ان شعر هذه الطريقة ـ ولا أعنى منظوماتى الضعيفة ـ هو شعر المستقبل لانه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعا . . »

هذا بعض ما قاله الخليل نفسه ردا على منتقدى التجديد . والواقع الذى لا مراء فيه أن الحياة بوجه عام من طبيعتها التجديد فلكل زمان حال ودولة ورجال وما كان الجمود يوما من طبائع البشر ولا من طبيعة الكون . لقد بعد العالم ، الذى عاش فيه أعلام الشعر والبيان فى المحيط العربى فى الزمن الأخير ، عن عالم المتنبى وأبى تمام والبحترى ومن عاصرهم ومن سبقهم ، فلم يكن من طبيعة الامور أن يقف هؤلاء موقف أولئك فى الشعر وطرق نظمه لاختلاف الاحوال التى كانت توحى اليهم به عن الاحوال التى توحى الى شعراء هذا الزمن

وقد غدت للشعراء فى عهد الحرية الشعبية رسالة سلمية لم تكن للقدماء

فى عهد الاستبداد والسيد والمسود . وهى تقضى بأن يكونوا معلمين ناصحين مصلحين، يثيرون الهمم فى الشعب للعمل على رفع منزلته ومنزلة الفرد فيهمن النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى زمن قامت المدنية فيه على هذا الاساس

ولقد قام خليل مطران ، ولا يزال يقوم منذ بدء الحركة الوطنية فىمصر، باداء مهمته على هذا الوجه معلما مستقلا ، ناصحا ، مصلحا ، مثيرا للهمم فى الشعب كلما دعت الحال الى ذلك

ولقد رأيناه يعنى منذ نهضة قاسم امين عناية خاصة بأمر الام والتربية البيتية وله فى ذلك آيات بينات يمثلها بيته المشهور :

ان لم تكن أم فلا أمة   وانما بالامهات الأمم

وكان يرى أحيانا أن القصائد لا تكفى لبث فكرة الاصلاح فى الدوائر الناهضة فأخذ يدعم دعوته بأناشيد تحرك النفوس بأنغامها ومعانيها فتفعل الفعل المقصود منها وخاصة فى المحيط النسائى عند بدء النهوض فيه . وقد وضع لهذا الغرض نشيدا للاتحاد النسائى فى مصر ونشيدا للاتحاد النسائى فى فلسطين ونشيدا لمثل هذا الاتحاد فى سوريا وفى لبنان . وكثيرا ما يذيع الراديو هذه الاناشيد الجميلة تنشدها الفتيات والسيدات فىمحيطهن . وقلما يوجد معهدعلمى أو أدبى فى مصر لم يتحفه الخليل بنشيد من هذا الطراز ناظرا الى الاصلاح والنهوض والارتقاء

وهو ناظم أول نشيد وطنى وضع للحركة الوطنية فى مصر بعد وفاة مصطفى كامل واسناد رئاسة الحزب الى محمدبك فريد . وهو من الشعر المجدد وقد استهله بقوله :

أبشرى يامصر أم المجد من أقصى الحقب   بأباة الضيم من أبنائك الغر النخب

وهـذا النشيد كما لا يخفى من بحر الرمل غير أن الشطر الواحد منـه يساوى شطرين من مجزوء هذا البحر . وقد نظمه فى باريس حوالى سنة ١٩١١ وعمل على تلحينه على يد استاذ موسيقى من أصل أرمنى هناك وكان هو يساعده على اخراجه ملحنا بروح عربية ولحن شرقى . وقد ظل يفعل ذلك عشرين يوما حتى استقام نغم النشيد . ومطـران غير معروف بين خلانه بالصوت الجميـل ولكنه استطاع أن يعلم الاستاذ الفرنسى نغم الرصد والحجاز كار لهذا الغرض

وثمة حكاية هذا النشيد جديرة بأن تعرف ، وهى أن الشبان المصريين فى باريس تعلموه اذ ذاك وأخذوا ينشدونه فى اجتماعاتهم . ثم فقـدت نوتة الموسيقى ولم يستطع أحد أن يجدها ، غير أنها وجـدت بعد حين فى استانبول حيث بنى عليها نشيد حماسى تركى للجيش التركى لا تزال فصائل هذا الجيش تنشده حتى الآن . ولما عاد مطران الى مصر جاءت أبيات النشيد بين أوراقه ولا تزال بينها ونرجو أن نراه فى الجزء الثانى من ديوانه

أما شعره فى الحركة الوطنية الشديدة التى قامت على أثر الحرب العظمى الاولى وشملت مقاومة الحماية البريطانية ، والمطالبة بالاستقلال ، وتجنيد الامة كلها لشد أزر سعد ووفده ، وما تلا ذلك من تطورات الاحوال الى أن تقدمت مصر الى موقفها الحالى بعد جهد السنين ـ أقول أما شعره فى هذه الحقبة من الزمن فقد كانت تمليه تلك الاحداث تباعا على الأساس السالف الذكر ويفعل فعله فى المجتمع المصرى بوجـه خاص والمجتمع العربى بوجه عام لان قضية مصر هى قضية البلدان العربية جميعا . ولا شك فى أن مجموعته الشعرية الضخمة التى لم تنشر بعد فى كتاب تعتبر سجلا حافلا بعوامل النهوض والانهاض من كل وجه وله بين هذه النفحات الوطنية الخالصة نفحات شتى للتذكار وتمتيع النفس بالادب وغير ذلك مما كان الجمهور يطالعه فى الصحف فى حينه ويتوق الجميع الى مطالعته عند نشره مجموعا

وربما كان شعر الخليل أكثر الشعر دخولا الى المنازل وبروزا فى السجلات

التاريخية لاسر الاصدقاء ، اذ يتحفها برقاع من التهانى الشعرية الرقيقةلتاريخ قران بهيج أو تاريخ ميلاد سعيد . ولا تسل عن حرص الاسرة على هذا التذكار الجميل وحرص الشخص المختص به على حفظه كلما مرت عليه الايام والاعوام اذ انه يسجل الحادث ويسجل المودة والوفاء معا

وقد زحفت فى المدة الاخيرة مقطوعة رائعة من شعره الى دواوين الدولة ومكاتب دوائرها ومصالحها فى جميع أنحاء مصر تسجل الجلاء فى يوم الاحتفال بجلاء الجيش البريطانى عن ثكنات قصر النيل فى ٣٠ مارس الماضى . وقد طبعت فى أعلى الرقعة صورة الثكنات وكتبت الابيات تحت الصورة بخط جميل موقعة باسم خليل مطران وهى :

يا مصر دام علو جدك — عيد الجلاء اتى كودك
آب العدى وكأنما — كان العدى خدما لسعدك
شادوا معاقلهم ولكن — ما بنوا الا لمجدك
واليوم نكس بندهم — عنها وأوفى نور بندك
فاروق ان الدهر صا — لحها وعاهدها بعهدك
والملك عاد أعز مما م — كان فى أيام جدك
ما للغريب ولاية — أضحى العرين عرين أسدك
فاسلم لشعبك يامعز م — مقامه واسلم لجندك
واهنأ بأعياد الجلاء — فانها ثمرات جهدك

ولا شك فى أن ابراز هذا التذكار التاريخى فى مكاتب الدولة بأمر كريم له من القيمة والتقدير ما للوسام الرفيع الذى وضعه المليك المفدى على صدر الخليل بيده الكريمة تقديرا لخدمته للوطن وولائه للعرش . ولمثل هذا فليعمل العاملون

كلمة البكباشى أحمد الطاهر

حضرات السيدات والسادة :

الرجل العظيم كريم بعظمته فما حاجتنا وما حاجته الى التكريم ؟ وانما أسمى ما يبلغه الناس اليه أن يزجوا اليه التحية وان يتحدثوا عن عظمته فى محافلهم ومجامعهم وهم مع ذلك ــ علم الله ــ لا يولونه فضلا ولا منة . وانما عود صنيعهم الى أنفسهم

وانى لاستغفر الله لجرأتى على التصدى للحديث عن رجل الاقطار العربية خليل مطران . فما أنا ببالغ، ما جهدت، من عظمته مرتبة صدق النظر فيها وما أنتم ببالغين، ما تسامت أنظاركم، منزلة الاحاطة بأسرارها وخوافيها . وما بالكم بعظمة رجل لا تشق طريقها صعدا فى معراج واحد وانما تتخذ الى ما وراء الاعنان سبلا يباهى بعضها بعضا حتى تلتقى عند دارة ينحسر دونها البصر ويتخاوص عن سناها النظر . وهناك من ذلك المحل الارفع ترسل سيلها وتبعث وابلها ثم ينهض الناس لقضاء حق النعمة والقيام بحرمة الصنيعة فيقعدهم عن كمال الاداء مايبهرهم من خفاء السر، وما يشغلهم من السعى وراء حقيقة هذه العظمة ودخائلها واستجلاء ذخائرها وضمائرها . ذلكم شأننا ، أيها السادة ، مع خليل مطران : نحاول أن نتناول هذا السمو من ناحية من نواحيه فنمعن فى الوصف والتعريف والرسم والتحديد فلا نبلغ من حقيقة هذه الناحية الا صدرا يسيرا ونحن بعد أن طال بنا الاستقراء لم نصل الى كمال العلم به والاحاطة بسر عظمته . قل ان خليل مطران رجل عظيم القلب ، وعظيم القلب من أفاض على الناس حبه وعطفه وبره وحنانه . وقل انه رجل عظيم العقل وهو من شغل الناس بآرائه وعلمه وفيض حجاه وتفكيره . وقل انه عظيم العزم وهو من يمضى بالناس الى غاية يرتسمها ويترسمها فلا تثنيه عن بلوغها عقبة ولا يقعد به كلال . وقل انه شاعر بديع الخيال رائع التصور بليغ التصوير . مرج لسانه فى أسمى أغراض الشعر فبلغ منها ما بلغه الاوائل وما تتشوف اليه أجيال قادمة. ولكن خليل مطران هو أولئك

العظماء جميعا وهو زعيم هذه الخلال جميعا متربعا فى ربوتها مستويا على نجوتها

ولقد بدا لى وأنا أتوثب لهذا الحديث ان أساير تاريخ حياته ـ مد الله فى حياته ـ فوجدته مليئا بالصور حافلا بالاحداث مسايرا لهذه الحقبة من تاريخ الامم العربية التى تداركت فيها الصروف والشعائب بين مهادنة من صروف الزمان وتحيف من نوازل الحدثان ونهوض من الكبوة ونجاء من العثرة . فوجدت فى تاريخه ـ وما أجل تاريخه ـ ما ينبىء ان خليل مطران هو الرجل الذى يختار الجادة السوية والنهج القويم، فيثبت أقدامه ويعقد العزم على المضى . يصارع كل اغراء حتى يصرع الاغراء ،ويقاوم كل عقبة حتى يغلب كل كأداء ،ويحمل العبء حين ينوء الرجال بالاعباء ، ويستمسك بالوفاء حين يغيض ماء الوفاء . وهو فى كل هذا ترتسم على شفتيه بسمة الشاعر أو الفيلسوف . صفى النفس ، مرهف الحس ما خلجته خوالج الأحداث والخطوب عن التحليق بخياله فيما زخرت به الطبيعة من جمال وجلال وحب وصفاء . وفى يده قلمه يفيض بحلاوة اللفظ ورقة الاسلوب ودقة المعنى وتسلسل الخيال

ما أحسبنى متعرضا لشعر خليل مطران فلقد يطول فيه الحديث وان له من الشعراء فى هذه الليلة المباركة وفى غيرها من الليالى وفى هذا القطر وفى غيره من الاقطار العربية من يوفونه حقه ويجلون جماله وروعته . ولكننى ألممت به لانه يكشف عن جانب من جوانب عظمته حيث تمتزج معركة الدهر بمزاولة الشعر وان فى ذلك لعجبا يستنفد كل عجب . على أنه من الوفاء للادب العربى أن نضع فى ساحته شعر خليل مطران فى الموضع الكريم اللائق به . فالشعر العربى قد سار على متن الدهر أحقابا فتعاورت عليه احداث وغير كان لها أثرها فيه ولكنه فى كل عصر وطور ما كان يخلو من ميزة وسمة تنم عن كرم محتده وشرف عنصره . فلشعر الجاهلية ميزة الصدق فى تصوير العاطفة وتمثيل الطبيعة مع التجافى عن زخرف اللفظ أو كلفة الاداء . وللشعر فى العراق على عهد الامويين طابع القوة والعنف وعليه فى الحجاز سمة الرقة والغزلية والعاطفة الصادقة



البكباشي احمد الطاهر



الاستاذ خليل شيبوب

المترفة . وله فى الشام ، وقد خلت الشام من اضطرام العاطفة التى كانت تتأجج بالحجاز واضطراب الاهواء التى كانت تتأزج بالعراق ، ميزة تتجلى فى ايثار اللفظ الجزل والاسلوب السهل الرصين. وحسب الشام فخرا فى الأدب العربى انها ردت امارة الشعر العربى الى العرب على يد أبى تمام والبحترى والمتنبى وأبى العلاء بعد أن غلبهم عليها المستعربون من الفرس وأبناء الموالى فى صدر العصر العباسى . وللشعر فى مصر ميزة الرقة فى المعانى ،والطلاوة فى اللفظ، والصناعة فى الاسلوب وملاحة النادرة وظرف البادرة . وله فى الاندلس دقة الصنعة وبداعة الوصف

هذه الميزات كلها التى اجتمعت من أمم على دهر فى أجيال انك لواجدها فى شعر خليل مطران دون جهد ولا عناء . وانك لواجد معها شيئا آخر لايقل عنها خطرا . فاضطلاعه بالثقافة الغربيــة قد طوع له من المعانى وأساليب الفكر ما لم يتيسر لغيره وكانت معجزته فى تطعيم الشعر العربى بهذه الاغصان الغربية دون أن يبدو فى صنعه دخل أو غرابة أو جفاء أو نبو

سادتى . هانحن أولاء نزجى أكرم التحيات لجامعة الامم العربية التى نهضت مجتمعة الكلمة مؤتلفة الشمل لتثبت لهذا العالم المختبل بالخطوب والاطماع ان روحية الشرق أبقى على الدهر وأجدى على الناس من مادية هوجاء تعصف بصروح الحق وتزعزع أركانه . ولا أجد أكرم فى تحيتها وأبلغ فى الثناء عليها من اجتماعنا اليوم لتحية خليل مطران الذى يتمثل فيه أجل خلالها وأصدق أغراضها وأوفى دلالاتها . والجامعة العربيــة يقوم بها رجالات وزعماء يساند بعضهم بعضا ويظاهره ، أما خليل مطران فيقوم وحده تسانده عظمته وتظاهره عبقريته

سيدى خليل مطران

أنت حيث تعلم من منزلة فى نفوس الشرق : منزلة القائد المحبوب الخبير، حامل اللواء البصير . منزلة رفعتك اليها عظمتك وحملتك اليها سجيتك وليس فى

وسعنا أن نفيك حقك من الحديث عنك بل لعلنا نحسن الى أنفسنا أكثر مما نصنع لك حين نثني عليك ونفخر بك . والقائد ياسيدى لا يفتأ يمد بصره الى الامام ولكنا نستحلفك بمحبتك فى قلوبنا ان تنظر الى ورائك لتبصر حاجتنا الى ديوانك. وما أظنك الا فاعلا ان شاء الله

قصيدة الاستاذ خليل شيبوب

كلمة وفاء

الى شاعر الاقطار العربية خليل بك مطران

عذرا اذا عقل الجلال لسانى — هذا مقام ضاق عنه بيانى
لما ندبت اليه حرت مهابة — ووقفت بين العجز والاذعان
قد كنت أعصى الآمرين لو ان من — جئنا نكرمه سوى مطران
أستاذى الاعلى ومرشدى الذى — منذ الصبا قد حاطنى ورعانى
فاذا نطقت فان ذلك لفظه — منه اليه يساق بالشكران

* * *

كرمت أرومتك العريقة انها — فى الفخر راجعة الى غسان
هى دوحة فينانة قد أطلعت — للمجد كل معرش فينان
أعراقها وجذوعها وفروعها — فى ذروة العلياء من لبنان
من بعلبك مدينة الآثار عن — فينيقيا والفرس والرومان
والروم والعرب الكرام وكلهم — فيها بنى للخلد ما هو بان
فأخذت عن هذا التراث جميعه — أوفى ذخيرة شاعر فنان
لم ينب لبنان الوفى وانما — رانت عليه عوامل الطغيان

حتى نزحت وجئت اكرم نازل في مصر دار ضيافة وأمان
فاذا هي الوطن العهيد مكررا حبا وفيك تمازج الوطنان

* * *

آثرت ميدان الصحافة جاريا ومجليا في ذلك الميدان
من كان مثلك ناشدا حرية كانت مناه انارة الاذهان
وهي الصحافة للشعوب منارة نشرت ضياء العلم والعرفان
فيها طلعت بمذهب في الشعر لم يسبق اليه قبل شعرك ثان
هو معجز من عبقريتك التي يوحى لها من مصدر نوراني
أيقظت فيه روحه ونفضت ما نسج الجمود له من الاكفان
جددت موضوعاته وسبكتها في قالب التوضيح والاعلان
وصهرت تشبيهاته وصقلتها وجعلتها أدنى الى الامكان
وجهدت في ترتيبه وسياقه حتى يسلسل مثل عقد جمان
ورددته للعصر في ابداعه يستام فيض نهى ووحي جنان
ان القصيدة وحدة فنية مرصوصة الاجزاء كالبنيان
لا رصف أبيات بلا صلة ولا متناقضات مشاعر ومعان
فالحب قد طهرته وأعدته كالكوكب الدرى باللمعان
نورا ونيرانا صليت به وقد صورته بالنور والنيران
وأعدت صحته اليه بعدما مسخوه بين الوصل والهجران
والمدح للاحياء والاموات لم تسرف به سرف الغلو الشاني
لك ريشة الرسام في تصويرهم حتى لتظهرهم ظهور عيان
ايه نبي الشعر اى رسالة أديتها كرسالة الاديان
انت الذى نفخ الحياة به كما يشفى من الداء المريض العاني
لله ما نوعت من أغراضه ورسمت من صور ومن ألوان
آيات سحر أم رؤى غيب فهل سبحات عليين منك دوان
فن مزجت الحس فيه بالنهى والفن مزج الفكر بالوجدان

أبلغته أوج الكمال فلم تدع — للنازعين اليه قيد بنان
والشعر مرآة الشعور ووحيه — فى القلب لا فى اللفظ والاوزان
وهو الطبيعة باختلاف فصولها — وتقلب الأفلاك والأكوان
يا حاديا ركب الحياة ملطفا — خبط السرى ومهالك الهيمان
حملت نفسك عنه جمر عواطف — وعرام أخيلة وحر أغانى
شعل يندبها لهيب مدامع — جياشة فى القلب لا الاجفان
سايرته متشائما متفائلا — حيران بين العقل والايمان
لم تحده مترنما متفكها — بل هاديا ومبصرا فى آن
تروى له القصص العجيب منسقا — توقيعه فى أبرع الالحان
للوعظ أو للذكر أو للحب أو — لعوارف وفواضل وأمانى
مستخلصا عبرا له فى بعضها — ما يزجر العادى عن العدوان
تدعو الى الخلق الكريم وانه — خلق سموت به على الاقران

* * *

زهيت بك الفصحى وقد أقررتها — فى وضعها العالى من التبيان
طوعتها لحقائق ودقائق — للعصر عاصية على الأزمان
دبجتها حبرا مفوفة كما — تتفتح الازهار فى نيسان
فيها التقى شرق وغرب طالما — قالوا لنا أن ليس يلتقيان
فجلوت « مرآة الانام » بها كما — يجلو الشعاع مسارب الغدران[1]
ودخلت فى التاريخ مدخل ناظر — فيما أتاه الدهر من حدثان
ورفعتها فوق المسارح فخمة — ألفاظها طربت لها الاذنان
ولها أعارك شكسبير بيانه — يكتن منك له أدق كيان
فكأنما أملى بها آياته — وجريتما من سحرها بعنان
وكذاك تدعو العبقرية أختها — حبا الى أن تلتقى الاختان

* * *

(١) « مرآة الأنام فى التاريخ العام » تاليف خليل مطران بك

يا شاعر الاقطار اجماعا فلا قطر خصصت به ولا قطران
قد وحدت فيك العروبة قبل أن تجلو السياسة وجهها للرانى
وتهب فى وجه العداة وتنتضى عضب الحقيقة قاطع البرهان
العصر عصر ملاحم لا بد من علم ومال فيه يجتمعان
والشعب ينهض باقتصادياته ان الثراء دعامة الاوطان
كم رحت فى هذى السبيل مذكرا من أخلدوا فيها الى النسيان
ونقلت سفرا رائعا آياته تشفى غليل المصلح المتفانى (1)
وكسوته من سحر لفظك روعة شهد البيان لها بكل بيان
وتظل تعمل فى «النقابة» حافزا هممنا تؤازرها بصدق جنان
فعليك أثنى مالك ومزارع ولك استنام أباعد وأدانى
تسدى النصيحة والصنيعة مخلصا وتجمل المعروف بالكتمان
ماذا أعدد من صفاتك انها كالزهر فى أفق الكمال روانى
رجل المروءة والوفاء وأخلص الـ ـخلصاء للاهلين والاخوان
يا محسنا بيمينه وشماله متسترا خجلا من الاحسان
ان البنفسج بات فى أوراقه لكن شذاه شاع فى البستان
ثمرات ذهنك أو يديك وهبتها بسماح روح جامع انسانى
ما مثل هذا الفضل غير قناعة منها ظفرت بلذة الحرمان

* * *

أخليل قد طال الكلام وليس لى فيما يطاولنى الكلام يدان
ماذا أقول ولم أقل شيئا وما فى العدل سومى خطة الخذلان
وأنا سميك غير أنى ليس لى من فضل تسميتى سوى العنوان
فلك المحبة فى الفؤاد أكيدة ولك الوفاء يفيض من وجدانى
واذا عجزت عن الاداء فان لى عذرا وقد عقل الجلال لسانى

(1) هو « الموجز فى علم الاقتصاد »

قصيدة خليل مطران بك

سادتي ، جاز فضلكم آمالي   أجدير شاني بأدنى احتفال

أي جمع يحيط بي من حصيفا   ت الغواني ومن سراة الرجال

كان هذا الثغر الجميل ملاذي   وباهليه كان بدء اتصالي

قر فيه من اضطراب قراري   وتبينت في الحياة مجالي

كيف أنسى نضارتي ونعيمي   في غدياته وفي الآصال

في فؤادي شكر لكم لا يؤدي   حقه بالمحبرات الطوال

أنس أحبابي الأولى أوحشوني   هو عندي أشهى من الابلال

أي شيء أنا الذي نال هذا ال   عطف منكم . ماصحتي . مااعتلالي

ما يرجى من مشهدي أو مغيبي   ومكاني الا من الطيف خالي

عندي الحائلان دون رفيع ال   قدر من قلة ومن اقلال

لا لعمري اني كثير باخوا   ني وما موسر له رأسمالي

يلعب الدهر بي والعب بالدهـ   ر ولا بدع لي اذا لم ابال

ان يكونوا على الزمان عتادي   فبعيد المنى قريب المنال

من كأصحابي الثقات ، ويكفي   كرما ان يكرموا أمثالي

نوهوا بي فصرت رب القوافي   جعلوني من صالح الابدال

منحوني اصفاءهم وقصاري ال   قول فخرا تأييد أهل الفعال

ليس فضلي ما يقدرون ولكن   هو مما لهم من الافضال

بهم عدت بالثناء حقيقا   بل خليقا بالعجب والاجلال

زعموا أنني ابر ضعافا   وسوى السعي ليس لي من نوال

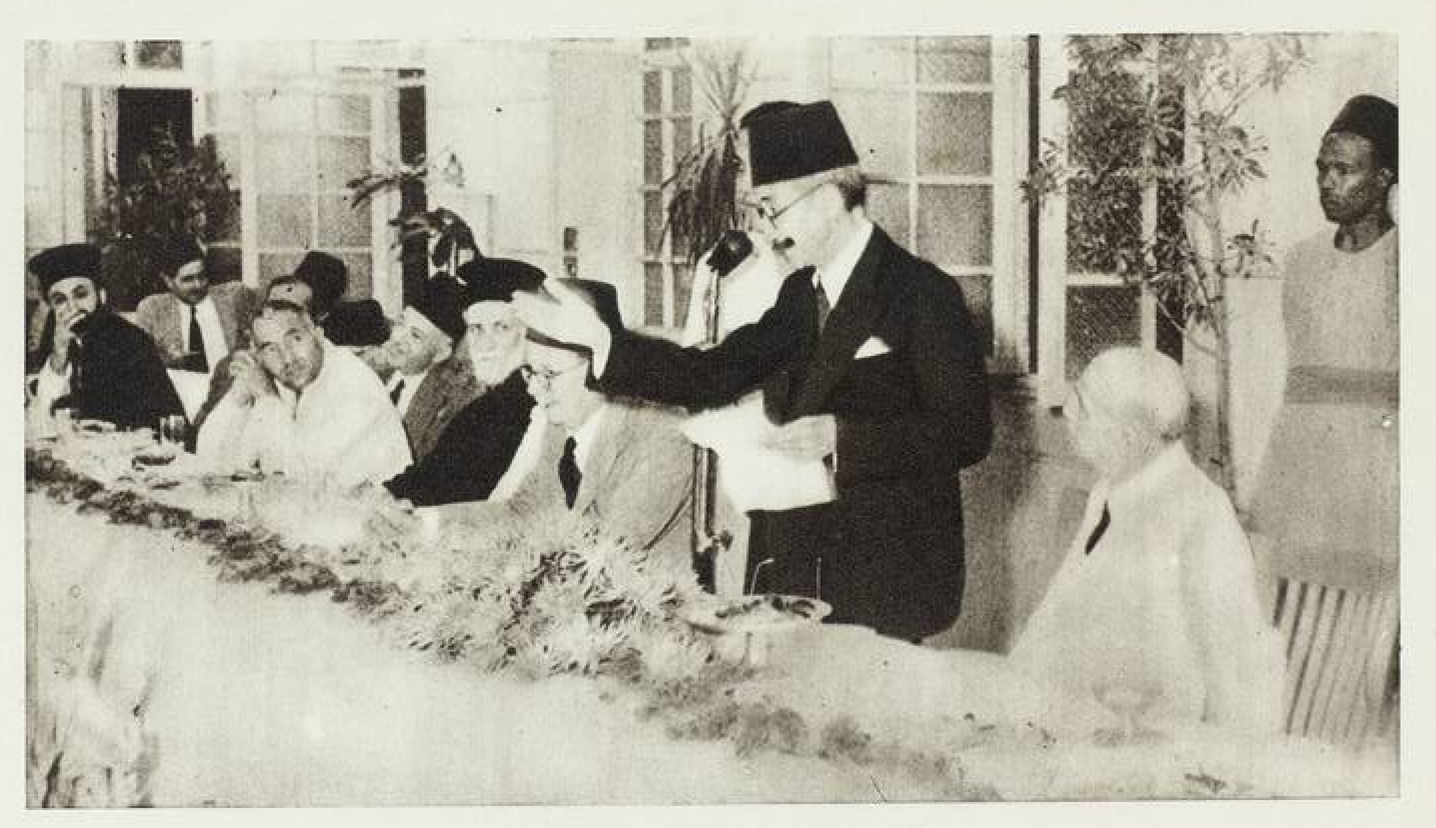
فاغفروا لي ذنبي فقد زاد منكم   نصرائي من زاد فيهم عيالي

أتعدون هذه حسنات   لي فتالله مال قارون مالي

أيها الرافعون شأني في نظـ   ـم ونثر بأبرع الاقوال

لو اطاعتني الصفات لما اكـ   ـبر فيكم من النهى والخصال

لبعثت المخلدات اليكم   وهي منكم وادعى انها لي



فى حفلة النادى السورى فى الاسكندرية

خليل مطران بك يلقى قصيدته . ويرى إلى يساره الأستاذ عزة رئيس النادى وإلى يمينه عبدالرحمن زهدى بك

ياخطيب النادى أيوفى ثـنائى ... منـة « للمعربس » الحـلال
يا صفيى «عباس » والعجب العا ... جب فى صوغك ابتسام اللآلى
أيها «الطاهر» السريرة والسـ ... ـيرة والقائل البديع المقـال
يا «خليلى» صناجة الشعر والحا ... فظ فيما أجـد عهـد الاوالى
لـكم الله رفقة لم يشيـحوا ... عن ضعيف وشمسه فى الزوال
عـدت لا أرهب المغارب ان كا ... نت نهاياتها بهــذا الجمـال
لتدم مصر وليدم صاحب العر ... ش المفدى ذخر البلاد الغـالى
وليحقق بصادق العون من أمـ ... ـته رأيه الشريف العـالى
يادعاة النـادى ويا من أجابوا ... فاذا صـفوة البلاد حيـالى
اعـذروا ضعف طائر يتغنى ... بتراجيع من بقايا الليـالى

حفلة الجالية العربية في نيويورك

١ ـ وصف الحفلة

فى اليوم الذى كانت مصر تحتفى فيه بتكريم شاعر العروبة الكبير فى دار الأوبرا الملكية فى القاهرة كان هناك ـ على بعد ٧٠٠٠ ميل ـ مهرجان آخر للغرض نفسه ، أقيم فى مدينة نيويورك ، بدار جريدة « الهدى » الغراء وبدعوة من صاحبها ، جمع نخبة ممتازة من رجال العلم والأدب والسياسة والتجارة والصناعة وكرام العقائل ، يتقدمهم صاحب الدولة فارس الخورى بك ، وممثلو الدول العربية ، والاستاذ أميل زيدان بك أحد صاحبى دار الهلال ، والاستاذ الياس مرشاق أمين صندوق لجنة الاحتفال العامة فى القاهرة ، وكانا قد قدما نيويورك يحملان تحية خاصة الى أبناء العروبة فيها من خليل مطران بك

ولما اكتمل عقد المدعوين افتتح الحفلة الاستاذ سلوم مكرزل صاحب جريدة « الهدى » بكلمة موجزة . ثم تولى الدكتور محمد زكى أبو شادى تقديم الخطباء والشعراء . فكان أولهم الاستاذ الياس مرشاق الذى تلا تحية شعرية من المحتفى به . وعقبه دولة فارس الخورى بك بكلمة مرتجلة ، فالاستاذ اميل زيدان بك، فالاميرة نجلا أبى اللمع معلوف ، فالاستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » ، وأحد مؤسسى الرابطة القلمية ، فالاستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، فالدكتور مأمون المهاينى رئيس اتحاد الطلبة العرب فى أمريكا ، فالاستاذ وليم صعب رئيس الفرقة اللبنانية الزائرة فى أمريكا وصاحب جريدة « أمير الزجل » ، فالاستاذ الدكتور أحمد زكى أبو شادى الذى أعقب كلمته بقصيدة للمحتفى به

وكان يتخلل البرنامج قطع موسيقية جميلة عزفها على الكمان الاستاذ نعيم كركند . واختتمت الحفلة بعد أن وافق الحاضرون على ارسال برقية مناسبة الى لجنة الاحتفال بدار الاوبرا الملكية فى القاهرة

ثم اختلف المدعوون الى مقصف فاخر أعد فى مكتب رئيس تحرير جريدة

الهدى . ولبثوا فى سمر زمنا يتحدثون من جديد عن مواهب المحتفى به ومآثره ، وعن الادب العربى ومفاخره ، وعن الاخاء والتضامن بين الشعوب الناطقة بالضاد

٢ – الخطب والقصائد التى ألقيت فى الحفل

تحية خليل مطران بك لأبناء العروبة فى نيويورك

(تلاها الاستاذ الياس مرشاق فى الحفلة)

مع السلامة يا من يشخصان الى — أهل لنا بأميركا وأخوان
سيرا على الطائر الميمون انكما — لبث أشواقنا نعم الرسولان
قلوبنا حيث حلوا فى جوانبهم — ان حال دون التلاقى نأى بلدان
لله ما خلدوه فى المهاجر من — آيات نبل واقدام وعرفان
ومن أياد بها أوطانهم زهيت — وقومهم بين أقوام وأوطان
كم فى شمائلهم كم فى فضائلهم — فخر لمصر وسوريا ولبنان
فبلغاهم تحيات تنسمهم — من طيب منبتهم أرواح ريحان
ونسمانا شذاهم فى ايابكما — فما بنا غير ملتاح وظمآن

كلمة فارس الخورى بك

ان هذا الحفل لا تقاس منزلته بعدد الحاضرين بل بمكانتهم قبل أى اعتبار آخر . وأنتم من صفوة المثقفين ومن الممثلين أصلا لأقطار شتى ، وحاضرا لولايات متعددة فى هذه القارة . فأنتم بمثابة جامعة عربية وافية التمثيل، واجماعكم

على تكريم خليل مطران بك لهو حادث أدبي عظيم . وانى باسم القطر السورى لاشاركم مغتبطا فى شعوركم الطيب

واذا كان تكريم خليل مطران بك فى القاهرة اليوم ـ والقاهرة قلب العالم العربى ـ هو بمثابة تكريم له فى جميع البلاد العربية ، فان لحفلتنا هذه حق المفاخرة بأنها تجمع من ممثلى الاقطار العربية أكثر مما تجمع حفلة القاهرة

لقد كان مطران أحد الاركان الثلاثة التى بنيت عليها زعامة الشعر العربى الحديث. وبعد وفاة حافظ وشوقى أصبح مطران دون نزاع المعلم الاول وصاحب اسمى مركز بين شعراء العروبة

لم يجد الخليل وسيلة لاطلاق تفكيره ما دام فى الشام ، فنزح مع من نزح عنها من النابهين من أهل الشام . وفى جو مصر الطليق فى ذلك العهد ، وبين ترحيب أهلها ، تجلى نبوغ مطران فكانت مصر التربة الخصبة الصالحة لانتاجه الممتاز ، وكان هواؤها الحر حافزا لألمعيته

وقد سبقت أمثلة لهذا فى تاريخ العرب فكانت تتجلى مواهب الاديب فى غير موطنه الاصلى ، وكان لابد له من الهجرة لتعرف قيمته وتقدر آثاره حق قدرها . جرى ذلك لابى تمام وللبحترى وللمتنبى . ونحن نذكر على الاخص أبا تمام الذى نشأ فى حوران وتجلت عبقريته فى بغداد ، وأبا الطيب المتنبى الذى نشأ فى الكوفة ثم تركها بسبب العقلية الرجعية التترية فى ذلك الوقت منتقلا الى الشام ، فسما شعره الى الذروة فى المهاجر التى زارها أو أقام فيها

ومن قديم اشتهرت الشام بفحولة شعرائها وما تزال محتفظة بهذه الشهرة الى يومنا هذا . وما أشك فى أنها ستحتفظ بها مستقبلا

أول ما قرأت لمطران كان منذ نحو خمسين سنة . تلك كانت قصيدته عن « قلعة بعلبك » التى يقول فيها :



فى حفلة التكريم فى نيويورك

دولة فارس الخورى بك يلقى كلمته ومن حوله بعض كبار المشتركين فى التكريم

ايه آثار (بعلبك) سلام	بعد طول النوى وبعد المزار
ووقيت العفاء من عرصات	مقويات أواهل بالفخار
ذكريني طفولتي وأعيدي	رسم عهد عن أعيني متواري

ويقول :

حبذا (هند) ذلك العهد لكن	كل شيء الى الردى والبوار
هد عزمي النوى وقوض جسمي	فدمار يمشي بدار دمار

كان ذلك فى سنة ١٨٩٩ فتخيلت (مطرانا) الشيخ الهرم المتهدم حينما قرأت هذا البيت بعد وصفه الرائع لخرائب بعلبك ولكنى ما كدت أبلغ نهاية القصيدة وأقرأ أبياته :

نحتوا الراسيات نحت صخور	وأبانوا دقائق الافكار
وأجادوا الدمى فجاز عليهم	انها الآمرات فى الاقدار
سجدوا للذى هم صنعوه	سجدات الاجلال والاكبار
بعد هذا أغاية فترجى	لتمام أم مطمع فى افتخار
نظرت (هند) حسنهن فغارت	انت أبهى يا (هند) من أن تغارى
كل هذى الدمى التى عبدوها	لك يا ربة الجمال جوارى !

ما كدت أبلغ هذه النهاية حتى تنسمت من شعره الشباب الغزل فرأيت الهوى يتحرك فيها وأيقنت ان هذا الشاعر الموهوب الحكيم أبعد ما يكون عن الشيخوخة جسما وروحا . كان هذا من نحو نصف قرن وكان (مطران) يطلع على العالم العربى بقصيدة من خالد شعره حينما لم يجاوز العقد الثالث من عمره

ومرت ثمان وعشرون سنة وأقيمت فى سنة ١٩٢٧ سوق عكاظ بمدينة بعلبك حيث تبارى الشعراء فى رثاء الزعيم المصرى المشهور سعد زغلول باشا ، وقد اجتمع عشرون منهم وفدوا من شتى الاقطار العربية ونشرت قصائدهم فى

كتيب خاص . فأجمعت آراء لجنة التحكيم على أن (مطرانا) هو المجلى دون نزاع

والآن بلغ (مطران) فى علو سنه الثامنة والسبعين ولا يزال شعره زاهيا بجماله وخياله ورصانته وحيويته وبغناه الذى لا يحد . أما (مطران) ذاته فقد جنى عليه كرمه وهو نقيض شعره فى الغنى . هو رجل محسن خير لا ينافس فى فقره وعلى الاخص بين المهاجرين فى هذه القارة

أخبرنى مطـران أن الخديو عباس حلمى دعاه مرة لزيارته . ولما لم يكن يمتلك بذلة الردنجوت الرسمية فقد استعار (مطران) بذلة من صديق ، ولكنها كانت فضفاضة فلم ير مناصا من لبسها فوق بذلته المعتادة. وذهب للقاء أمير البلاد على هذه الحال ولكن تستره لم ينفع وانكشف أمره أمام الخديو . فـكان مأزقا حرجا له ، ولـكنه فى الحقيقة كـان موقفا مشرفا حينما اضـطر الى الاعتراف لحاكم مصر بما جرى !

هكذا عاش مطران العفيف النزيه ، وهكذا كان ولا يزال شاعر العربية الكبير الذى عاش لغيره دائما ولم يعش لنفسه مرة . فأجدر بنا فى شيخوخته أن نؤدى بعض حقه علينا ماديا وأدبيا بطبع آثاره النفيسة ـ كما اعتزمت اللجنة العليا لتكريمه فى مصر ـ وبترتيب الموارد اللائقة له من ثمرات فنه . وانه لشـعور نبيل أن يؤدى له هذا الحق أثناء حياته المباركة

كان أبو على القالى مفخرة العلم العالى فى زمنه ، ومع ذلك اضـطر الى الخروج من البصرة الى خراسان . فخرج أهل مدينته لتوديعه مبكرين آسفين متمنين لو بقى بينهم . فقال لهم كلمته المشهـورة : « والله لو وجدت عنـدكم ما يقوتنى من الخبز والزيت لما تركتكم ! »

وهكذا لا كرامة لنبى فى وطنه فى أغلب الاحوال فى شرقنا العربى . فلعل اليقظة الجديدة سيصحبها تحول جديد فى تقدير الافـذاذ من الرجال ، تقـديرا

عمليا لا كلاميا ، وأثنـاء حياتهم حينما يمكن الانتفاع بهم ، لا بعـد فناء الاعمار وضياع الآمال

كلمة أميل زيدان بك

انى مسرور ومغتبط حقا لوجودى فى هذا الاجتمـاع ـ يسرنى أولا أن أسمع وأن أتكلم العربية وأنا على آلاف الأميال من مواطنها

ويسرنى ثانيا أن أقف فى دار جريدة محترمة ذات أياد بيضاء وأفضـال عميمة . ونحن الصحفيين لا نفضل مكانا فى العالم على دور الصحف ، وما من رائحة أزكى لدينا من رائحة الحبر ، وما من موسيقى أطـرب من الضـوضاء الصادرة عن آلات الطباعة

ثم يسرنى ثالثا ـ وربما كان الواجب أن أقول أولا ـ أن أواجه هذه الجالية الكريمة . فلطالما تغنينا بنجاح اخواننا فى المهاجر وطالما اعتززنا بأخبارهم المبهجة . وهأنذا قد حققت أمنية من أمانى الشباب اذ أرى حولى صفوة مختارة من أدباء المهجر الذين ما زالوا يحنون الى بلادهم ولغتهم

* * *

اذا تحدثت الآن عن مطران فلن أتحدث عنه شاعرا أو ناثرا أو أديبا ـ وانما أتكلم عنه رجلا عرفته عن كثب حق المعرفة . فقد جاورته فترة من الزمن وكانت نافذتى تطل على نافذته . كنت أشاهد والدته فى الصباح الباكر تستقبل قاصديه وتجالسهم ريثما يستيقظ ـ وهنا اسمحوا لى أن أشيد بفضل هذه السيدة الكريمة فانى أعتقد بل أجزم بأنها هى صاحبة الفضل الاول فى تنشئة ابنها الكبير على ما عرفناه فيه من خصال وسجايا ـ كانت هذه الوالدة النادرة المثال ترحب بتلك الوفود المتلاحقة وتستمهلها ، حتى اذا قام الخليل أقبل عليهم واحدا واحدا

يستمع اليهم فى هدوء وبساطة ورحابة صدر . ثم كنت أراه يغادر المنزل وحوله نفر من هؤلاء القصاد يسايرهم ويجاملهم ويبذل كل مستطاع ـ بل فوق المستطاع ـ فى سبيل مرضاتهم

وكم من مرة أبديت له اعجابى بطول اناته واحتماله فضول الناس . فما كان يجيب الا بتلك الابتسامة الهادئة التى تفصح عن طيبة قلبه ، ونقاء سريرته، والتى تشف عن فلسفته فى الحياة، تلك الفلسفة التى تقوم على التسامح والتغاضى وصفاء النفس

ان أبرز صفات الخليل التواضع ـ بل التواضع والتسامى معا . فاما تواضعه فمشهور ، فالناس عنده سواء يقبل على أصغرهم كما يفعل مع أكبرهم شأنا وأعظمهم مكانة . وأما تساميه فانه يترفع عن السفاسف والصغائر . وانك لتشعر وأنت جالس اليه انه ذو شخصية مزدوجة ، احداهما حاضرة أمامك تبتسم وتصغى وتجامل ، والاخرى غائبة بعيدة وكأنها تحلق فى أجواء عليا تنظر منها الى هذا العالم نظرة عطف وتسامح

ان مطران هو أحد شخصين ـ والشخص الآخر هو والدى ـ تعلمت منهما رحابة الصدر وان أعقل الناس من عذر الناس

ولعل أغرب ما فى الخليل كرمه ونجدته فى كل ظرف ومع كل انسان . فقد يقبل عليه طالب فلا يتردد فى أن يهبه ما فى جيبه دون أن يفكر فيما قد يقع فيه بعدئذ من ضيق أو أزمة . وله من هذا القبيل نوادر عديدة

ولقد قال فيه أحد أصدقائه ـ وهو عندى خير وصف له ـ ان مطران « وقف » عام لكل منا فيه حصة ونصيب . وفى الحق لا تكاد تجد فى مصر أحدا من معارفه لم يساعده يوما أو لم ينجده أو لم يلب نداءه عند الحاجة ـ يفعل ذلك دون جهد كأنه أمر طبيعى مفروض عليه أداؤه



اميل زيدان بك

وقد حملا تحيـــة شاعر
العروبة الكبير إلى أبناء
العروبة في نيـويورك



الاستاذ الياس مرشاق

ولكن بقدر ما يحفل الخليل بشؤون الناس ومشكلاتهم ، فهو مهمل فى حق نفسه . ولطالما ألح عليه محبوه فى أن ينتشل آثاره المبعثرة فى الادراج العديدة التى كدسها فيها ، فكان يعدهم خيرا ، ولكن دون تنفيذ ـ لانشغاله فى ألف مسئلة ومسئلة رتبها على نفسه تلبية للناس

حتى كانت السنة الماضيـة فاجتمع نفر من المعجبين به وصـمموا على جمع آثاره واخراجها الى الجمهور المتعطش اليها . ولا شك فى أنها خدمة جليلة لادبنا العربى وتخليد لذكر أديب يندر أن ينجب الدهر مثله

كلمة الاميرة نجلا أبى اللمع معلوف

نلتئم الآن ، يا سادتى ، نحن الناطقين بالضاد فى هذا المهجر ، لنشترك مع مصر العزيزة وسائر الاقطار العربية فى تكريم رجل الساعة الشاعر العبقرى خليل مطران بك

شرق عربى بأسره ، من ضفاف وادى النيـل ـ الى جبال لبنان الى سهول سوريا ـ الى رمال الصحراء ، يتوحد أبناؤه اليوم ليكرموا شاعرا فذا وزع من الدرر الغوالى ما زين تاج اللغة العربية فى كل قطر من أقطارها

وما اللغة يا سادة ، الا تلك الرابطة المعنوية التى توحدنا وتقرب بيننا على الرغم من الفوارق السياسية والاقليمية والمذهبيـة ، لانها شـعار لعنصر واحـد وقومية واحـدة . وهذا ما يجعل خليل مطران فى عرف كل ناطق بالضاد ابن لبنان ، وابن وادى النيل ـ بل ابن البلاد العربية بأسرها

فاذا ما نهضت مصر العزيزة اليوم لتكرم خليل مطران بك فانما هى بعملها هذا الجميل تكرم فى شخصه كل قطر وكل ناطق بالضاد

لقد سبق لى يا سادتى ، وكتبت كلمتى عن الخليل على صفحات جريدة الهدى الغراء منذ أيام قليلة . وبالأمس تفضل الاستاذ سلوم مكرزل ودعانى للاشتراك بهذا الواجب الأدبى . فارتأيت ، نزولا عند رغبته ، ان أقتطف من مقالى الذى أشرت اليه وصف مشهدين ما برحا فى مخيلتى ، تتجدد ذكراهما فى خاطرى كلما ذكر اسم خليل مطران بك

ولو كان فى وسعى الآن لذكرت الكثير من الطرائف الجميلة التى يرويها عنه شريك حياتى ، الذى كان رفيقه وعشير حداثته فى المدرسة البطريركية فى بيروت ، وعن شدة ذكائه واعجاب استاذهما المرحوم الشيخ خليل اليازجى بشاعريته الفطرية حتى كان يناديه غالبا بقوله يا مطران الشاعر . وما كدت ، يا سادتى، أطالع خبر عزم مصر العزيزة على تكريم خليل مطران بك حتى عدت بالذكرى الى المرة الاولى التى وقع فيها نظرى على الشاعر العبقرى ـ فانجلى أمامى ذاك المشهد الرائع فى أحد شوارع مدينة بيروت حيث تجمهر الناس فى شرفات المنازل وعلى مفارق الطرق ليشاهدوا رفع الستار عن تمثال المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجى

وقفت ذاك اليوم قرب شرفة تطل على الجمع المحتشد ، فرأيت بينهم رجلا قصير القامة، أسمر اللون ، نحيل الجسم ، تحجب بريق عينيه نظارات كبيرة ، كانت أشعة الشمس المنعكسة عليها تبرزه عن سواه من الخطباء فى تلك الحفلة . وما مر من الوقت الا قليله حتى انتصب ذاك الرجل ورفع يده نحو التمثال وقال:

رب البيان وسيد القلم   وفيت قسطك للعلى فنم

وما كان ذاك الخطيب الا خليل مطران بك

مرت بضع سنوات قبل عودة خليل مطران ثانية الى زيارة لبنان . فاستدعته اذ ذاك جمعية النهضة النسائية فى بيروت ليكون خطيبا فى حفلة أقامتها لترويج المنسوجات الوطنية واشترطت عليه أن يلبس قميصا من الحرير الوطنى ، وكانت

الجمعية قد أهدته اليه لهذه الغاية . وقد كان من حسن طالعي أن أكون في عداد خطباء تلك الحفلة . فجلست على مقربة منه انتظر بلهفة لما سيقوله حتى اذا ما استدعى للكلام استهل خطابه بهذه الكلمات :

« والله يا قوم ـ انى ما شعرت في حياتي كلها بعامل انتفض له قلبي طرباً، ولا تقلدت وساماً خفق له صدرى فخراً، كشعورى عندما ألمس هذه القطعة الحريرية التي تلتصق بصدرى الآن . وما ذاك الا لأنها نسيج بلادى وهدية نساء وطني »

انى أخال قلب خليل مطران بك يخفق اليوم للقلوب التي توحدت على تكريمه حبا بمظهر يليق بعبقريته ، ويدل على سمو أخلاق أدباء وادى النيل

وان الناطقين بالضاد أينما كانوا يشيرون بفخر الى شاعر الاقطار العربية خليل مطران بك اليوم بقولهم :

رب البيان وسيد القلم

كلمة الاستاذ عبد المسيح حداد

ابدأ كلامي بالثناء على الصديق والزميل الاستاذ سلوم مكرزل الذي أفسح لى ، في دار «هداه» الكريمة ، المجال لهذه العاطفة الوطنية . وهى عاطفة الاقرار بخدمات جلى أسداها الشاعر النابغة خليل مطران للعالم العربى بما حلى به جيد اللغة العربية من درر القصائد

الا انني حين أرسل هذه الكلمات الصغيرة ، في حفلة تكريم ذلك الشاعر العربى الذى فاضت آيات نبوغه في وادى النيل حيث تقام الحفلات له في هذا الاسبوع، أجدني أمام واجب أولى وهو واجب الثناء على اللجنة في القاهرة التي

قامت بهذا الواجب . ثم أجدنى أمام غرض من أغراضها الثلاثة التى وردت فى اذاعة المفوضية اللبنانية وهو « طبع مؤلفات خليل مطران طبعا جميلا بشكل مجلدات متناسقة الحجم » مبصرا بعهد جديد فى تاريخ أدبنا العربى ، أى بعهد يتعدى الكلام الى العمل فى سبيل النابغين المحسنين بأدبهم الى عالمهم ولغتهم

ولقد أسمعنا رئيسنا الجليل وعلامتنا النبيل صاحب الدولة فارس بك الخورى أشياء عن حالة الادباء الممتازين فى عالمنا وكيف أن معظمهم يعيشون فقراء يحسنون بمواهبهم الخالدة ولا من يحسن الى أدبهم ويصونه لفائدة العموم جيلا بعد جيل . ثم أسمعنا أيضا الزميل الكريم الاستاذ اميل زيدان ، صاحب مجلة الهلال، ميزات الشاعر الذى نحتفل الآن بتكريمه صدى للحفلات والولائم المقامة فى هذا الاسبوع فى مصر . وعرفنا على ضوء كلامه ما يمتاز به شاعر الاقطار العربية المحتفى به من الاخلاق والمروءات التى قلما تجتمع فى رجل واحد

لذلك ، أيها السادة ، أقول ان الغرضين الآخرين اللذين تقدمت بهما اللجنة فى مصر ليسا فى رأيى غير تعبير عن ميل عاطفى وهما « اقامة تمثال له فى أحد المعاهد العلمية ثم انشاء ما يخلد ذكره بشكل سيتفق عليه فيما بعد »

الا ترون أيها السادة أن الخلود لا يعطى ولا يشترى وأنه لا يكون نصيب أحد الا اذا كان هو خالدا بآثاره ؟

ان خليل مطران لا يحتاج الى من يخلده ، فهو خالد بآثاره ومروءاته ، ولكن ما يحتاج اليه ، هو وأمثاله من الممتازين فى عبقريتهم ، طبع مؤلفاته لتبقى بعده أثرا جليلا فى النهضة العربية العصرية

ولذلك أتمنى معكم ، يا سيداتى وسادتى ، أن تنمو هذه الفكرة النامة على عهد جديد فى تاريخ أدبنا العربى وتاريخ احتفائنا بالموهوبين الممتازين احتفاء فعالا منتجا ومفيدا . والشكر للجنة تكريم الشاعر الكبير الاستاذ خليل مطران فى

مصر فى هذا الصدد ، فالفضل كما يقال للمتقدم . وعاش خليل مطران طويلا وعاش كذلك الذين يقدرون الرجال المضحين أمثاله قدرهم والسلام عليكم

يا ابن مطران سـلاما   من مقيم فى المهاجر
حبس النفس هياما   بقوافيك السواحر

* * *

أصبحت من كأس خمرك   لغة الاعراب سكرى
كالدرارى لمع درك   يشتهيه تاج كسرى

* * *

كلنا اليوم فخور   بفتى العرب الخليل
شعره السامى شعور   وشـفاء للعليل

* * *

عبـقرى بنهـاه   عابق فى كـل آن
أحسن الله جـزاه   عن عطاياه الحسـان

كلمة الاستاذ احمد حسين

تغلب على صنعة المحامى وأنا استهل كلمتى فأعلن انضمامى الى صديقى الاستاذ عبد المسيح حداد فى شكره «للهدى» وصاحب «الهدى» لاتاحتهما لنا هذه الفرصة الذهبية للاجتماع فى هذا المهرجان الأدبى الرائع الذى ما شهدت له من مثيل فى نيويورك . ولولا عظمة خليل مطران وشاعريته، لولا انه رجل فذ نابغة، لما اجتمعنا هنا على بعد سبعة آلاف ميل من القاهرة لكى نحتفل بتكريمه مع المحتفلين . لولا شخصية ذلك الرجل الكريم لما أتيح لنا أن نسمع ذلك الخطاب الرائع الذى ألقاه رئيسنا المجاهد ومفخرة العرب فارس بك الخورى ولما حظينا

بسماع هـذا التحليل البديع يلقيه علينا حامل لواء النهضة الصحفية فى مصر ؛ الاستاذ أميل زيدان ، الذى يداين وأبوه من قبله مصر بدين عظيم . وأخيرا أيها السادة ، لولا خليل مطران ، وتكريم خليـل مطران ، لما سعدنا بسماع هـذه الموسيقى الشجية التى جمعت بين عذوبة الشرق وحيوية الغرب . وما دمت بصدد اسـتعراض الذين سـبقونى بالـكلام ، فهل تسمحون لى بأن أعرب ، باسمى واسمكم ، عن اعجابنا الشديد بما سمعناه من الاميرة معلوف. لقد كنت أرقص طربا وأنا أسمع هذه الدرر العربية تنساب من فمها والتى جعلتنى أفخر بالمرأة العربيـة التى تقف هنا فى أمريكا ، فى هـذا الحفل ، لتحدثنا عن مطران بهـذا اللسان العربى المبين . فمن أراد أن يسجل لخليل مطران حسناته فليكن احتفالنا به هذه الليلة على رأس هذه الحسنات . كيف لا وقد جمع قناصل الدول العربية، والنـاطقين بالضاد من أمريكا الجنوبية ، والشمالية ، ومن مصر ، والعـراق ، والشام ، وشمال أفريقيا ، وجزيرة العرب ، فتم لنا بذلك مؤتمر فذ فريد يؤكد وحدة البلاد العربية وانها كلها على قلب رجل واحد

وهذا يذكرنى بشوقى ، شاعرنا العظيم ، وأثره فى خلق الوحدة العربية . فمنذ عشرين سنة ، أو أكثر على ما أظن ، عندما كانت الوحدةالعربية لا تزال تعتبر حلما من الاحلام أو خيالا من الخيالات ، اجتمع فى مصر أول مؤتمر عربى لتكريم شوقى الشاعر ... جاء الادباء والشعراء من لبنان ، والحجاز ، والشام ، وتونس ، ومراكش ، والجزائر ، واليمن ، وأمريكا الشمالية والجنوبية ، ليبايعوا شوقى على امارة الشعر ويكرموا نبوغه . فكان ذلك المهرجان الادبى هو أول ميلاد لوحدة الناطقين بالضاد .وهكذا عمل شوقى بشعره على جمعشتات العرب، متغلبا بذلك على القيود والسدود التى خلقها الاستعمار وحاول بها تمزيق شمل العرب

وكما قال لـكم فارس الخورى بك ، ان مطران هو ثالث هؤلاء الثلاثة : شوقى وحافظ ومطران ، وقد سبقه زميلاه وخلفهما مواصلا ما بدآه من جمـع

شتات العرب . ويلوح لى أن الجامعة العربية الوليدة كانت فى أشد الحاجة الى المدد الروحى الذى يجيئها به اليوم مطران .. فالسياسة تحاول ، كدأبها أن تزعزع من كيان هذه الجامعة ، تحاول أن تفت فى عضدها وأن تزعزع الثقة بها ، فجاء الاحتفال بمطران ضربة قاصمة لكل من تحدثه نفسه بالتقول على وحدة العرب .. فاليوم يجتمع العرب من جديد على قلب رجل واحد ليكرموا مطران ، ليكرموا الشعر العربى .. ليكرموا المعانى السامية التى يمثلها شعر مطران ، وها نحن فى بلاد الحديد والنار ، فى بلاد الدولار والضجيج والعجيج ، ندع ذلك كله لنجتمع ولنتجه بأرواحنا صوب الشرق ، وصوب روحانية الشرق وأمجاد الشرق . ان مطران قد أتاح لنا الفرصة لكى نظهر للعالمين أقوى رابطة تربط بنى البشر بعضهم الى بعض ، وهى رابطة العاطفة ، وما الشعر الا العاطفة ومتى اتحدت عواطفنا فقد اتحدت مصالحنا

اننى أريد أن أنتهز هذه الفرصة الكريمة لكى أدعو الى هذه الوحدة التى لا حياة لنا بغيرها . هذه الوحدة التى عندما تتم فسيكون لنا من الشرق الادنى أمريكا الجديدة التى تفوق أمريكا هذه التى أتحدث اليكم فوق أرضها . ففى بلادنا كل ما يؤهلها للاندفاع الى الامام . فى بلادنا الثروة والغنى ، وفى بلادنا كنز الكنوز ، وهو روح الشرق العميقة اللماعة والتى لم تنطفىء جذوتها أبدا . بل هى فى انتظار الساعة التى تستعر فيها من جديد

ان زيارتى لهذه البلاد قد جعلتنى ازداد ايمانا على ايمان أن ساعة نهضتنا قد قربت . وقد زادتنى ثقة على ثقة بمقدار فاعليتنا ، وليس ينقصنا سوى الاتحاد والتعاون الوثيق على غرار هذا التعاون بين مختلف بلاد الولايات المتحدة الامريكية . فليكن لنا من اجتماع الليلة لتكريم شاعر لبنانى ، مصرى ، شامى ، عراقى ، خير مشجع وحافز لنا للمضى نحو هذه الغاية . ولنتجه بقلوبنا فى هذه الساعة نحو الشرق الذى هب من رقاده ليعيد مجده القديم . لا مجد السلاح والسيطرة على الآخرين ، ولكن مجد العلم والمعرفة والحرية والسلام والأخوة البشرية

كلمة الدكتور مامون المهايني

دعاني الاستاذ سلوم مكرزل ان أتكلم فى هـذا الحفل الكريم الذى أقيم لتكريم شاعر عظيم، تحتفل به فى هذا اليوم الاقطار العربية جمعاء فى وادى النيل الخصيب تحت رعاية جلالة الملك فاروق ، ملك مصر والسودان . الشاعر الذى أغنى لقبه أحيانا عن اسمه ، اذ أطلق عليه أدباء الشام ومصر شـاعر القطرين يوم شدا فى وارف ظلال دوحات الغوطة واحراش لبنان ، وعلى سجسجة النيل السخى، فحلق فى سماء الشعر والأدب، وأطلق سجيته تبدع فى ميدان الالهام، وحرر شاعريته من قيود القصيد التى كبلت الأدب العربى أجيالا طويلة . فعاد به الى ما كان عليه من زمن الازدهار الاموى العباسى جزلا متينا أحيانا ، وعذبا سلسا أحيانا ، وكان من قافلة المجددين فى الرعيـل الاول من المجاهدين ، يوم جمعت الرجعية جموعها لتحارب من هدم أصنامها ، وكسر ازلامها ، وأطلق القلم من سجنه حينما اعتق الروح من أسرها . كان مع شوقى وحافظ رحمهما الله ، يتمم ما ابتدأ به البارودى ، فى حقل النهضة العربية الحديثة من تجديد الشعر بعـد رثاثته وتجريده من سفاسفه ومثالبه . ولمطران أجر الصابرين العاملين ، أجر المجاهدين السابقين

وكلمتى هى كلمة الطلاب العرب فى الولايات المتحـدة الامريكية ، كلمة الشباب الذين تركوا الاهل والخلان ، وبعدوا عن الديار والاوطان ، للتزود من ثمرات الفكر الانسانى — « وان خير الزاد التقوى » — ليؤوبوا الى من خلفوا فى الحلل والامصار فيأخذوا بأيديهم ، ويقيلوهم من عثارهم ، ويمهدوا لهم طريقهم، ويهونوا عليهم صعابهم ، ويعيدوا الأمل الى النفوس اليائسة ، وينفضوا النـوم عن الاعين الواسنة ، ويشاركوا فى بناء مجد أمتهم بالعلـم والحضـارة . شـباب متفرقون تحت كل نجم فى الولايات المتحدة الامريكية . اتحدوا فى هيئة منظمة ذات دستور واضح ، ومنهاج سوى ليصلوا ما بين ثقافتين ، ويمكنوا الحب والولاء بين قلوب أمتين عظيمتين ، وليهتكوا الستر عما حاكته أيدى المفسدين الماكرين

حول أوطانهم ، وقلبهم الحق باطلا ، وايهام الامريكان بانحطاط مزعوم، وتعصب مذموم فى بلاد الشرق العربى ، مهبط الوحى ، وملجأ الرسل ، ومنبع الحكمة والشعر والفلسفة

وكان حقا على أن أساهم فى تكريم شاعر القطرين ، أو فلنسمه ، كما سماه الاستاذ مكرزل ، شاعر الأقطار العربية ، وهو الذى أرسل الصيحة تلو الصيحة مرشدا شباب الجيل الحاضر الى الطريق السوى، مذكرا اياهم بالواجبات القريبة الملقاة على عاتقهم

أى نجل يحيى كن اذا حققوا م امالنا ندبهم المفضلا
بالعلم والحزم اعتضد واعتدد لتغدو الارشد والأمثلا
فما تراعى طاغيا قادرا وما تحابى بطلا مبطلا
وما تنى بالسؤل حتى ترى كما ترى العفة أن تجهلا

جال خليل مطران فى ميدان الشعر جولة واسعة فعالج أغراضه كلها وكان فيها مجليا . أطلعت على ديوان من دواوين شعره نظم قصائده الخرد فى شبابه الاول ما بين ١٨٩٤ ـ ١٩٠٨، فوجدته غزليا وصافا للطبيعة ، قوميا ثائرا ، مادحا أولى الفضل ، راثيا فقيدى الادب والوطنية . ثم قرأت له فى مجموعات شعرية أخرى بعض ما لم ينشر فى ديوانه الآنف الذكر، فكانت الصفة الغالبة فى شعره نفسها فى شعر شبابه الاول ، وكان هذا من دلائل خلوده

فاذا صنفت المميزات التى استنبطتها من شعره وجدت :

١ ـ انه ابتدأ باكورة شعره بتصوير عواطف الشاب الذى يتعشق الجمال فى المرأة والطبيعة تعشقا بلا دنس ولا رجس ، أقرب الى التصعد الروحانى منه الى التدنى الجنسى، فكان فى صفاء شعره ونقاوته يحاكى شعر جرير، وجميل، وكثير ، وقيس بن الملوح . وكان فى أسلوبه يحاكى شعر عمر بن أبى ربيعة

وفى كلتا الحالتين ، كان شعره يفيض طلاوة وحلاوة ورقة وعذوبة . ما أظن هذا الشعر قد صيغ الا من فلذات كبده ومزقات فؤاده . قال :

قربتـه فما ارتـوى وجفته فما ارعـوى
جن فيهـا وقبلـه جن قيس من الهوى
انما نحن فى الهوى اخوة حكمنـا سـوا
كـل عان عنـاءنا فهـو من أهلنـا هوا
فالشجاع الذى مضى مثلنـا يحمل اللـوا
والجرىء الذى اقتفى والبطىء الذى نوى

(١٨٩٤)

أو :

يا من أضاعوا ودادى ردوا عـلى فـؤادى
ردوا سرورا تقضى وما له من معـاد

(١٨٩٨)

أو :

يا قـرة لعيـونى فى الصدر منها سعير
كم جئتكم مستزيرا وطيفـكم لا يزور

٢ ـ ثم أفاق من سكرة الهوى لينظر الى من حوله من أبناء قومه، يرسفون بالاغلال والقيود ، ويتخبطون فى دياجير الجهل والمرض . فصاح محذرا وصاح منذرا ، ولم يخش بطش العتاة يوم كان لا مرد لبطشهم . وهو فى ثورته اللاهبة قومى عربى صحيح ، ومصلح جرىء . نظر الى الوحدة العربية ، لا كوحـدة سياسية ، بل كوحدة اجتماعية وثقافية ، ودعا مختلف الاقطار العربية الى التكتل والتساند لصد العدو الاوحد والوحش الفرد : الاستعمار . قال :

يا أمتى دركِ در العـلى واثبـة بالطـارق المنكر
كوثبك المعهود من سـالف أيام يأبى العزم أن تصبرى



الاستاذ احمد حسين





الدكتور احمد زكي ابو شادي

جافيت عهد الذل معتزة	فطاولى الدنيا ولا تقصرى
عودى الى مجدك محسودة	وفاخرى محمودة وافخرى
سودى كما سدت قديما بلا	حد من الشم ولا الابحر
ما بك صعلوك فأى بدا	أمر له فى الناس فليأمر
وكل فدم فيك أو عالم	ما شاء أن يكبر فليكبر

الا يشعر كل واحد منا حين سماعه هذا الشعر ان الامجاد الماضية ، امجاد العرب ، قد ركزت قوتها الدافعة فى نفسه لتطلقه فى هذا العالم شهابا يضىء لمن حوله نورا وحكمة ، وقوة وسؤددا

ما بك صعلوك فأى بدا	أمر له فى الناس فليأمر

٣ ـ وهو اذا دعا الى محاربة الاستعمار ، فانه يحاربه على أنه اعتداء اقتصادى يصيب وباله الأمة كلها وبخاصة طبقة العمال ، ويستهدف افقار الأمة المستعمرة وهو فى أوله وآخره استثمار لخيرات البلاد وكنوزها . قال فى فتاة بويرية سار أبوها لحرب الانكليز :

واستمعت فى الغداة قيلا	ان أباها للحرب سار
وان قوما جاؤوا ليفنوا	أمتها بغية النضار
لا يرحمون الصغار منهم	ولا يرقون للكبار
ولا يراعون حق حر	ولا يصونون عهد جار
جثت على مهدها بما لم	تعهد عليه من الوقار
تدعو وما لقنت ولكن	علمها الحزن الابتكار
« يا أرحم الراحمين يا من	يحمى ضعيفا به استجار
انصر أبى وانتقم لقومى	ولا تبح هذه الديار »
كذاك هم كلهم جنود	لصد عاد أو اخذ ثار
لا يفرق المقتنى حساما	عن التى تقتنى السوار

على أنه لا يفرق بين الاستعمار الخارجي وربيبه الاستعمار الداخلي ، وخصص الاقطاعية الاستبدادية بأنها شر أنواع الاستعمار الداخلي ، وهي ما لا نزال نشكو منها في كل أنحاء العالم العربي وبخاصة في مصر والعراق واليمن. قال يصف أهرام سقارة وفرعون بانيها :

شاد فأعلى وبنى فوطدا   لا للعلى ولا له بل للعدى
مستعبد أمته في يومه   مستعبد بنيه للعادي غدا

ثم يصف حالة العمال البائسة ، أولئك الذين يستثمرهم الاقطاعي في كل قطر وكل زمان ليمكن لنفسه ولسيده الغاصب العادي الامر على اكتافهم ، وليبني مجده الزائف على جماجمهم :

صفر الوجوه ناديا جباههم   كالكلأ اليابس يعلوه الندى
محنية ظهورهم خرس الخطى   كالنمل دب مستكينا مخلدا
أكل هذي الانفس الهلكى غدا   تبنى لفان جدثا مخلدا

فقد بين أن الاقطاعي الذي يستعبد بني قومه فيذل نفوسهم ويميت شعورهم ، انما يهيىء بنيه وأهله الى أن يكونوا خولا وعبيدا للعادي الغاصب . وما أصدق هذا القول على الطغاة في تاريخ العرب الذين مهدوا السبيل للامم العادية أن تركز نيرها على أعناقنا . ثم يثني فيطلب مستهزئا من العتاة طرد العادين الذين يحكمون اليوم في الامصار :

قوموا انظروا العادي في امصاركم   يحكم فيها مستبدا أيدا
لم يغنكم منه البناء عاليا   والارض نهبا والملوك أعبدا
وكان يغنيكم جميل الذكر لو   خفضتم اللحد وشدتم بالهدى

ويرجع اللوم كله على الجهل وضعة النفس فقال في قصيدة له يصف فيها اعدام كسرى لوزيره بزرجمهر :

لولا الجهالة لم يكونوا كلهم　　　الا خلائق أخوة امثالا
لكن خفض الاكثرين جناحهم　　　رفع الملوك وسود الابطالا
واذا رأيت الموج يسفل بعضه　　　الفيت تاليه طغى وتعالى

ومطران يتهكم أحيانا تهكما خفيا ولكنه لاذع . وصف جنديا فى جيش نابليون ينازع الموت والموت ينازعه . فجاء نابليون فجثا الى جانبه ، ثم كشف عن صدره فوجد فيه آثار الجراحات المميتة، فقلده وساما . ثم قام من جانبه يجوس فى حقل الموت ويدوس الاشلاء ناظرا الى البعيد ، الى مجده الشخصى . قال :

فآساه وعالجه بقول　　　جميل والمؤاساة اقتسام
وزاد ندى فقلده وساما　　　وكل جراحة فيه وسام

لكن الجندى كان أكرم من نابليون . قال :

وانطقه الولاء وكم شهيد　　　قبيل الموت يحييه الذمام
فقال تعيش يا ملكى وتفدى　　　ومات وفى محياه ابتسام

ويقول بعد ذلك ان الديموقراطية الصحيحة هى أن يناضل الشعب من أجلها بالقوة وبالعلم . قال فى قصيدته الطويلة « نيرون » :

كل قوم خالقو نيرونهم　　　قيصر قيل له أم قيل كسرى

وقال فى قصيدته : ١٨٠٦ ـ ١٨٧٠ ويعنى بالتاريخ الأول سنة انتصار الافرنسيين على الالمان فى معركة يانا والتاريخ الثانى سنة دخول الالمان باريس :

كل بمسعاه يفوز ومن ينب　　　عنه الحوادث لم يفز بمراد

أما عقيدته فهى عقيدة المسيح عليه السلام كما بشر بها المسيح : عقيدة وصفها فى شعره :

الله أوحى فكرة هى دينه ‏ فمن اهتدى هى نوره ويقينه
أو ضل فليحر بغير منار

الحب فى المعنى العميم الكامل ‏ معنى المراحم والفداء الشامل
بالبر للاعداء والانصار

والعدل يقضى بالخراج لقيصرا ‏ والصفح عن كل يسيء من الورى
هذى ديانته بلا انكار

وكذلك قال فى الاسلام القول الآتى فى قصيدة رثى فيها الزعيم الوطنى مصطفى باشا كامل :

لم تنزل الاديان الا هاديا ‏ للعالمين ورادعا ومثقفا
بشعار حى على الفلاح وما بها ‏ ان قصر الاقوام عنه فأخلفا
قد كان للاسلام عهد باهر ‏ نلنا به هذا الرقى مسلفا
ملأ البلاد انارة وحضارة ‏ ومنى السماحة عوده مستأنفا
بشرى البرية بعد مزمن دائها ‏ بسلامة الاسلام وهى لها شفا

أما وفاؤه لمصر ، وطنه الثانى ، فيكفى انه اشترك فى أفراحها وأتراحها، منطلقا مع الأمة المصرية يشدو فى أعراسها وأعيادها . وما فقدت مصر واحدا من بنيها البررة الا بكاه مطران بكاء الثاكل . وفى الأبيات الآتية يتلخص حب مطران لمصر :

يا مصر دار السعد والهناء ‏ ومهبط الاسرار والايحاء
عليك من هذا المحب النائى ‏ سلام قلب ثابت الولاء
يهواك فى السراء والضراء

شاعر الاقطار العربية هو شاعرنا نحن الشباب العرب .عاش فى جو الحب والاخلاص والفن والوطنية والثورة . اجتمعت الشام ومصر فيه فانصهرتا فى قلبه سبيكة رائعة

أيها السادة : ما أظن الا أن تعاون البلاد العربية لايكون تعاونا تاما الا فى حمى الحب والاخلاص والفن

قصيدة الاستاذ وليم صعب

صوت من الغرب حيى النيل والوادى | ياشاعر العرب ، هـذا عيد أعيادى !
ما غير البعـد والهجـران أولادى | ولا نسيت بنى قـومى واكبـادى

* * *

أنا المهـاجر « لبنـان » الى الامـم ، | بنيت ، انى مضيت ، المجـد بالهمـم
رفعت فى كل أرض للسما علمى | وما تبعت سـوى آثار أجـدادى

* * *

انى رأيت بعـين الفخـر جائلة | « مدينة الشمس » بالافراح رافـلة
نادت بقلعتهـا الاهـرام قائلة | يا جارة العـز هـذا بلبلى الشـادى

* * *

ظللته طـائرا رقت أغانيـه | وشـاعرا تملأ الدنيـا قوافيـه
وعبقـريا من الاعمـال يكفيـه | توثيق حب حدا فى ذكره الحـادى !

* * *

الشيـخ صافح بالاهداف « مطرانا » | وعانقت مصر « بالمطـران » لبنـانا !
وما عرفنـا بملك الشـعر اديانا | وما ضللنا وما سرنا بالحـاد !

* * *

الشـعر قال وقال النثر والادب | انا خلقنـا اتحـادا أيهـا العـرب !
كانت سياساتكـم بالحقـد تضطـرب | وأهلنـا بالتصـافى صف انداد

* * *

انتم بنيتم على الآداب « جامعة » لا بالسياسة والاهداف طامعة
فعززوا الشعر والاداب ساطعة تعززوا الملك محفوفا بأمجاد !

* * *

تكريم شاعركم عنوان يقظتكم يا يقظة الحق تحيي روح نهضتكم
آدابكم اسست توحيد أسرتكم وقومها قوم اصلاح وارشاد

* * *

ياشاعر العرب والاقطار شاهدة الشعر دولته في الدهر خالدة
ان لم تكن أمة للعرب واحدة فاننا دون شك أمة الضاد ! . . .

... وزجله

من جيرة «الهدسن» الى «النيل» الجميل أصوات ينقلها الهوا الغربي العليل
فيها الزجل هنا بشعر العاطفة الشعر الفصيح وسيدو الاعلى «خليل» !

* * *

وتعانقوا الشعرين في دار « الهدى » وفي مصر «دار الاوبرا» ترد الصدى
باعناق حب مشعلو طول المدى ما تبردو مسافات سبع آلاف ميل

* * *

وتصافحت بالعيد أقطار العرب وقت انعقاد « الجامعة » بعيد الأدب
والأرز غصنو مال ويصفق طرب وتجاوبوا عالنيل أغصان النخيل !

* * *

بعيد « الخليل » تحققت آمالنا والكون فرحه والهنا غنى لنا
عيد الادب يا بهجة استقلالنا باسم الزجل هنيت مصر الخالدة
ولبنان فيك ، وسيد الشعر الجليل !

كلمة الدكتور احمد زكى ابو شادى

من لى بآيات دنيا الفن لا أدبى   حتى يمجد فنى شاعر العرب !

بل شاعر الانسانية الملهم الذى ما اعتزت العربية بحسناته بأكثر من اعتزاز المثل العليا بخطراته ونظراته ، وقد عاش « انسانا » فى سيرته وفى شعره، فجمعت شخصيته الفذة بين كنزين ، ولكنها خلقت لنا كنوزا وأغدقتها علينا فى غير من

فى هذه الحفلة التكريمية التى تعد فيها الدقائق والكلمات، ولا تباح الدراسة والاطالة ، قد يستغنى ولا يستغنى بالالفاظ القليلة لاننا نمجد من استأهل تحية اسماعيل صبرى :

أنت مطران أى شعر جديد   أعجزالمسلمين قبل النصارى!

ان تحليل الجوانب الفنية فى شعر مطران وأدبه عامة ليحتاج الى الساعات تدوينا والقاء . وقد ساهمت من قبل ، فى مراحل حياتى الأدبية بتمجيد هذا الشاعر العالمى الروح ، العربى الاوطان ، اللبنانى الاصل ، الذى أدين له بفضل التوجيه وبحق الاستاذية على منذ طفولتى الادبية . ولم يفتنى التحليل المنوع لآثاره والاشادة بنزعاته الرائدة وأعماله الماهدة التى أحدثت ثورة فى الانشاء العربى الحديث نظما ونثرا ، ووثبت بالشعر العربى على الأخص وثبة جريئة ما كانت لتتحقق لولا المواهب الفنية الأصيلة التى فطر عليها هذا الشاعر العبقرى، وان انجبته أمة تحيا حياة شعرية وقد خلقت الطبيعة ، جبلها وأرزها ، ملحمة ربانية ، فى كل نبع وروض وجدول ورابية قصائد منها ومقاطيع

فى هذا اليوم تحتفى (مصر) بتمجيد خليل مطران ويحتفى معها العالم العربى . وليست هذه بالمرة الاولى ، ولا ريب أنها لن تكون الاخيرة ،التى تتجلى فيها محبة (مصر) لمطران واكبارها اياه شعبا وحكومة . وقد حاولت وزارة المعارف المصرية ، مرات من قبل فى شخص أديبنا الكبير الاستاذ الدكتور طه حسين بك وفى أشخاص سواه ، اكرام مطران بطبع آثاره أفضل طبع . فكان

مطران الحيي المتواضع يحجم ويتوارى فى كل مرة .. وما أدرى هل يوفق (النادى الشرقى) بالقاهرة ، فى هذه الآونة ، الى هذا القصد الشريف الذى يرعاه جلالة ملك مصر، ويؤيده رجال الفكر والفن والثقافة فى مصر التى أحبها مطران حبه لمسقط رأسه وأنشد فى حبها :

يا (مصر) أنت الاهل والسكن	وحمى على الارواح مؤتمن
حبى كعهدك فى نزاهته	والحب حيث القلب مرتهن
ذاك الهوى هو سر كل فتى	منا توطن (مصر) والعلن
هو شكر ما منحت وما منعت	من أن تنغص فضلها المنن

ان الشعب المصرى يحب مطران ويجله ، لا كشاعر عظيم فحسب ، بل كزعيم حر أيضا . والى هذه الناحية النبيلة من شخصيته السامقة أوجه الاذهان حينما تغنى « بالشاعر » المبدع وتنسى « الرجل » الحر

لقد كان مطران من الرعيل الاول الذى نفر الى مصر من الاقطار الشقيقة ابان الاحتلال الانكليزى هروبا من الرق الفكرى والطغيان. فاستفادت مصر أدبيا وثقافيا من بعضهم كاليازجى ، وزيدان ، ومترى ، وتقلا ، ونجيب الحداد ، وسليمان البستانى ، وأديب اسحق ، وشبلى شميل، وبركات، ويعقوب صروف، والجميل . ولم تستفد من آخرين ناوأوا مصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية فى ذلك العهد . ولكن مطرانا ، بانسانيته ووفائه وبنفسيته الشامخة ،تعالى على الجميع فظل صديقا حميما لمصطفى كامل وصديقا حميما للوطنية المصرية ، ورائدا مشجعا على البعث القومى . وما كان فى قصائده الخالدة « مقتل بزرجمهر » و « الطفلة البوبرية » و « حرب غير عادلة ولا متعادلة » و « فتاة الجبل الاسود » وفى مثيلاتها الا شاعر الحرية المثير الواعظ حينما شغل سواه بحطام الدنيا وجاهها

ولما مات مصطفى كامل ، ولبس الشعب المصرى السواد ، لم يعبر عن الحداد القومى أى بيان بأقوى من شعر مطران فى مرثيته التى غدت من عيون

المراثى فى الشعر العربى جميعه ، قديمه وحديثه . وقد عصر فيها مطران قلبه وفنه فى خمسة وتسعين بيتا، كل بيت منها نصب رفيع يشهد بنبالة شاعرنا وعظمته كما يصور عظمة الفقيد الشهيد :

اعظم بيومك فى الزمان ومن له ... بك واصفا ذاك الجلال فيوصفا
يوم الملائكة الكرام تنزلوا ... حانين حولك فى السرير وعكفا
وتحملوك على الاشعة وارتقوا ... سربا يجوز بك الدراريء موجفا
فوردت وردك فى الخلود منعما ... والارض مائدة عليك تأسفا
لم تلف قبلك أمة فى مشهد ... يذرو الرجال به المدامع ذرفا

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها ... وأرى ترابك من حنين قد هفا
وكأننى بالقبر أصبح منبرا ... وكأننى بك موشك أن تهتفا

يا أخلص الخلصاء ابكى بعده ... كبكاء (مصر) تحرقا وتلهفا !

بكى مطران مصطفى كامل بكاء حارا ، وأخلص له فى حياته اخلاصا حارا، ورعى أمانى مصر وتعهد نشأها وحركتها القومية دون فتور فى جميع العهود ، وساهم فى رفع علم الاحرار بلا كلال فى كل وقت . فحفظت له مصر هذا الجميل ، وستحفظه له جيلا بعد جيل

قصيدة خليل مطران بك

(القاها الدكتور احمد زكى ابو شادى)

يا لعهد الصبا تقضى وشيكا ... بين أهل فارقتهم غير سال
فى بلاد ردت اليها فؤادى ... كل أرض حططت فيها رحالى
أى شجو تثيره فى حشا المشـ ... ـتاق ذكرى سهولها والجبال
أى ماء عذب وأى هواء ... ارج فى الرياض والادغال

أي بحـر زمردي محـاط باطـار من عسجدى الرمـال
أي حسن فى كـل ما تقـع العيـ ـن عليـه من مونقات المجـالى
من كأبنائهـا وقد نازلوا الدهـ ـر فزكوا احسابهم بالنـزال
ان يقلوا عدا فسل فى مدى الـ ـقطبين عنهم جلائل الاعمـال
علمتهم صم الجلاميد فى جو ن الأخاديد أو ضواحى القلال
ما هو الحـزم فى اتقاء المهـاوى ما هو العزم فى ارتقاء المعـالى
مايقول الاقـدام فى كاذب الاو جال تلقـاء صـادق الآجال
يا بنى أمنـا الأولى اغتربوا عنـ ـها وجالوا فى الارض كل مجال
بين معمـورها وغامـرها بيـ ـن الجنوب النائى وبين الشمال
وبحسن البـلاء فى كل قطر يسموه كانوا فخـار الجـوالى
فأعـزوا مواطنـا أنبتـهم بضروب من باهرات الفعـال

* * *

يا بنى أمنـا بمصر ومنهـم عن يمينى اعـزة وشـمالى
أمة الشرق تزدهى بالبنين الصـ ـيد منكـم وبالبنـات الغـوالى
ورجال فى كـل علـم وفن وابتداع هم صفوة فى الرجال
ونساء بكل حسـن واحسـا ن شريف هن الغوانى الحـوالى
ان مصر التى نفـرنا اليهـا بحمـول من الهمـوم ثقـال
يـوم كانت ربوعنـا تحت رق وبنـوها الاحـرار فى الاغلال
والدعـاة الهـداة الا اذا لاذوا بمصر يسقون مر النكال
أنزلتنـا دارا من العـز تسلى كـل ناء عن داره غـير قال
لم يضق صدرها الرحيب على ما كلفتـه بلاجىء أو بجـال
ذاك عصر عانى به العـرب ما عانوه من محنـة ومن اذلال
فتقضى ، لا يصحب الحمد ذكرا ه ، وجاءت أيام الاسـتقلال
دول حـرة تجـدد فيهـا تالد المجـد بعـد الاضمحلال
تتـولى مصر الزعامة فيـه وهى حق ما حـوله من نضـال

جنة عند جنة عند أخرى   آه لو ظل حبلها فى اتصال
وطن واحد فان نقل الاو   طان فالجمع فيه جمع اشتمال

* * *

كلأ الله وادى النيل هل   اوتى واد كحسنه والجلال
وكهذا الخصب العجيب الذى كا   ن وما زال مضرب الامثال
وكهذا الشعب الأمين الذى أو   تى أحلى شمائل وخصال
هو شعب حر السجايا سخى   وابى عن عزة لا اختيال
دائب شاد مجده خالد الآ   ثار من بكرة القرون الخوالى
باسل لم تزده الا ثباتا   غمرات رمته بالاهوال
صابر طاول الزمان الى أن   رد ادباره الى اقبال

المقالات والقصائد

ننشر فى هذا الباب ما جادت به قرائح الأدباء فى تحية الشاعر الكبير عدا ما ألقى منها فى حفلات التكريم وسبق نشره فيما تقدم من هذا الكتاب

١ - المقالات

عشت مع خليل مطران (١)

فعرفت الوجه النبيل والادب الرفيع

فى السادس والعشرين من هذا الشهر تحتفى البلاد العربية بتكريم شاعر القطرين الاستاذ خليل مطران ، فى دار الاوبرا الملكية . ولقد قررت الحكومة اللبنانية الاشتراك رسميا فى هذا التكريم ، فيمثلها شاعرنا الكبير الاستاذ بشارة الخورى

أما أدب الخليل وشعر الخليل ، فهذا ما سيتحدث به الذين سيتكلمون فى الحفلة . وأما أنا فسأتحدث عن شاعرنا كما رأيته وكما سمعت عنه

انهم يلقبون الخليل بصاحب الرسالتين واذا ما سألتهم عن ذلك ، قالوا لك: نعم انه صاحب الرسالتين ، رسالة الادب ، ورسالة الاخلاق . واذا سألتهم المزيد ، يحدثوك عن أخلاقه أكثر مما يتحدثون عن أدبه . فالخليل فى نظرهم رجل أخلاق وهو ، مدة وجوده فى مصر ، كان عنوانا للصدق والاخلاص لهذه البلاد التى حمته وأكرمته . فالقصر والحكومة والاحزاب ، قدرت للخليل هذا وأصبحت تعتبره رجلا كريما وسيدا نبيلا . وهو فى كل هذا لم ينكر لبنان، فكان يتغنى بوطنه الام ، وكان دوما يقول : كى أحب مصر هذا الوطن الكريم ، على

(١) نقلا عن جريدة بيروت ــ المساء

أولا أن أحب لبنان . ويقولون في مصر أيضا انه يكاد يكون الشخص الوحيد الذى لم يطأطىء رأسه لأجنبى ، أو يعمل على التقرب اليه ، على حساب الآخرين

سعدت فترة من الزمن بمصاحبة الخليل . فكنت اجتمع اليه فى مكتبه بدار النقابة الزراعية الملكية ، وأحيانا فى دار الاوبرا الملكية وقت ان كان مديرا للفرقة القومية . وأحيانا كنا نلتقى صدفة فى الطريق ، فروح تتشرد على حد قوله . كنت أراه دائما حركة لا تهدأ، فهو اما بصحبة شخص يفتش له عن عمل يرتزق منه ، واما فى طريقه الى عائلة مستورة يذهب اليها ليخفف من شقائها . لذا كان أصحابه يقولون انه ينظم الشعر فى الليل وفى النهار . فشعره فى الليل هو تلك القصائد العصماء التى تزين الادب العربى الحديث ، وشعره فى النهار هو تلك الايادى الكريمة التى يمدها الى المعوزين والسائلين . حتى أن كثيرين من عظماء وأغنياء يأتون اليه فى مكتبه ، ويتركون عنده مبالغ من المال يرجونه أن يصرفها حسب ما يرى

وسألت الخليل مرة : يقولون أيها الوالد — وكان يسره أن ينادى بهذا اللقب — ان لكل رجل امرأة فى حياته . فهل لاستاذنا أن يحدثنا عن امرأة حياته ؟

— ان القصة طويلة ، لن أقصها عليك ، ولكن ثق انه كانت هناك امرأة فى حياتى ، وانها لا تزال حتى اليوم ، وستبقى ما بقيت . فسألته : وهل تغنيت بها ؟ فأجاب : كثيرا . وهاك آخر ما قلته فيها :

فشاب بنو ليلى وشاب بنو ابنها وحرقة ليلى فى الفؤاد كما هيا

كان شاعرنا صديقا حميما لحافظ ، وكان يلازم أحدهما الآخر ، وكانت لهما جلسات رائعة فى حانة اللواء . كانا شريكين فى البؤس والهناء. وكان حافظ يتحمس كثيرا لصديقه ، وكان من الممكن أن تنتج هذه الصداقة أدبا وشعرا . ولكنها أنتجت كتابا هو « تاريخ الاقتصاد السياسى » والله وحده يعلم كيف ولماذا

ألف وترجم هذان الشاعران الكبيران هذا الكتاب . . .

وكانت بينهما مزاحمة شديدة لمعرفة أيهما أجمل . لقد كان كل منهما يدعى أنه أجمل صورة من الآخر . وتشتد الخصومة فى ذلك ، ويريد الخليل انهاءها ، فيقول لحافظ :

ـ اسمع يا حافظ لئن كنت أنا أقبح انسان ، فأنت ولا فخر أجمل سعدان

ومرة أحضر حافظ صورة جميلة أعجب بها ، وأراد أن يشاركه الخليل فى هذا الاعجاب . فأحضرها اليه وسأله رأيه فيها . وحدق الخليل كثيرا ثم قال :

ـ لا بأس بها على العموم ولكن الأنف ألا تراه « مش ولا بد »

ونظر اليه حافظ وقال له : يا شيخ احنا قلنا انظر الى الصورة أم انظر الى المرآة ؟

اشارة الى أنف الخليل المشوه الذى كان هدفا لنقدات حافظ

ومرة كان حافظ والخليل فى لبنان يجلسان تحت شجرة . ويحلو للخليل الغناء فيترك لصوته العنان ويأخذ حافظ منديلا أحمر ويرفعه على عامود ، ويسأله الخليـل لم ذلك ؟ فيقول حافظ كى يعلم الناس مصدر خطر الهدير . ويعلمون بالتالى كم أتحمل منك

ويحضر الخليل الى لبنان، الى وطنه الذى أحبه والذى تغنى كثيرا بجماله . فاذا به يدخل البلاد كأى رجل عادى . وأشاهده فى بيروت ويكون لقاء حار ، ويسألنى عن أصـحابه وأصـدقائه ، ويخص منهم أديبنا الـكبير المرحوم عمر الفاخورى . فلقد كانت لعمر عند الخليل منزلة عالية ومقام كبير . ويسألنى أن أعمل على أن يجتمع به . وكانت لهذين الكبيرين جلسة هادئة فى تلك الزاوية المباركة التى اتخذتها « شلة الاراكيل » مقاما ، ويسعد أفراد الشلة بالاجتماع الى أديبين كبـيرين . وقد حضر مرة الى الشلة ، معـالى نقولا بك غصن ـ وكان

وقتذاك نائب رئيس مجلس الوزراء ـ وقلت له ألا تفكروا بتكريم الوسام اللبنانى فتقدموه الى رجل يزيده شأنا ؟ ويسألنى عن هذا الرجل ، فأحدثه عن الخليل . ويحضر نقولا بك بعد ذلك ويقول ابشر لقد قررت الحكومة اللبنانية اهداء الوسام الى الخليل وتكريمه . فقلت هنيئا للوسام . وكان ان أقام فخامة الرئيس حفلة هادئة فى قصره الصيفى قلد فيها شاعرنا وسام الارز من رتبة كومندور

ويغتنم بعض أفاضل الناس فى لبنان وجود الخليل ، فيعرضون عليه الاقامة فى وطنه الاول . وترجو مؤسسة علمية كريمة الخليل أن يشرفها بالقاء محاضرة على طلابها كل شهر لقاء مبلغ كبير فيرفض ذلك شاكرا ، ويقول : اما اننى عاجز عن كسب عيشى فهذا لا . انى لا أزال أستطيع أن آكل لقمتى بعرق جبينى

وعين شاعرنا مرة مديرا للفرقة القومية المصرية . فراح يشتغل باخلاص لجعل مكانة الفرقة القومية معززة وقوية . وقامت وقتذاك مناقشة حول لغة التمثيل ، وهل تكون بالعامية أو بالفصحى . فيتعصب الخليل للفصحى ، ويشتد الخصام .. ويصمد الخليل ويكون له ما يريد . وسألته يوما ولم كل هذا التعصب . فقال : يا بنى . ان دولة دينها الاسلام ، وكتابها القرآن، لمن واجبها أن تحافظ على لغة القرآن

ولعل خير ما أختم به كلمتى عن الخليل هو ذلك الحديث الطيب الذى حدثنى به الدكتور طه حسين بك حين مروره فى بيروت بطريقه الى فرنسا . قال:

« أخبار الخليل سارة وانى لفخور بأن أعلن بأن مجمع فؤاد الاول للغة العربية قد قرر تتويج مؤلفات مطران . والخليل اليوم يجمع جديا قصائده لنشرها فى ديوان يحمل هذه الجملة : « توجه مجمع فؤاد الاول للغة العربية » . ولى الشرف أن أعلن أيضا أن المساعى مبذولة ، وان الامل كبير بأن تكلل بالنجاح ، لتعيين الخليل عضوا فى هذا المجمع . حقق الله الآمال لان الخليل أهل بكل محبة وتقدير »

بيروت　　　　　منير كريدية

خليل مطران (١)

تقام فى مساء غد أولى الحفلات لتكريم خليل مطران. وستقام بعدها حفلات أخرى، فتمتد حلقاتها أسبوعا نستطيع أن نسميه «أسبوع مطران» . وليست هذه أول مرة تقام فيها أمثال هذه الحفلات، الرسمية وغير الرسمية ، لتكريمه وتشترك فيها الحكومة المصرية وغير الحكومة المصرية

ففى أواسط شهر أغسطس من سنة ١٩١٢ أنعم المغفور له الخديو عباس على خليل مطران بالوسام المجيدى الثالث ، وأوعز بواسطة اسماعيل أباظه باشا الى سليم سركيس أن يقيم حفلا لتكريم الخليل . فلاقت الفكرة هوى فى نفس سركيس وتحبيذا من جمهور الادباء . فأقيمت الحفلة فى ٢٤ ابريل سنة ١٩١٣ بدار الجامعة المصرية تحت رعاية الخديو الذى أناب عنه شقيقه صاحب السمو الأمير محمد على لرئاستها . وألقى سموه كلمة نوه فيها بما يتحلى به مطران « من الاخلاق الكريمة التى تحمله دائما على سلوك طريق الاستقامة وتباعد بينه وبين التحقير للغير . . » وأشار الى أدبه فقال سموه : « وقد وهب الله صديقنا مطران ذكاء فطريا، فجادت قريحته الوقادة بالاشعار الرقيقة والحكم البليغة الدقيقة. . . »

وقد اشترك أدباء العربية قاطبة، سواء منهم المقيمون بأوطانهم أو المغتربون فى مهاجرهم، بتلك الحفلة فأرسلوا من بدائع منظومهم، وروائع منثورهم ، ما هو جدير بالحفظ . وقد حفظ فعلا فى عدد خاص من « مجلة سركيس » وصار مطران خليقا بأن يلقب بشاعر الاقطار العربية ، بعد أن عرف بشاعر القطرين زمنا غير قصير

وبعيد الحرب العالمية الاولى بقليل ، سافر مطران الى لبنان وسوريا . فلقى فيهما من ضروب التكريم ، الرسمى وغير الرسمى ، ما ينم عن تقدير العالم العربى له أكبر تقدير . وأنعمت عليه الحكومتان بأوسمة عديدة مما لا تحضرنى

---

(١) نقلا عن جريدة البصير

أسماؤها . وفى العام الماضى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الاول فأنعم على مطران بوسام . وقد شمل جلالته برعايته السامية الحفلة التى ستقام غدا بدار الاوبرا بالقاهرة . وستشترك وزارة المعارف المصرية والحكومة اللبنانية فى حفلات الاسبوع القادم الذى دعوناه « أسبوع مطران »

فمثل هذا التكريم ليس اذن غريبا على مطران، وليس عجيبا أن تقام حفلاته على هذا النمط الراقى . فان لمطران ، بين شعراء العربية ، مميزات لا يجارى فيها ولا يبارى . يكفيه منها ذلك التجديد الذى عالجه فى الشعر العربى بتفوق ، وجمع فيه بين جزالة اللفظ ، وبراعة المعنى ، ودقة الاحساس ، وصدق العاطفة وسعة الافق . وهو ما لاحظه فيه صديقه أمير الشعراء احمد شوقى بك منذ عام ١٨٩٨ فقال : ان « خليل مطران صاحب المنن على الأدب ، والمؤلف بين أسلوب الافرنج ، فى نظم الشعر ، وبين نهج العرب »

* * *

يضيق المجال دون دراسة أدب مطران بالعناية الخليقة بها . ولعلنا ، لو حاولنا ذلك اليوم ، ما استطعنا أن نجد اليها سبيلا ، لأن شعره لا يزال منذسنة ١٩٠٨ ، أى منذ صدور ديوان الخليل ، مبعثرا على صفحات الصحف ، وفى بطون المجلات والمجموعات المختارة ، بحيث يصعب الالمام بكثير من قصائده وأحيانا الوصول الى خيرها . وغاية ما نرجوه أن يوفق مطران ، حفظه الله ، الى طبع ديوانه كاملا حتى يستطيع الادباء الاستفادة، ويعرف النشء الجديد أى شاعر عظيم هو ، وأى مجدد بارع ، وأى نابغة

ويتمتع مطران اليوم بشهرة ، تكاد تكون عالمية . يعرفه أدباء العربية والمتأدبون فيها ، ويذكره المستشرقون . واسمه من ألمع الأسماء فى الشرق العربى، ويفوز بتقدير جميع من عرفه أو سمع عنه . واذا كانت شاعريته مصدر تلك الشهرة ، فان نزعته الانسانية مبعث هذا التقدير . وقد تجهل الكثرة الغالبة، من معارف مطران ومقدريه ، مدى شاعريته الواسعة وآفاقها المترامية . ولكنهم

جميعا يعرفون وفاءه ورقة سجاياه وطرافة حديثه . وقد استطاع بهذه السجايا الحميدة ، وبأخلاقه الممتازة الفاضلة ، أن يسترق القلوب فتجتمع على حبه

يتميز مطران بطبيعة سمحة السجايا، رحبة الجنبات ، واسعة أفق الشعور . وقد جعلته هذه الميزات انسانا اجتماعيا بأبعد مدى هذه الكلمة . وليس معنى الانسان الاجتماعى انه رجل صالونات فحسب — أى أنه رقيق الحاشية ، ظريف الحديث ، لطيف الطباع ، دمث الاخلاق ، وهو هذا جميعه — ولكنه يتعدى هذا الرجل الذى وصفناه الى انك تشعر ، وأنت فى مجلسه ، انه يملأ هذا المجلس بحسن مداورته للحديث ، وصواب توجيهه له ، وتساميه عن مبتذل القول ، وتضمينه أحاديثه توجيهات تسامى الى الخير العام والنظرات الصائبة ، وجمعه بين جد القول وعمقه ، وبين المداعبة والهزل . ينثر الحكمة الغالية ، والفكرة الطريفة حينا ، ويروى النكات اللاذعة ، ويقص النوادر المستملحة فلا تلبث أن تشعر انك أمام شخصية فذة عجيبة فى شتيت معارفها ، وواسع ثقافتها ، عليمة بنزعات النفوس ، وأسرار القلوب وضعف الانسان

ولم يكتف مطران بأن يكون رجل المجتمعات . فقد دلته نزعاته الانسانية، وتجاربه الواسعة فى الحياة ، الى ما يلقاه الشاب الناشىء من صعاب يجب تسهيلها، وعقبات يجب تمهيدها ، وما يعترض حياة بعض الاسر من ضيق وعسر يجب تفريجهما احتفاظا بسمعة الاسرة ، وصونا لمكانتها

فوقف مطران نفسه لمثل هذه المهمات . لا يسأل أمرا الا بادر الى تلبيته ، ولا يطلب منه عون الا بذله . وربما بادر الى مثل هذا السعى من نفسه غير مطالب به ولا مرجو فيه . يبذله لاى كان ، لا فرق عنده بين أبناء ملة وملة ، أو دين ودين . لأن طبيعته السمحة، وقلبه الرحيب، ينأيان به عن التعصب ،ويوجهانه الى الخير . لا يبغى من وراء ذلك جزاء ولا شكرا

فلا عجب اذا رأينا هذه الانسانية تنسرح على شعر الخليل ، فتوحى اليه أبرع الشعر وأجمله

وأول ما نلاحظه من هذه الناحية الانسانية ، خلو شعر مطران من الهجو . والهجو يعنى الحقد ، والخنق ، وفقدان العاطفة الانسانية ، والغيظ . وهو سلاح وضيع ، يثأر به الشاعر لنفسه من خصمه . وطبيعة مطران تسامى به فوق هذه الصغائر ، واتساع أفقه يجعله يتغاضى عن أخطاء أصدقائه ومعارفه ، ويتلمس لهم العذر

ولم أطالع له فى هذا الباب غير أبيات قلال فى « حكاية عاشقين » وصف فيها شخصا توهم أن من الخير لصاحبه أن يسعى بالقطيعة بينه وبين حبيبته، وكان وجيها سريا ، فعرض الشاعر به وبفعلته تلك فقال :

جزى الله اخوانا وشوا بى عندها فكانوا لسعدى حين تم عثارا
يسرون لى شرا ويبدون رأفة اكانوا اذن يبغون عندى ثارا

ولكنه لم يلبث أن عاودته طبيعته السمحة ، وسجاياه الكريمة ، فصفح عنهم فى أنفة حيث قال :

فصفحا لكم عما اقترفتم احبتى وتدرون انى ما صفحت حذارا

ولكن العواصف كانت تتجاذب الشاعر ، فتخرجه طورا عن نفسه ، ثم تعيده اليها طورا آخر ، لانه ، بعد هذا الصفح ، لم يلبث أن قذف أولئك الوشاة بهذين البيتين اللاذعين :

توهمتكم حينا كبارا بنبلكم فالفيتكم كالمجرمين صغارا
ولم يغن مال من مهانة سعيكم اتشرون خلقا بالنضار نضارا

وعندى أن هذا الشعر ليس هجوا بالمعنى المتواضع عليه ، بل هو تعريض بحالة انتابت الشاعر ، فنفس عن نفسه بصورة شعرية رائعة يلاحظها كل من طالع قصيدته التى عنوانها « تذكار » فى « ديوان الخليل » . ويجد مطالعو شعر مطران ذلك التوازن العجيب بين العاطفة والخيال ، وتحكيم العقل فيهما ، بحيث لا يجمح أحدهما بل ينسرح الاثنان فى صور شعرية متناسقة بديعة . ويرجع

أصل هذا التحكيم ، وذلك التوازن ، الى طبيعة الفنان الانسانية ــ هذه الطبيعة التى كثيرا ما حملته على كبت عواطفه ، وجعلته يهرب من نفسه الى الناس ، فيصورهم فى شعره ، ويتحدث عن النقص الذى يجده فيهم ، لعل من المستطاع اصلاحه ، ويصف ما لاقته الانسانية من ذل فى تاريخها ، حتى تتنكب مواقعه فى المستقبل وهو القائل :

لكن خفض الاكثرين جناحهم   رفع الملوك وسود الابطالا
واذا رأيت الموج يسفل بعضه   الفيت تاليه طغى وتعالى

يحس مطران كل ما فى الطبيعة الانسانية من نقص قوامه صراع بين شهوات النفس ونزواتها ، وبين المثل العليا التى يجب أن تسمو اليها ، ونضال بين قوى الشر وقوى الخير . ويعرف مطران قوة الشهوات ، وسلطان قوى الشر ، ويحاول أن يجد لها عذرا فى الجهل الذى كان يسود الانسانية ، وفى الذل الذى كانت تتمرغ به عن رضى واختيار . ولكنه ينتصر للمثل العليا ، ويعمل على تغليب قوى الخير

انظر كيف وصف عامة الشعب فى قصيدة « وقفة فى ظل تمثال لرعمسيس الثانى » فقال :

ورب سائمة بلهاء هائمة   تشقى وتهواه فى سر واعلان
يسومها كل خسف وهى صابرة   لا صبر عقل ولكن صبر ايمان
ان بات فى حجب بات الى نصب   يلوح منه لها معبودها الجانى
فبجلت تحت تاج الملك مدميها   وقبلت دمها فى المرمر القانى

كم راح جم فدى فرد وكم بذلت   فى مشترى سيد أرواح عبدان
لموقع الامر فيهم كل تكرمة   ومنفذ الامر فيهم كل نسيان

ثم يرى أن أصل هذا البلاء كان الجهل فيقول :

أن يجهل الشعب فالحكم الخليق به	حق العزيزين من وال وسلطان
أو يرشدالشعب يمس الامر فى يده	ولا اعتداد بأملاك وأعوان

وهو يعتذر عن الطغيان بهذا الجهل ، بل يتمناه لاصلاح الاخلاق وتقويم الناس :

ليت البلاد التى أخلاقها رسبت	يعلو بأخلاقها تيار طغيان
النار اسوغ وردا فى مجال على	من بارد العيش فى افياء فينان
بعض الطغاة اذا جلت اساءته	فقد يكون به نفع لأوطان

وقد علمنا التاريخ أن :

فى كل مفخرة تسمو الشعوب بها	تفنى جموع مفاداة لاحدان
كم فى سنىالكوكب الوهاجمهلكة	فى كل لمح لاضواء وألوان

ولا شك فى أن الخليل يرضى بهذا جميعه فى سبيل خير الانسانية ، وتقويم أخلاقه ، لان الفضيلة فى نظره أساس كل شيء :

ولم أر شيئا كالفضيلة ثابتا	نبت عنه آفاتالبلى والمعاطب

* * *

لست أدعى انى أحطت بما يقال عن نزعات خليل مطران الانسانية ، فيما تقدم ، ولكنها خواطر جالت فى نفسى حين طالعت نبأ تكريمه فرأيت سردها مشاركة للقوم فى حفلاتهم . ولا شك فى أن أصدقاء مطران وتلامذته ومريديه يشاركون بقلوبهم المحتفين بمطران ، ويحوطونه بعواطفهم وأدعيتهم ، أطال الله عمره وأبقاه

الاسكندرية　　　　　　　　صديق شيبوب

عبقرية مطران (١)

شاعر العروبة وزعيم رواد الشعر الحديث

أمس ـ السبت ٢٩ مارس ـ أقيمت بدار الاوبرا الملكية ، تحت رعاية جلالة مولانا الملك المعظم ، الحفلة الكبرى لتكريم شاعر الاقطار العربية الاستاذ الكبير خليل مطران بك . ولقد مثلت فى هذه الحفلة أمم الجامعة العربية ، وساهمت ، بتكريمها للشاعر العظيم ، فى الاعتراف بجهوده الادبية الرائعة التى ما انفك مدى ٥٠ سنة كاملة ، يبذلها فى مختلف النواحى ، فى سبيل نصرتها والتغنى بأمجادها القومية ، وتغذية نهضاتها الاستقلالية ، والاشادة بمواقف العاملين فى ميادينها بشعره الرفيع وفنه البديع

ان اسم خليل مطران ـ شاعر الاقطار العربية ـ يرادف على الدوام ، فى الشهرة الواسعة التى يتمتع بها ، وفى المكانة الرفيعة التى يحتلها فى الشرق العربى ، وفى المجد الذى ناله ، اسمى « شوقى » و« حافظ » فى عالم البيان . فهؤلاء الثلاثة ينتظمهم عقد واحد ، لأنهم طلعوا كالشموس الساطعة فى دنيا الفكر العربى ، بحيث أجمع المؤرخون على أنهم الأعمدة الرئيسية التى تركز عليها ونهض بها ، أدبنا الحديث فى نصف الجيل المنقضى والحاضر

ولقد تفرد كل من هؤلاء الشعراء الزعماء ، بناحية أعلت منزلته على الآخرين ، وكان نصيب مطران أن اختص بناحية العاطفة والوجدان ، فبز فيها سواه ، الى حد كبير

قضى مطران الشطر الاول من حياته وهو يعمل على ارساء حجر الاساس فى بنيان المدرسة الأدبية الحديثة . فظل يجاهد جهاد الابطال للخروج بالشعر العربى من الدائرة « الكلاسكية » الضيقة التى تخنق الروح فى جو الأماديح المصطنعة ، وتشوه جمال المعنى ، فى أفق الاحتشاد باللفظ الموزون ، والاهتمام

(١) نقلا عن جريدة الانذار



خليل مطران بك جالس الى مكتبه

بالكلمات الرنانة ، الى دائرة تنطلق فيها النفس محلقة مهومة ــ دائرة أشمل وأوسع ، تنظم فيها القصائد بحيث تكون كل قصيدة ، وكأنها وحدة منفردة بذاتها ، لها كيانها ، ولها شخصيتها .

ولقد وفق مطران فى ادراك هذه الغاية ، فمهد للنهضة الشعرية الحديثة ، وجعل الشعراء بمذهبه المتحرر ، ينفلتون من التقليد ، لأنه يفسد المعانى ، ويكلفهم الجهد والعناء ، واستطاع باطلاعه الواسع على التيارات الفكرية الحديثة فى الآداب الاوربية ، أن يمثل الطبيعة فى شعره ، وفى عاطفته ، أصدق تمثيل .. وأن يستنبط منها ، ومن جمالها الساحر ، الروائع الخالدات ، والآيات البينات

ولا يمكن أن يخفى على أحد ، أثر مطران ، ونزعاته الحرة ، فى هذه الناحية فكثيرون من شعرائنا المحدثين الذين برزوا فى السنوات الاخيرة ، يدينون له بالاستاذية ، ويعترفون بجميل توجيهه للشعر الحديث

ولم تقف جهود مطران الأدبية ، عند الناحية الشعرية ، بل أنها تناولت أدب « المقالة » فجددتها ــ اذ قضى مطران شطرا من حياته يمارس الصحافة . كما تناولت أدب القصة فرسمت للمتأدبين معالمه ، وخلقت لهم بما ترجمه من عيون الآثار لكبار عباقرة الغرب ، الأنموذج الحسن الذى يقتدون به ويستضيئون بنوره للوصول الى ما ينشدونه من الاغراض

والمتطلع فى أدب مطران ، وفى شعره يجده لم يترك ناحية فى الكون ، الا وأشرف عليها . فقد عاش حياته كلها ، مندفعا مع عواطفه ، مجاريا زمنه ، باذلا النصح لقومه ، ناعيا عليهم جمودهم ، مستحثا هممهم ... اسمعه يقول :

كنتم كبارا فى الحروب أعزة	واليوم بتم صاغرين ضئالا !
هم حكموه فاستبد تحكما	وهم أرادوا أن يصول فصالا !
تستقبلون نعاله بوجوهكم	وتعفرون أذلة أوكالا !

ان يؤتهم فضلا ، يمن ، وان يرم ثأرا يبـــدهم بالعـــدو قتالا !
ما كانت الحسناء ترفع سترها لو أن فى هذى الجموع رجالا !

ولمطران وطنيات رائعة ، فقد انخرط فى السياسة ، وساهم بشعره فى اذكاء الثورات التحريرية فى مراحل جهاد الأمم العربية لتحطيم القيود والاغلال .. اسمعه يتهدد الطغاة المستعمرين بقوله :

انا لنصبر ، حتى تستتم بنـــا تأديب ظلمك! أو نقضى مذلينا ؟
فزد مصـــائبنا حتى تنبهنـــا تكن حياة لنا .. من حيث تردينا !
صرنا حيارى سكارى من تخاذلنا وأسعفتهم يدانا فى تلاشـينا !

ولو شئنا أن ننتقل الى ما تطالعنا أشعار « الخليل » به من متعدد الأغراض لوجدنا كيف أبدع فى كل ناحية ، وكيف مثل الروح الانسانية فى «أخلاقياته» وفى « غرامياته » وفى « اجتماعياته » . ولا شك فى أن عاطفة مطران الملتهبة ، وخياله السامى ، كانا من وحى حبه الصادق .. فالحب عنده هو سر الوجود ، وهو العنصر الفذ ، الذى تتسامى به عبقرية الشعراء . على أنه كان فى حبه للمرأة مثال الرجل العف الذى يحترم تقاليد البيئة التى يعيش فيها .. اسمعه يقول :

وكم عرضت لى غانيـــات ، فعفتها وصنت ضميرى ، واللسان المشببا
وغال فـؤادى البين ، الا بقية .. قضى الحب أن أحيا بها ، فأعذبا . !

وقوله أيضا فى احـدى المناسبات التى اشـتد فيها التنازع بين بعض رجال الدين ، وهو يدل على تسامحه ويستهدف غاية سامية ، فى حياة البشر ، تنبههم الى أن الاديان والمذاهب جميعا انما تنتهى الى غاية واحدة ومصدر واحد : ــ

هذى المذاهب كلها دين الهـدى كأشعة الشمس افترقن الى مدى !
والملتقى فى مصـدر الانوار !
وأرادكم لتعلموا وتبشروا ... وأرادكم لتسامحوا ، ولتغفروا ..
ودعا الصغار اليه باستئثار !

وهكذا مطران فى جميع أشعاره وجدانى النزعة ، له شخصيته الواضحة، ولعل ذلك سر مجده الأدبى . ولا بدع فى ذلك فهو فى مقدمة مفاخر الشعر الحديث ، بل ولقد جاءت مترجماته لروايات « شكسبير » الاربع « هملت » ، و « مكبث » و « تاجر البندقية » و « عطيل » ولبدائع « كورناى » الثلاث ـ « السيد » ، و « سنا » و « بوليوكت » فضلا عما نقله الى العربية من آثار « راسين » و « هيجو » وسواهما من أدباء الغرب ـ آية فى دقة الاستعارة ، ورصانة الاسلوب ، وجمال اللفظ ، والأمانة فى رسم أدق خلجات النفس البشرية . ولا شك فى أنه زود ، بهذه المترجمات الرائعة ، العربية بخير زاد تشتهيه النفوس وتفيد منه العقول

وبعد .. فهذه خطوط سريعة لدراسة عبقرية مطران الشاعرية نقدمها فى مهرجانه كزهرة متواضعة ، وسط الاكاليل التى قدمها له فى حفلة تكريمه فحول الأدباء والشعراء من جميع بلدان العربية . سائلين الله أن يمد فى حياته، ليرى بنفسه غرس يديه فى حقل الادب والشعر الحديث وقد أينعت ثمارها ، وازداد على مرور الأيام ازدهارها ، مشيدة بما بذل فى تعهدها من جهد ورعاية، وما والاه بها من اهتمام وعناية ، آملة أن يهبه الله تعالى من القوة ما يجعله يواصل هذه الخدمات

القاهرة　　　　　　　　　　أسعد حسنى

الشاعر خليل مطران (١)

جسم نحيل معروق ، ونظرات لامعة أخاذة ، وصوت مبحوح لاهث من حنجرة صلبتها الأعوام الثمانون وقد ناهزها ، وهو بالرغم منها على أحسن ما يكون من اتقاد الذهن ، ومضاء العزيمة ، وخصب الانتاج

(١) نقلا عن مجلة الرسالة

يمتاز مطران بالخلق الكريم ، والحديث العذب ، والسعى فى الخير ، ثم بشاعرية فريدة فى نوعها

يعود خلقه الكريم الى أرومته الكريمة ، وتربيته الارستقراطية المترفعة ، والى نحيزة هادئة ترى المداورة والصبر والاتئاد فى التصعيد لبلوغ القمة خيرا من الانقضاض عليها كالنسور الجبارة

وهو محدث بارع ، ينضح من ينابيع غزيرة واطلاع ثقافى عام من أدب العرب والافرنج قديمه وحديثه . لا يتفلسف مع الفلاسفة، ولا يتعالم مع العلماء، ولا يشعل مصباحه للعميان . يعطى من أدبه بقدر حاجة الطالب ، ويهبط أو يرتفع وفق فهم السامع وادراكه . وهو عف اللسان ، نصير الغائب ، قليل الغضب ، كثير التسامح

من سجاياه سعيه للخير ، وهو يتراخى وقد يتكاسل فى السعى لخيره الخاص ، ولكنه لا يتوانى ولا يتقاعس فى السعى لفك ضيق ، أو حل مشكلة ، أو دفع نازلة ، أو ازالة خصومة ، أو تزويج فتاة من أية طائفة أو ملة كانت

يعطى المعوز ما يستدره من مال الغنى ، وينتزع الدراهم من الشحيح البخيل ، ويأخذ الدينار من السخى الكريم يقيل بها عثرات العاثرين

ما قامت جمعية للبر ، أو مؤسسة للخير ، أو دار للشفاء ، أو تألفت جماعة لعمل من الاعمال الا وكان مطران من أوائل القائمين بها . وما نشأت بين السوريين واللبنانيين منشأة الا وكان مطران من الساعين الى انشائها ، وما شجر بين الطامعين أو بين محبى الظهور شجار على عضوية فى مجلس، الا وكان مطران أول المتنازلين عن الرئاسة أو العضوية حبا باحلال الوئام محل الخصام

هو ذا مطران الانسان وقد حدد أمنيته فى الحياة بقوله : « أمنيتى أن أجتاز طريقى دون أن أسىء الى أحد »

مشى مطران وشوقى وحافظ فى جادة أدبية واحــدة . وما لبث أن سلك كل منهم مسلكا خاصا به . وأزعم أن لا مناص لمن يتصدى لدراسة شعر مطران عن معالجة أربعة أنواع من الشعر انفرد بها وحده دون معاصريه من الشعراء

الاول : شعر المناسبات ، وينطوى فيه تاريخ حقبة من الزمن تبتدىء فى الربع الأخير من القرن الماضى تشمل الأحــداث الاجتماعية والشخصية والفردية

الثــانى : الوصف ، وفيه صــورة تريك الموصوف كما يرأه خالقه وكما كيفته الطبيعة حسا ومعنى

الثالث : التحليل ، وهو ملاحم كبرى خص بها عظماء التاريخ وشعوبه وما كانوا عليــه من صفات وخلائق وســجايا ، وما فى فطرتهم من ظلم وجور وطغيان

الرابع : ابراز أقيسة اللغة ومقادير ثروتها فى المفردات للتعبير عن ملكات النفس

تجمع لمطران من شعره ما يملأ سبعة دواوين معدة للطبع ، منها واحد للأراجيز فى أدب النفس . وترجم عن الفرنسيــة ثلاث عشرة رواية تمثيليــة لشكسبير وراسين وكورنيل وهيجو . وترجم أيضــا كتــاب « الموجز فى علم الاقتصاد » فى خمسة أجزاء ، وألف كتاب « مرآة الأيام فى التاريخ العام » . ولم تخل صحيفة خلال هاتيك الأعوام ، على مر الأيام ، من بحث أو درس أو تقريظ أو نقد لمطران . وما نصب منبر فى مجمع للأدب أو للخير لم يعتله مطران الخطيب المفوه

هو ذا شاعرنا الذى تحتفل به الأمم العربية اليوم فى مصر . وهذه لمحات خاطفة من أدبه الخالد وخلقه الكريم

القاهرة حبيب الزحلاوى

من مقال للدكتور زكى مبارك

في جريدة البلاغ بعنوان « الحديث ذو شجون »

لبنان هو الوطن الأول للشاعر العظيم خليل مطران ، فلا غرابة فى أن يهتم به أبناء وطنه الأول فيجمعوا سبعة آلاف من الجنيهات لطبع آثاره الشعرية والنثرية

ليس عندى جديد أقوله فى شاعرية مطران بعد الذى قلته فى كتاب الموازنة بين الشعراء ، ولكن الجديد هو تصوير حياته الروحية

مطران هو الأديب الوحيد الذى عاش بدون أعداء .. اذ لم يشترك يوما فى معركة قلمية ، ولم يبت ليلة وهو حاقد على فلان أو فلان

فى حياة هذا الشاعر جانب مجهول . فما هو ذلك الجانب المجهول ؟

كان يؤاسى الادباء البائسين بأسلوب لطيف . فقد تأصلت فيه معانى الابوة الادبية ، ولولا الخوف من جرح شعوره لذكرت شواهد من هذا الجانب الجميل

وقد جزاه الله فأراحه من متاعب دنياه ، فعاش عزبا يجهل المصاعب التى تنشأ عن الازواج والابناء ، وهى مصاعب تزلزل الجبال

وهو فى ملابسه رجل بسيط ، يجهل التأنق كل الجهل ، لان الزينة عنده هى فى الروح لا فى الثوب

التأنق عند مطران هو فى الاسلوب البيانى ، انه اسلوب مجنح بألوان من روائع الخيال

قرأت فى مجلة الرسالة تفصيلا لما سينشر من آثار مطران ، وليس فى تلك الآثار اشارة الى مقدمة « وردة » وهى رواية ترجمها المغفور له محمد بك مسعود عن الفرنسية ، وكانت فى الاصل باللغة الالمانية

لقد تجلى أسلوب مطران فى تلك المقدمة الى أجمل حدود التجلى ، فجعلها فتاة تتمخطر فى الدمقس وفى الحرير

والمعـروف أن مطران كان مفتونا بالشـاعر العاشق الفريد دى ميسيـه ، ولكننى عرفت فتنة ثانية تخفى على جماهير القراء ، وأكاد أقول انها تخفى عليه ، وهى تأثره بالكاتب الفنان شاتوبريان

* * *

وفى قرار اللجنة أنها مترددة فى طبع كتاب « الموجز فى علم الاقتصاد » وقد ترجمه عن الفرنسية بالاشتراك مع شاعر مصر العظيم حافظ ابراهيم

وأقول ان هذه الترجمة تثير ذكريات غاليـات . فهى بايحـاء من وزير للمعارف كان أعظم وزير بعد سعد زغلول ، وهو احمد حشمت ، وقد أمر بطبعه وتوزيعه على جميع الطلبة بالمدارس العالية

وقد عاش حشمت باشا الى أن بلغ من الكبر عتيا . وحين مات رثاه حافظ ابراهيم بقصيـدة باكية نشرتها جريدة المقطم الغراء ، وهى غير موجودة بديوان حافظ الذى نشرته وزارة المعارف

القصيدة ضاعت منى ، وقد أجدها بعد حين

* * *

كنت مبتـدئا فى تعلم اللغة الفرنسية حين قرأت كتـاب « الموجز فى علم الاقتصاد » فراعنى أن أرى تفاسير تغيب عنى ، مع اننى كنت من الاذكياء

على سبيل التمثيل أذكر كلمة Tenaille وترجمتها باللغة العامية (كماشة) ولكن الترجمة عندهما (ملزمة) بكسر الميم وسكون اللام . وقد قالا فى الهامش انها من لزوم الغريم للغريم ، والترجمة الصحيحة عندى هى كلمة « العضوض » بفتح العين وضم الضاد ، والغريم يعض غريمه حين يغتاظ

ولأول مرة أصحح خطأ فى الترجمة لشيخ المترجمين خليل مطران

* * *

ان الترجمة مزخرفة زخرفة عجيبة وهذا غير مقبول فى شرح علم الاقتصاد

ولكن يجب أن نعرف الموجب لذلك الزخرف

قامت فى مصر دعاية أجنبية للكتابة باللغة العامية . فكان هـذان الرجلان من أنصار اللغة الفصيحة . ولغة العرب الفصحاء تميل الى التأنق ، وهو أجمـل العيوب ، وعيب الورد أنه أحمر الخدين !

* * *

ولكن الفصاحة انتقلت من عهد الى عهود

فالشاعر حافظ ابراهيم أخذ ينظم الشعر بأسلوب هو المطمع الممتنع

والشاعر خليل مطران لان فهنأ « أم المحسنين » فى احدى عوداتهـا من استامبول بقصيد يبتدىء بهذا الشطر الجميل :

يا دار أهلك بالسلامة عادوا

ولو قال هذا البهاء زهير لاستكثرناه عليـه : البهاء الذى يقول وقد تلقى سلاما من صديق

جاءنا منـه سلام   ســلم الله عليـه

والذى غضب فقال :

ملكتمونى رخيصـا   فانحط قدرى لديكم
فاغلق الله بابـا   دخلت منـه اليكم
حتى ولا كيف أنتم   ولا الســلام عليكم

كان مطران بك رئيس الاحتفال الذى أقيم لتكريم صاحب « النثر الفنى »

فهل ألقى خطبة فى ذلك الاحتفال ؟

لم يلق خطبة ، وانما أنشد أبياتا من شعره البليغ ، وسأتشرف بجعل تلك الابيات مقدمة لديوان « ألحان الخلود »

ما دعانى أحد الى الاشتراك فى تكريم الشاعر خليل مطران ، وأغلب الظن أن المحتفلين بتكريمه لاحظوا اننى غريم السنهورى باشا وهو أول خطيب فى الاحتفال

ان الأدب الصحيح هو الباقى

ومطران قرأ وسمع ما قيل فيه من أشعار المصريين واللبنانيين ، فليقرأ فى جريدة البلاغ ما قلت فيه ، وسيراه أطيب ما قيل فيه

أكرموا مطران أو لا تكرموه جل قدر الشعر عن هذا الثناء
للفتى يبقى من المجد أخوه وهو ما أصدر من وحى الذكاء

* * *

شاعر خلد مجد العرب بسطور كشذور الذهب
وأديب جاز بحر الادب سابحا فوق متون الشهب

* * *

ما له فى وده الصافى مثيل من هنا سماه أهلوه « الخليل »
وعظيم كل ما فيه جميل كالبيان العذب فى المغنى النبيل

* * *

ثم ؟ ثم ماذا ؟

ثم يبقى الرد على اللبنانيين ، ويرد عليهم ملك الشعراء فيقول :

الشعر فى مصر فليسكت أخو غرض يقول ان ثراه أرض لبنان
لولا سنى مصر فى لألاء طلعته ما كان يوما تبدى نجم « مطران »

اللهم أحيني الى أن يظهر ديوان « ألحان الخلود » ، فسنعرف : لمن الشعر اليوم ؟

كان مطران شاعر القطرين ، ثم أضفى عليه الدكتور على العناني لقب « شاعر الاقطار العربية » لانه خليفة حافظ وشوقى ، ثم جادت عليه الايام فى شيخوخته فصار شاعر لبنان !

القاهرة زكى مبارك

خليل مطران كما عرفته

منذ نيف وسبعة وسبعين عاما شهدت مدينة بعلبك الخالدة ذات المجد التليد، وباعثة المجد الجديد ، وليدا باركته يد القدرة ، ومسحت عليه يد المسيح المطهرة فوهبته النماء ومنحته الخلود

وكان البيت الذى وهب هذا الوليد ، هو بيت المطران ، راعى كنيسة المسيح ، وخادم بيت الرب . فتفتحت عيناه على مواكب الخير تحف بهذا البيت ويرسلها هذا البيت هدايا للقلوب الكسيرة، وبلسما لكل جريح عضه الزمان بنابه

وغدا الوليد غلاما يفقه ما حوله ، ويدرك كنه هذا الخير وما يبعثه فعل الخير من رضى عن النفس ، واطمئنان ينعم به القلب . فبدأ حب الخير يتسرب الى قلبه الغض ، ثم يغدو شجرة ذات فروع وأغصان ، امتد ظلها ما امتدت حياة حاملها ، حتى تفيأه كل من نعم بالوصول اليه ، من كل جنس ولون ، ومن كل دين ومذهب ، لا تفرقة بين ذى قرابة وبعيد ، ولا بين محمدى وعيسوى وموسوى . بل هو الخير للخير ، والانسانية تضفى ظلالها على كل من تقله الارض . وتلك هى الانسانية العالية فى أسمى مراتبها وأعلى ذراها



حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية يقلد خليل مطران بك نشان الاستحقاق اللبنانى المذهب من رتبة « كومندور » الذى أنعم به عليه فى سنة ١٩٤٥ . وقد ظهر فى الصورة إلى اليمين حضرة صاحب الدولة سامى الصلح بك (رئيس مجلس الوزراء فى ذلك الحين) وإلى اليسار حضرة السيدة عقيلة فخامة رئيس الجمهورية

في تلك البيئة النبيلة ، التى تحدرت نبعتها من أولئك الغر الميامين ، أبناء مارية الكريمة [1] ، وعلى حصباء تلك المدينة الفواحة بشذى الازهار وعبق الورود ، درج « الخليل » . فمن هذه اكتسب حب الخير ، ومن تلك تعشق الجمال ، ومنهما معا جاشت نفسه بما يعبر عن الخير والجمال ، وهل لهما من ترجمان سوى الشعر

آمن الخليل بالخير والجمال والشعر، وهل ينتج الايمان بها الا الايمان بواهب الخير والجمال ، ومعلم البيان للانسان ، وهل يكون الايمان به الا أن يشيع الامن والسلام والطمأنينة حيث حل ذلك المؤمن . . ؟ أجل آمن الخليل بهذا الوهاب، وكان هو ذلك المؤمن الذى تؤمن فى كل الاحوال بوائقه ، والذى يرفرف أينما حل علم السكينة والايمان . ومن هنا كان الانسان الكامل وحسب

ودفع بالخليل الى المدرسة ، وعلى يدى جهابذة لغة العرب من آل اليازجى، عب من لبابها ما شاء له النهم العقلى الى المعرفة أن يعب ، وأخذت آلهة الشعر توحى اليه رسالاتها ، وهو يصوغها ألحانا تهز سامعها ، ولو انها فى ذلك النطاق الذى ضربه لها الاقدمون . وما هو الا أن أرسل بواكير ألحانه يردد بها صدى من حوله من أبناء وطنه الذى ضربت عليه الذلة من نير الحكم الغاشم ، حتى توعده القائمون عليه بما يحرم الدنيا من صدى ألحانه . فترك مسقط رأسه خائفا يترقب حتى جاوزها فى طريقه الى ديار الغرب ، حيث شدا لغة القوم ، وتثقف من فنونهم المترفة ما شاء له الحظ . ثم عاد الى الشرق واتخذ من وادى النيل مراحا ، ومن أرضه مأمنا مما كان يتوقعه فى مسقط رأسه من أذى . وشاء القدر لمصر أن تتفتح تحت أشعة شمسها المشرقة هذه العبقرية الخلاقة

عاد الطائر المحلق الى العش الامين، وكان يضم أربعة بلابل تتبادل اللحن

---

(١) ينتسب الخليل الى اسرة الغساسنة التى حكمت جزءا كبيرا من بلاد الشام ، كما حدثنى بذلك

أو تنشده موقعا ، فما هو الا أن غدا خامس الاوتار ،ولا بد أن يكون ختام اللحن والا كان « نشازا »

ولكن الطائر القوى الصدر ضاق بهذه الالحان المحدودة ، وهـذه الانغام المكررة ، ولا بد أن يحدث نغما جديدا يرضى عنه، ويوائم ما فى رأسه من شغف بالمعرفة ، وما فى نفسه من شعور بالفراغ ، ويؤدى عنه ما يشعر به من ثورة واضطرام . واذن لا محيص له عن أن يقتنص الفريسة اقتناص القوى الأيد ، ولكن هل ينشب مخالبه فى أى مكان من جسمها ، وليكن ما يكون ؟

كلا ! انه يحرص على سلامتها اذ هو لا يريد بها عطبا ، وانما يريد أن يهذب ما تشعث من ريشها ، وان يزيدها جمالا وقوة ، فليكن تشذيبا هنا، وتجميلا هناك ، وتغذية بما كشف عنه العلم من ألوان الاغذية المفيدة الناجعة ، بمقدار ما تسع طاقتها وتهضم معدتها

تلك كانت حالة الشعر والبيان يوم طلع الخليل على رجال الشعر والبيان ، وكان هذا موقفه منهم . أربعة من الاساطين : البارودى ، وشوقى ، واسماعيل صبرى ، وحافظ ابراهيم يتداولون المواقف بينهم أو يشتركون فيها جميعا ويفوزون بالتقدير والثناء فى كل حال .فهل يستطيع الخليل أن ينهج غير ما هيأوا له الاذهان من نهج ، وان يشق طريقا جديدا يجعل الشعر ترجمانا للعصر ومعبرا عن عقليته ، وهل يستطيع النبى الجديد أن يؤدى رسالته من غير أن يثير على نفسه العواصف والاعاصير . . .؟

أجل ! استطاع ذلك ، ولكن فى هينة ولطف وحسن مدخل ، لا فى تهجم وعنف وهدم . ولكن ما هى هذه الرسالة ، ما حقيقتها وأغراضها ، ما مداها وحدودها فى الشعر وفى النثر . . .؟ فلندعه هو يبين لنا ذلك بقلمه فى مقال بعنوان « التجديد فى الشعر » نشر بمجلة الهلال عدد نوفمبر سنة **١٩٣٣** قال :

« أردت التجديد فى الشعر منذ نعومة أظفارى ولقيت دونه ما لقيت من عنف

ومناوأة . وليس هنا محل وصف للآلام التى عانيتها ، ولا للبواعث التى انبعثت منها نوازع الذين حاولوا قطع السبيل على بضع سنين

« أردت التجديد فى الشعر وبذلت فيه ما بذلت من جهد عن عقيدة راسخة فى نفسى ، وهى أنه فى الشعر ، كما فى النثر ، شرط لبقاء اللغة حية نامية . على أننى اضطررت ، مراعاة للاحوال التى حفت بها نشأتى ، ألا أفاجىء الناس بكل ما كان يجيش بخاطرى وخصوصا ألا أفاجئهم بالصورة التى كنت أوثرها للتعبير لو كنت طليقا . فجاريت العتيق فى الصورة بقدر ما وسعه جهدى وتضلعى من الاصول واطلاعى على مخلفات الفصحاء . وتحررت منه ، وأنا فى الظاهر أتابعه بنوع خاص من الوصف والتصوير ومتابعة الفرص . وبهذه الطريقة مهدت للجديد قبولا فى دوائر كانت ضيقة ، ثم أخذت تتسع الى وراء ظنى وتستمر فى الاتساع بحكم العصر وحاجاته ، والعلم ومقتضياته ، والفن ومستحدثاته » الى أن يقول :

« أريد أن يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا فى مختلف أنواع رقيه

« أريد ـ كما تغير كل شىء فى الدنيا ـ أن يتغير شعرنا ، مع بقائه شرقيا ، مع بقائه عربيا ، مع بقائه مصريا ، وهذا ليس باعجاز . . . »

هل رأيت كيف يقرر انه كان يجارى العتيق فى الصورة ويتحرر منه وهو فى الظاهر يتابعه بادخال الجديد من الوصف والتصوير وعدم التزام القافية الواحدة وادخال فنون القصص والملاحم وغير ذلك ، حتى لا يجرح أحدا أو يثير على نفسه العواصف ؟

انها حصافة « الخليل » وطبيعته الهادئة الصافية التى تعرف كيف تصل الى ما تريد . وانه الدأب على تطبيق هذه المقاييس فى شعره مع بقائه شرقيا وعربيا ومصريا ، وانه اذن الاعجاز . . . .

اذن هذه رسالته فى الشعر ، وتلك غايتها وأغراضها وحقيقتها التى جاهد لابلاغها زهاء نصف قرن من الزمان أو يزيد . ولقد قر عينا بأن رأى رسالته تثمر ويشهد بواكير ثمرها ، ولا ريب انها على الايام ستزداد وضوحا ونضوجا واشراقا

واللغة ، ماذا يرى الخليل فيها وما هى رسالته اليها ؟ اسمعه يقول هو بنفسه أيضا :

« . . . أنا متمن كل التمنى أن تصبح لغتنا فى شعرها وفى نثرها صالحة لضروب التعبير السليم قاطبة . أريد ألا أعتذر لنفسى ، وبالأحرى الى غيرى ، ان هذا وذاك من أنواع البيان غير ميسور الآن فى اللغة التى كانت ـ وما أجدرها أن تبقى ـ أم اللغات أو أشرف اللغات كما نقول متباهين

« أريد أن أستطيع تصوير كل دقيق وجليل من معانى النفس أتعميما كان أم تخصيصا

« أريد أن أستطيع الكتابة الى عميلى فى أى بلد عربى ، أصف له بلسانى العربى أداة ، أو نسيجا ، أو مادة بسيطة أو مركبة من أى جنس ومن أى لون ، أو من أى مزيج من الاجناس والألوان وأجزائها ، فيفهمه بعينه ويبعث به الى ، ان كان تاجرا ، أو يستصنعه لى ان كان مستصنعا . . . » . الى أن يقول :

« أريد ألا أشهد الآيات الباهرات يتحفنى بها عصرى ، وأنا كأننى بمعزل عنه ، ولا شغل لى ازاءها الا أن أرجع بعقلى الى ما كان لألف سنة خلت ، وان أحس كما أحس القوم فى تلك الحقب . وألا أكون ، اذا أقدمت وأدمجت شيئا من محدثات أيامى فى كلامى المصبوب بقوالب تلك الايام ، كمن جرؤ جرأة شبيهة بالكفر ، وكمن يكلف الامة العربية من الهمة لمجاراة زمنها ما هو ضد طباعها »

لقد أبان لنا في هذه الفقرات رسالته في اللغة واستعمالاتها ، وأبان أنه يرى أن يدخل في اللغة ما يوائم العصر من محدثات، ولو لم يستعملها الاقدمون . وتلك حقا وثبة جريئة من وثبات الرجل الذى مارس القلم ، وعانى مشقة الكتابة فى هذه الايام . ولم يقف عند هذا فحسب ، بل امتدت رسالته الى تحديد رسالة الأديب . فاقرأ ما يقول :

« وخلاصة مذهبى فيما أريده ـ وهو لا يختص بالشعر بل يتناول ضروب البيان ، بل يشمل ضروب وسائل المعاش بمعنى المعاش الراقى البالغ غاياته من جهة سمو الاخلاق وبدائع الطرف الحية والمعنوية التى تستمتع بها فعلا وينكر بياننا ان لنا بها صلة ـ خلاصة مذهبى اذن هى أن تتعلم أيها القارىء أولا لغتك ، وان تتمكن منها كل التمكن ، وان تستذكر منها كل ما فى مفرداتها وتراكيبها وأساليبها السليمة الفصيحة من شائق ورائق ومطرب جميل ، وان تمثل هذه المادة تمثيلا ثم تحملها وهى مصهورة الى معملك الاسمى وهو ذهنك ، فتفكر وتبتكر وتحدث سببا صحيحا كريما لتكليفك الناس ان يقرأوا شعرك ونثرك . والا فان لم تكن الا محاكيا فما حاجتهم اليك ، والسابقون أفصح منك لسانا ، وأبلغ بيانا، وأقدر على التصرف فى لغتهم الطبيعية التى أخذوها بالرضاع ؟ »

فهل وفق مطران فى تطبيق نظرياته فى النثر كما وفق فى الشعر ؟

لقد قام بتدبيج المقالات والفصول فى شتى الموضوعات ، وبترجمة العديد من الكتب والروايات من مختلف اللغات . فكان فى انشائه شاعرى اللفظ ، رائق الديباجة ، جزل المعنى ،خبيرا بمستجاد السبك .وفى ترجماته ،السرى الذى ينفق فى سخاء ،مكنونات صدره ، وبديع لفظه، فى دقة الصيرفى الذى يزن كريم معادنه أدق وزن، لا تميل معه كفة على كفة ، ولا تجور معه لغة على لغة . ولولا خشية الاطالة لنقلت اليك مقطعات منها لتتذوق الجمال بنفسك،وتدركه بحسك . ولكنى أرجو أن يطلع القراء على جميع آثاره قريبا ان شاء الله ، ويومئذ يرون أن الخليل صاحب رسالة أدبية انفق عمره ، ونرجو أن يمد الله فيه ، ليشهد

رسالته تمتد وتمتد حتى تشمل جميع البلاد العربية ، وتشمل ضروب البيان ، ووسائل العيش الراقى البالغ غاياته من سمو الاخلاق وبدائع الطرف

هذا هو «الخليل» فى انسانيته وايمانه ، وحبه للخير كما عرفته ، وخطوط سريعة تبين كنه رسالته لأبناء أمته ، ورأيى فى أدبه كما فهمته

الاسكندرية حبيب المعوشى

خليل مطران وأخلاقه

لمريدى مطران العديدين ، واخصائه الذين عاشروه عن كثب ، وعرفوا النبل الكريم من خلقه ، فضلا عن أدبه الذى ذاع وملأ الاسماع - لهؤلاء الحق ، بل عليهم واجب المساهمة والاشتراك فى حفلة تكريمه بمثل ما لأئمة البيان من الحق فى التغنى بأدبه. فلكل من الأدب والخلق سموه وعظمته الخاصة. فمتى تلاقيا وتصاحبا معا غير منفصلين فهناك العبقرية الحقة والنبوغ الصحيح . وقل من يعرف أخلاق مطران بقدر مايعرف من أدبه وذلك لأن الخلق الطيب، كزهر البنفسج ، لا يكون الا متواضعا محتجبا ، لا يفوح أرجه الا للاقربين . فى حين أن الأدب يشع نوره وضاء ، وينتشر فى الآفاق يدوى مرددا على الألسنة والاقلام

أفيصح أن يقام هذا المهرجان لتكريم مطران دون وفد من اخوانه وأصدقائه الاصفياء ،فيرسموا صورة صادقة لما انطوت عليه نفسه من نبل وفضل يجعلان الانسان كاملا ؟ اذ لا يكفى أن يكون الرجل شاعرا من الطراز الأول ليكون عظيما ، بل هى الاخلاق التى تخلع عليه طيلسان العبقرية والمجد ليكون مثالا يحتذى

فما أنا محاول اذن الكلام عن مطران شاعرا ، ناثرا أو محدثا . فهذا ولابد

مما يتكفل حملة القلم بوصفه ، وسرد ما أنتجه وأبدعتـه تلك العبقرية ، وذلك الذهن الخصيب ، والخيال الواسع . وهم ولا شك مضفرون من غرر النثر ، ودرر الشعر ، ما ينعقد اكليلا باهرا على جبينه ، وذكرا خالدا على مر الأيام

ولمطران جوانب متعددة هى محل الاكبار والاعجاب . وكلها جديرة بالاطراء والاطناب . الا أن ذلك كله لا يكون موفى حقه ان خلا من الاشادة بأخلاقه الكريمة ، وشمائله الغراء ، وسجاياه الحميدة ـ وأخص منها بالذكر : صداقته ، ومروءته ، ووفاءه ، واسراعه الى صنع المعروف ، وثباته على العهد

ولا أحسب أن فى المجتمع المصرى من أجمعت القلوب على حبه واحترامه أكثر مما خص به مطران . وما كان له أن يحتل هذه المكانة العليا لأدبه فحسب، لولا ما صحبه من أخلاق ما غيرتها تقلبات الأيام ولا عبثت بها الأحداث . والحقيقة أنه ما سمى « مطران » باطلا ، فهو عن حق حبر من أجل الأحبار فى معبد الأدب والاخلاق

عاصر مطران مصر نصف قرن ونيفا ، وشهد أقسى حقبة من تاريخها الحديث فتألم لألمها ، وآسى جراحها ، وأورى زناد شعره لاستفزاز الهمم ، وبعث النشاط والرجاء فى الصدور . ولا أدل على أخلاقه من هذا الوفاء لمصر أولا فما انقطع له ـ وهو البلبل الصداح فى هذا الوادى ـ عن التطريب فى كل مناسبة قومية . يضرب على أوتار قيثاره فيسمعنا أنغاما تشنف الآذان ، وتسكر الألباب والأذهان. فتسمعه تارة مغردا مطربا فى أفراح مصر وأعيادها،مشجعا مثيرا للهمم فى مظاهر الحماسة الوطنية ، راثيا شجيا فى ساعات الحزن والأسى . وتارة مؤبنا باكيا للراحلين من رجالات مصر . انه القلب النابض لكل اختلاج من اختلاجات مصر ، واللسان الناطق بأفصح بيان . وقد ظل على عهده هذا ، لم تفتر له عاطفة ولا ذهن ، ولا تطرق اليه الملل . ولئن نالت الايام شيئا من ظاهر غمده ، فما هى نائلة أبدا من غربه وحده

ولا يقتصر وفاء مطران على مصر التى اتخذها وطنا ثانيا له، وكان من أبر أبنائها ، وأعلقهم بحبها ، وأشدهم تفانيا فى خدمتها . بل هو وفاء شامل بحيث لا ترى له الا كل حبيب . فما صادق الا كان وفيا كل الوفاء ــ وما أكثر محبيه وأصدقاءه . ما قصده أحد بشفاعة أو وساطة الا سعى لها ، جاهدا عاملا ،حتى يتحقق المطلب وينجح المسعى . وهو فوق كل ذلك أبى النفس ، عف اللسان والقلم . لا ترى فى شعره أو نثره بيت هجاء واحـدا ، ولا تسمع فى حديثـه كلمة نابيـة . ولا أتحـدث عن مروءته ، ونجدته ، واصطناعه المعروف . فهو وحـده أشـبه بمعهد خيرى قائم بذاته . له ولع فى صنع الخير ، واغاثة البائس الملهوف يدفعه الى استنداء أكف المحسنين الكرام ، لينفق ما يجمعه ، فوق ماله الخاص، على قاصدى بره ورفده .وله فى هذه المواقف أعمال خفية، لو نشرت، لفاح منها أزكى عطر ولعادت عليه بأطيب الاحدوثة والذكر

وبالجملة فان من أخلاق مطران ، مضافا اليها أدبه ، ما يكون صحيفة مجيدة باهرة . بل يؤلف طاقة من أبهج الازهار وأعطرها شذا وأرجا . وهى الضمينة باحلاله فى الصف الأول من أفاضل الناس ، وفى الصدر من ندوة النابغين

واذا كنت قد آثرت الكلام عن أخلاق مطران ووفائه ، وصدق اخائه ، وسلامة طويته ــ فضلا عن حلمه وسعة صـدره ، وما يتسق مع هذه الخـلال والصفات ــ فما ذلك الا لمـا بيننا من أواصر ود قـديم مكننى من الاتصـال به ومعرفته المعرفة التامة والوقوف على حقيقة نفسه . وهو ود يرجع الى عهد بعيد، أيام كنا نجلس على مقعد واحد للدراسة وفيها سمعت مطران ــ وكم زهرة الحياة لم يتفتح بعد ــ يقرض الشعـر فيدهش الـكل . ثم فرقت بيننـا الأيام وعدنا فتلاقينا . فكانت صـداقتنا ، وقد بدأت منذ الصبا كالخمرة المعتقة ، لا تزداد مع الزمن الا طيبا وجودة . فما تغير خلال هذه السنوات الطوال جانب من أخلاقه ولا غشى ذلك الود الصافى سحاب ولو رقيق . ولا تراخى وفاؤه ، ولا اعترى صداقته فتور أو وهن . بل كان ولا يزال على حد قول المتنبى

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وبعد فلا يسعنى أيها الخليل الحبيب ـ وأنا صديقك ـ ولكم أعتز بهذا النسب ـ بعد ما قطعنا مراحل العمر متحابين متصافيين ، الا أن أهنىء نفسى على أن مد الله فى أجلى حتى استطعت أن أشهد حفلة تكريمك هذه ـ وكرام القوم حولك يرتلون لك آيات التقدير والثناء ، ويتوجون جبينك بالاكليل المعد للمجلين فى حلبة الجهاد والعمل ، النافعين بآثارهم وانتاجهم . فتنال بذلك جزاء ما أديته لهذا البلد الكريم الأمين من خدم جليلة . وهل بعد هذا جزاء خيرمنه، يطوق عنقك بقلادة من فخار ويضمن لذكرك البقاء

هنئت وعشت طويلا ، رافلا فى ثوب العافية الكاملة ، والسلامة الدائمة . وعاشت مصر الوفية العارفة أقدار رجالها العاملين ، راتعة فى رياض الأمن والمجد والعلاء فى ظل مليكنا المفدى فاروق . أدامه الله رمزا مسعدا للبلاد ، وجعل ملكه عالى الشأن ، موطد الاركان ، رفيع العماد باذنه تعالى

رمل الاسكندرية حنا سركيس

خليل بك مطران والاسكندرية (١)

فى مساء يوم الاربعاء ، بينما كان خطباء حفلة النادى السورى يحتفون بالخليل ويكرمونه ، كنت أنظر اليه محاولا أن استشف من وراء هذه الشيخوخة الجليلة صورة ذلك الشاب الذى جاء الاسكندرية ، منذ خمس وخمسين سنة ، عامر القلب بأحلام الشباب ، وثاب الروح ، صادق العزيمة ، واسع الآمال ، وطيد الثقة بمستقبله . واستبدت بى هذه الفكرة حتى ألهتنى عما قيل فى تلك الحفلة . وتمثلت مطران فى برد الشباب براق العينين من وراء منظاريه ، ناضر

(١) نقلا عن جريدة البصير

المحيا ، واضح القسمات ، ضامر الجسم نحيله ، تهتاج نفسه ثورة على الاستبداد الذى عرفه فى وطنه الاول ، وشهد آثاره ، وكاد يذهب ضحيته حتى اضطر الى مغادرة مدينة بيروت هربا من طغيانه .. فسافر الى باريس . وفى طريقه اليها نزل بالاسكندرية . فكانت الاسكندرية أول أرض مصرية وطأتها قدما الشاعر الشاب

وفى الاسكندرية ، رأى خليل أن واجبه أن يتشرف بمقابلة المتبوىء أريكة مصر ، البلد العربى الناهض ، موئل الاحرار ومحط رحالهم . فتقدم الى المرحوم سليم بك تقلا راغبا اليه فى أن يهيىء له وسائل هذه المقابلة ، ففعل

وتابع خليل سفره الى باريس وكانت باريس فى ذلك الحين مقصد رجال الحركة الوطنية التركية ، ومريدى الاصلاح للدولة العثمانية ، والناقمين على الاستبداد الذى كان السلطان عبد الحميد يحكم به دولته . وأكبر الظن أن مطرانا اتصل بتلك الاوساط . وكان لعبد الحميد جواسيس وأرصاد على أولئك الرجال . فبثوا العيون على مطران حتى ضاق بهم ذرعا ، وثقلت عليه باريس وقرر النزوح عنها . وكان أمامه وقتئذ طريقان . اما السفر الى أمريكا الجنوبية، حيث الحياة بين أغراب عن جنسه ، والعمل على جمع الثروة واكتساب الغنى والجاه ، واما العودة الى مصر ، حيث الحياة فى بلد عربى ، والتوفر على خدمة العرب واعلاء شأن العروبة

وعاد الخليل الى الاسكندرية ، فاذا هى أول بلد مصرى كان مسرحا لنشاطه العقلى والصحافى ، وفيها شرع يؤدى رسالته الأدبية العالية

تعترض حياة جميع الناس حوادث قد تبدو ضئيلة القدر فى مظهرها ، ولكنها توجههم فى الحياة وتشق لهم الطريق الذى سينهجونه فيها

وصل خليل مطران الى الاسكندرية وهو لا يدرى بعد أية وجهة يتجه اليها فى حياته . ولعل الاشتغال بالأدب والصحافة كان أبعد مناحى العمل عن

ذهنه . وعندئذ جرى الحادث الذى يعد حاسما فى حياة مطران

كان نعى المرحوم سليم بك تقلا قد انتشر بالاسكندرية حين بلغها الشاعر الشاب . وكان أخوه المرحوم بشارة (بك) تقلا قد اعتزم اقامة جناز عن روحه . ويقول مطران انه كان لسليم بك عليه « أياد ومنن » وانه كان يحفظ « له الكثير من الود والاخلاص فى نفسه ويعلق على معرفته الشىء الكثير من الآمال » وان « خبر وفاة الرجل كانت صدمة عنيفة له » . فلا عجب اذا أحس الخليل بدواعى الشاعرية تتحرك فى نفسه ، كما قال ، فنظم أبياتا فى رثائه وألقاها فى حفلة الجناز ، بعد أن قدم لها بكلمات بين فيها مقام مؤسس الاهرام ومكانته ومآثره . ولم تنقض أيام قلائل على ذلك الحادث حتى رغب بشارة تقلا الى خليل مطران أن يساعده فى تحرير الاهرام . وتردد الخليل ولكن الصحافى الكبير ، وهو الخبير باقدار الرجال ، قدر الربح الذى يفوز به الاهرام بانتساب الشاب النابه اليه ، ومعاونته فى تحريره ، فألح عليه بتلبية رغبته . وأخيرا رضى الخليل واندمج فى سلك محررى الاهرام والعاملين فيه

ولعل خليلا كان يتميز على محررى الاهرام باللباقة السياسية ، وجرأة النفس ، وحسن مداورة الامور ، ومراعاة الناس . فانتدبه بشارة تقلا باشا ليمثل الاهرام فى الرحلة الرسمية التى اعتزم الخديو عباس الثانى أن يقوم بها لزيارة الآستانة العلية بعد أن تبوأ أريكة مصر قبل عام من تاريخها ، أى فى سنة ١٨٩٢ . وقد كانت تلك الزيارة فى سنة ١٨٩٣ . وكان مختار باشا الغازى ، ممثل الدولة العلية بمصر ، قد استطاع أن يصلح الامور بين الصحافى الشاب خليل مطران ، وبين رجال المابين ، كما كانوا يقولون فى ذلك العهد ، وأن يقنعهم بكذب ما نسب اليه . وسافر مطران . .

وبعد عودته من رحلته تلك ، انتدبه بشارة باشا تقلا مراسلا للاهرام فى القاهرة . فسافر اليها وأقام فيها

* * *

تلك صفحة مطوية من حياة أستاذنا الجليل خليل بك مطران تتبين منها ناحية من أخلاقه الانسانية العالية ، ونستدل بها على الحوادث التى وجهته فى أداء رسالته الصحافية والأدبية . فقام بهذا الاداء على أوفى شكل وأتم سبيل . وقد كانت الاسكندرية مسرحا لها

ولا نستطيع اليوم أن نتبين ما كان عمله فى تحرير الاهرام بالاسكندرية، وماذا كان أثر جوها فى تكوين شاعريته . لانه حفظه الله لم يبق على شىء من ذلك المنظوم القديم بعد أن اختط له فى الشعر نهجا خاصا ومذهبا درج عليه وعرف به . .

ولعله وهو بين باريس والاسكندرية كان يفكر فى الشعر العربى ووسائل التجديد فيه ، ولعله أيضا ، وهو بالاسكندرية ،ابتدأ انقطاعه عن قرضه ، وهو انقطاع دام سنوات قلائل حتى استقام مذهبه فى نفسه ووضح سبيله فى قلبه . فعاد اليه يصوغ آياته البينات فى قالب جديد رائع

وليس من السهل ، حين نطالع شعر مطران ، أن نستدل منه على ما نظمه بعد ذلك العهد بالاسكندرية أو ما ألهمه هذا الثغر من تلك الصور البديعة التى يجلوها فى شعره . ولكننا نستطيع أن نقول أن حاضرة البلاد الثانية فازت منه بقصيدة تعد من أدل قصائده على مميزاته الادبية ومذهبه فى الشعر ، بل انها من أبرع ما أنتجه شعراء هذا العصر الحديث . وهذه القصيدة منشورة فى « ديوان الخليل » بعنوان « المساء » ولعلها تمت الى « حكاية عاشقين » بصلة

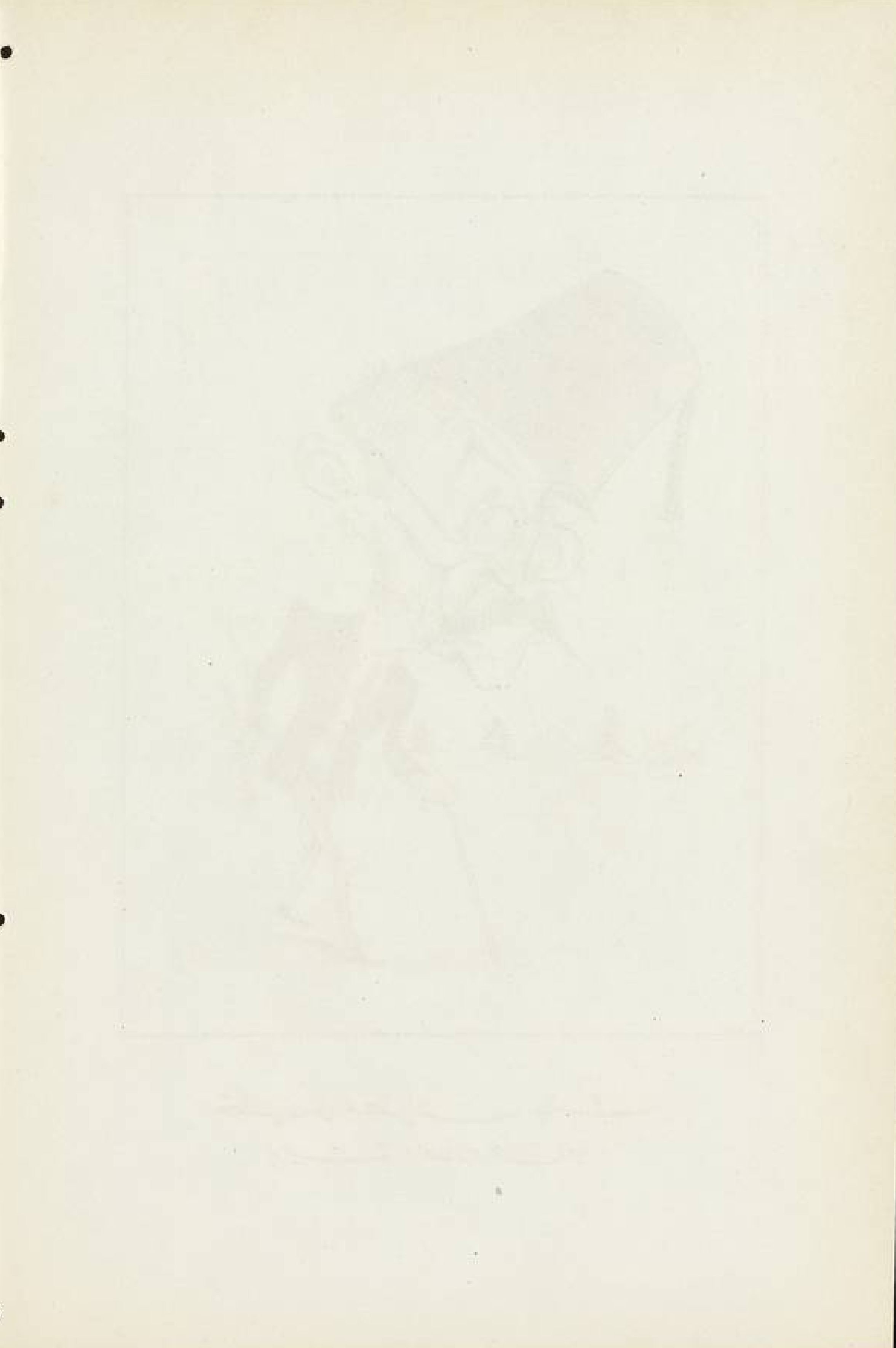
وقد كتب مطران فى نوفمبر سنة **١٩٠٢** مقالا عنوانه « رحلة رصيف » نستطيع أن نستدل منه على الظروف التى نظم فيها قصيدة « المساء »

قال :

« ذهبت الى الاسكندرية ، وفى تقديرى أن أقضى ثمة يومين ، وفى تقدير



خليل مطران بك
بريشة "صاروخان"



الله أن أقضى شهرين . فما هو الا أن خلت ليلة حتى باغتنى داء ، فضرب وأثقل ، ثم تمكن فأعضل ، ثم أناخ بكلكل . فلما صحوت بعد أيام من سكرته، ونجوت من مضطرب غمرته ، نهضت ببقية الجسم الباقية كما تلبس الخرقة البالية . .

« قال الطبيب : فعليك بالمكس ، حسن هواؤها وجل رواؤها . فقصدت المكس وما ادراك ما هى عليه الآن »

وننقل وصف مطران للطبيعة بالمكس نثرا قبل أن ننقله شعرا ، قال :

« . . . والبحر شديد الخفوق لا يمل من مداعبة الصخور بمثل خشونة الضوارى فى تداعبها ، والمنظر على الجملة بديع فى مطلع الشمس وفى مغربها . وللشمس فيها تجليات باهرة خلال الغمام، وللغمام تشكل وتلون فاتنان ،وللأفق تألق عجيب فى ترتيب قدر المنطقة التى يتحزم بها وابرازها فى أبدع زينة . . »

وننتقل بعدها الى قصيدة « المساء » التى نظمها الخليل بالمكس لنبين كيف تدل على مواهبه الشعرية ومذهبه فى النظم . ويظهر انه كان عند نظمه لها فى حالة نفسية حملته على الاعتقاد بأن داءه عضال لا برء منه ، ولعله كان يومئذ فى أواخر عهد « حكاية عاشقين » . وكان الشاعر لا يزال يكابد لواعج داء آخر . . قال فى مطلع القصيدة :

داء ألم حسبت فيه شفائى	من صبوتى فتضاعفت برحائى
يا للضعيفين استبدا بى وما	فى الظلم مثل تحكم الضعفاء
قلب أذابته الصبابة والجوى	وغلالة رثت من الادواء
والروح بينهما نسيم تنهد	فى حالى التصويب والصعداء
والعقل كالمصباح يغشى نوره	كدرى ويضعفه نضوب دمائى

انظر الى احساس الشاعر الداخلى كيف يتغلب الداء عليه فيثير عاطفته

ويهيج خياله . ولكنه لا يترك لهما مجالا للاستئثار بشعره . فلا يلبث أن يحكم العقل فيهما، فينظم صورهما تنظيما رائعا . وكذلك كان شعر مطران ولا يزال. عقل حصيف مميز يتحكم فى عاطفة تنبعث من دخيلة نفسه ،يثيرها احساسه وحبه وقلبه ، لا جسمه وغريزته . ويتحكم كذلك فى مخيلة تحاول أن تعبر عن تلك العاطفة فى صور ، فينظمها العقل بحيث تتساوق مع العاطفة فى انسجام رائع بليغ

فاحساس مطران بمرضه ، وعاطفة حبه ، يظهران فى مطلع القصيدة ثم لا يلبثان أن يحتكما فيها فيقول :

هــذا الذى أبقيتــه يا منيتى	من أضلعى وحشاشتى وذكائى
عمرين فيك أضعت لو أنصفتنى	لم يجـدرا بتأســفى وبكائى
عمر الفتى الفانى ، وعمر مخلد	ببيـانه لــولاك فى الاحيـاء
فغدوت لم أنعم كذى جهل ولم	أغنم كذى عقـل ضمان بقـاء

وهكذا يتوسل الشاعر بعقله للوصول الى أغراضه الشاعرية للتعبير عما يعتلج فى نفسه من عاطفة مشبوبة ، واحساس موزع بين الحب والألم والاغراض الشخصية . ولكن الحب يتغلب عليها حينا فيسترسل الشاعر معه ويقول :

يا نجمة زهـراء من يستهـدها	يستهـــد طالع ضلـــة ورياء

وفى هذا الجزء من القصيدة الذى قوامه الغزل البحت نجد معنى شعريا رائعا ألهمه اياه ذلك التشاؤم الناعم الذى انطبع به شعر مطران فيقول :

هذا عتـابك ، غـير انى مخطىء	أيرام سعد فى هـوى حسـناء
حاشاك،بل كتب الشقاءعلى الورى	والحب لم يبـرح أحب شــقاء

ثم تعاود الشاعر وساوسه ، ويتدخل عنصر آخر فى الهام الشاعر وهو منظر الطبيعة والبحر والصخور ، والشمس الغاربة ، فينسرح عليها احساس

الشاعر الداخلى حتى لكأن هذه المرئيات الخارجية جزء من ذلك الاحساس الداخلى فيمتزج الشاعر بالطبيعة امتزاجا عجيبا فيقول :

عبث طوافى فى البلاد وعلة | فى علة منفاى لاستشفاء
متفرد بصبابتى متفرد | بكآبتى متفرد بعنائى
شاك الى البحر اضطراب خواطرى | فيجيبنى برياحه الهوجاء
ثاو على صخر ، أصم ، وليت لى | قلبا كهذى الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهى | ويفتها كالسقم فى أعضائى

ويسير الشاعر على هذا المنوال من الموازنة بين احساسه وبين الطبيعة . فكأن الطبيعة صنو له ، وكأنه صنو لها ، وكأن فى الطبيعة حياة واحساسا وشعورا ، كما فى الشاعر تماما . أو كأن الطبيعة قطعة من نفس الشاعر وان الشاعر جزء من أجزاء الطبيعة

حتى اذا جاء المساء ومالت الشمس الى المغيب تساءل الشاعر عن الغروب:

أو ليس نزعا للنهار وصرعة | للشمس بين جنازة الاضواء

ثم ينتهى الى غرضه من القصيدة فاذا به يجمع فى أبياتها الختامية كل تلك العوامل التى دفعته الى نظمها : احساسه بالداء العضال . وحبه وامتزاجه بالطبيعة وتشاؤمه . ونود أن نشير هنا الى الوصف الدقيق الذى يتميز به شعر مطران . وشاعرنا وصاف ماهر ينفذ الى الصميم من المناظر التى يريد وصفها ويتناولها فى أدق مظاهرها ويخلع عليها ألوانا من شاعريته الفياضة فيقول :

ولقد ذكرتك والنهار مودع | والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطرى تبدو تجاه نواظرى | كلمى كدامية السحاب ازائى
والدمع من جفنى يسيل مشعشعا | بسنى الشعاع الغارب المترائى
والشمس فى شفق يسيل نضاره | فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا | وتقطرت كالدمعة الحمراء

فكان آخر دمعة للكون قد مزجت بآخر ادمعى لرثائى
وكأننى آنست يومى زائلا فرأيت فى المرآة كيف مسائى

حقا ان قصيدة « المساء » التى نظمها مطران بالاسكندرية رائعة من روائع الأدب العربى ، وقطعة من الفن الخالص والسحر المبين

* * *

ان خليل مطران بك شاعر العروبة فهو يطلب اليه نظم الشعر فى مناسبات جليلة تجرى فى هذا أو ذاك من البلدان العربية وتلقى قصائده فيها على السواء. وقد نظم فى بعض المناسبات السكندرية قصائد تحمل طابع شعره البديع ويحضرنى منها الآن قصيدته التى ألقاها فى افتتاح الغرفة التجارية لمدينة الاسكندرية ، وقال فى مطلعها :

أليس شيئا عجيبا صرح ويدعى بغرفه
تناقض فيه سر تجلو البداهة لطفه
وما التواضع عجز ان التواضع عفه

وفيها اشارة الى الاسكندرية حيث قال :

والثغر ما زال فى المأ ثرات راجح كفه
كعهده فاز بالسبـ ـق والحواضر خلفه
والفوز فى كل حال خطيرة ظل حلفه

* * *

وبعد فلست أدعى انى أحطت بالموضوع الذى أعالجه من سائر نواحيه . ولعله فاتنى منه الشىء الكثير ، وأهمه مجالس الخليل فى الاسكندرية . ولكننى رأيت من واجبى ، بمناسبة الحفلة التى أقيمت لشاعرنا الجليل فى الثغر ، أن أعرض لهذا الموضوع اظهارا لاعجابى العظيم بالشاعر الفذ حفظه الله وأبقاه

الاسكندرية صديق شيبوب

FESTIVAL
KHALIL MOUTRANE

Le Caire fête, en ce moment, un de ses poètes qu'il chérit le plus : Khalil Moutrane. Si la capitale de l'Egypte a le bonheur de l'avoir sous son ciel, de garder un perpétuel contact avec son génie poétique, sa bonté légendaire, sa courtoisie exquise, sa complaisance à toute épreuve, le monde arabe tout entier a les yeux tournés vers lui, admire son œuvre, se berce de ses chants, sent qu'il appartient à chaque pays, à chaque pensée. Les années n'ont fait que grandir en Moutrane non seulement le poète mais encore l'homme : sa spiritualité s'élevant l'a mis sur le plan du surhumain.

Né à Baalbeck, Liban, où l'un des plus beaux temples de l'antiquité donne, éternellement, l'exemple du grandiose, Khalil Moutrane reçut une culture française aussi bien qu'arabe. Venu en Egypte à la fin du siècle dernier, il débuta dans le journalisme sans se sentir jamais attiré vers la politique. Il fonda un quotidien « El Gawaeb el Masria », puis une revue dans laquelle il exposa ses idées sur la rénovation de la langue arabe, de sa poésie, de sa musique, faisant figure de précurseur. Il fut le premier à mettre le conte arabe dans un moule poétique, ainsi « La Jeune Monténégrine » qui rappelle les poèmes de Byron et de Victor Hugo.

S'affranchissant de l'hiératique « Kassida », Moutrane composa des odes, des stances, des quatrains où les vers riment deux à deux.

Son amitié pour Moustapha Kamel fut le sujet de poèmes épiques d'une magnifique envolée. Sa Muse féconde puise dans tous les domaines : amour, nature, histoire, méditation. Son premier recueil, *Diwan al Khalil*, parut en 1908. Hechmat pacha, alors ministre de l'Instruction Publique, lui confia la traduction du Traité d'Economie Politique de Leroy-Beaulieu, en collaboration avec Hafez Ibrahim. Dans le silence de son bureau, il étudie Shakespeare et met en prose arabe littérale, *Othello, Macbeth, Le Marchand de Venise, le Roi Lear* et, de Corneille, *Le Cid*. Très jeune il comporte l'estime de ses émules, la célébrité. Un groupe d'intellectuels comprenant des noms prestigieux comme ceux de Saad Zaghloul, Loutfy el Sayed, Abd el Aziz Fahmy, venait de fonder la première Université Egyptienne sous l'égide du Prince Fouad. L'on donne une fête en son honneur à laquelle prend part tout le monde arabe. Y furent lus des vers composés sur les rives du Barada comme sur celles de l'Euphrate. Le Khédive Abbas, qui venait de le décorer, y délègue son frère, le Prince Mohamed Aly pour y présider.

Khalil Moutrane a aimé. Sait-on qui il a aimé ? Le fait est que sa passion lui a inspiré une chaîne de poèmes autobiographiques profondément romantiques : *Histoire de deux Amants.* Romantiques aussi sont les poèmes de sa jeunesse — il avait une prédilection pour le Chantre des « Nuits ». Ceux de la mâturité sont marqués de la philosophie et du mystère shakespearien.

Mais Khalil Moutrane est, avant tout, lui-même novateur. Au lieu de faire comme les anciens, de chaque vers une entité, il a fait du morceau une entité ; sa poésie est descriptive, imagée, colorée comme une palette ; sa prose, dépouillée de fioriture et d'emphase, est tissée de mesure et de vérité. Sa pensée est rationnelle : elle vise au perfectionnement moral, ne va pas en guerre contre la fatalité. Avec l'âge, cependant, elle s'empreint d'un peu de pessimisme : il se rend compte de l'incapacité de l'idée contre le torrent des passions humaines :

« Prenez la Conscience, enveloppez-la d'un linceul fait de périphrases et de figures de rhétorique, puis couchez-la dans un tombeau et dites-lui « Pas de Miséricorde ».

Le courant des années lui fit perdre des amis très chers. Les panégyriques que leur mort lui a inspirés sont de véritables morceaux d'éloquence. L'un des plus beaux est celui de Saad Zaghloul. D'une culture encyclopédique, il a écrit une « Histoire Universelle ». Dans son poème « Néron » souffle un vent d'épopée, et dans « Ramsès II » de grandeur.

Dans la vie quotidienne, Khalil Moutrane est le meilleur des amis, le plus discret des bienfaiteurs, le plus disert des causeurs et le plus enjoué. Ses amis sont innombrables.

Il a beaucoup gagné, beaucoup donné, très peu gardé. Il est, cependant, parmi les plus riches de la terre si l'on veut considérer l'offrande des cœurs comme une spirituelle richesse.

CALYPSO GARZOUZI

GENIE D'ORIENT
ET
GENIE D'OCCIDENT

KHALIL BEY MOUTRANE PLAIDE, AU NOM DE LA BEAUTE, POUR UN LARGE HUMANISME

Le Caire a connu ces jours-ci une atmosphère de très haute poésie. C'est la semaine Khalil Moutrane.

A tous les degrés de notre société égyptienne, c'était à qui rendrait le plus bel hommage au grand poète. Et Sa Majesté le Roi a consacré, couronné le tout, en manifestant à l'homme, comme au poète, Son appréciation auguste. Il a donné Son patronage au festival et au gala d'ouverture, et Il a daigné se faire représenter par le conseiller de presse du Cabinet royal, S.E. Karim Tabet bey.

Ici encore une sollicitude très délicate.

Sans doute, tous les sujets de Sa Majesté sont égyptiens, sans priorité ni distinction d'origine, mais Khalil Moutrane est né à Baalbeck (Liban). Sa Majesté, qui a l'exquise délicatesse d'une mémoire qui se souvient exactement, a choisi celui qui, parmi les dignitaires de la Cour, se rapprochait le plus de la famille spirituelle de Khalil Moutrane, comme lui, fils de la première patrie, tout en s'étant affirmé d'une manière émouvante, fils, et fils très loyal et très digne, de la deuxième patrie.

Plus encore au cours de ce même gala d'ouverture, à l'Opéra royal, Me Fikry Abaza, du comité d'organisation, a donné lecture des paroles extrêmement bienveillantes que le représentant de Sa Majesté était chargé de communiquer à Khalil Moutrane. D'ordre de Sa Majesté, il l'invitait à ses côtés à la baignoire où il se tenait, ceci disait le message, en signe d'appréciation de « votre valeur, de votre loyalisme, et de ce que vous doivent les lettres arabes ».

Le message est très très beau, et tout commentaire dirait moins que le texte même du message. Et S.M. le Roi vient de lui donner le titre de Bey, voulant que rien ne soit omis.

A la manifestation du lendemain au Shepheard's, le président du Sénat, le Dr M. Hussein Heykal pacha, fit une allocution marquée par le plus pur humanisme. Il termina en mettant bien l'accent sur le fait que les Lettres, sont

immensément redevables à Khalil Moutrane. Heykal pacha, en humaniste, rendit hommage à Moutrane, qui, comme tout vrai humaniste, ne connaît pas les frontières, les limites, les compartiments, les clôtures. Il a ouvert les fenêtres et même les portes, il a sorti la poésie et les lettres arabes de leur pesante, de leur meurtrière stagnation : il leur a donné de la vie, et de la vie immortelle.

Orient et occident

Je voudrais donc rapporter ici ce que Moutrane a bien voulu me confier quand je lui ai demandé de me dire le secret de l'alliance qu'il a su si bien sceller entre l'humanisme de l'Occident et celui de l'Orient, car c'est bien cela qui a fait couler une sève nouvelle dans les lettres arabes et leur a donné cette immortalité à laquelle ont fait allusion Heykal pacha et Sanhoury pacha. Sanhoury pacha a même été jusqu'à dire, avec ferveur, à peu près ceci : « les routes sont ouvertes par Moutrane et les chemins tracés par lui : écrivains, hommes de lettres, marchez dans son sillon ».

J'ai donc, écouté le Maître, et il m'a dit :

« Dans ma toute première adolescence, j'ai beaucoup lu les poésies arabes : ce qui entretenait, en mon âme, la résonnance d'une certaine musique intérieure qui m'enveloppait. Mais je n'avais pas encore pénétré dans les trésors des Maîtres de la poésie arabe. Je trouvais donc ces lectures monotones, je sentais qu'il fallait chercher plus d'originalité et peut-être plus d'ampleur. Me tournant vers les œuvres françaises, je fréquentais en même temps les deux littératures. Grâce à mes maîtres, je commençais à pénétrer dans l'étude des classiques arabes de la grande période islamique, et autres. Je faisais d'immenses efforts de mémoire ; là se situe un travail colossal d'engrangement, qui est nécessaire quand on veut assimiler une langue et son esprit profond.

Influence française

« En classe de Rhétorique française, je commençais à saisir davantage la grande différence entre les deux pensées et les deux poésies de chacun des côtés de la Méditerranée. Et de plus en plus se posait, pour moi, la question: la poésie arabe doit-elle piétiner, rester en clôture et en stagnation, ou faut-il ouvrir quelques lucarnes, pour lui donner un rayon de soleil, une vie nouvelle, un peu d'air ? Je commençais quelques petits essais ».

Khalil Moutrane a fait ses études au Collège Patriarcal grec-catholique. Il eut comme maître M. Tourain (de Tours), et l'on sait que la Touraine a donné à la langue française l'accent le plus fin, le plus élégant. Donc pour

Moutrane la séduction du français se faisait plus attractive à travers cet homme qui était fin, élégant, aimable, sage, pondéré, dont la langue était une audition d'art.

« M. Tourain, vit mes essais, dit Moutrane. Il m'a dit simplement » : « C'est nul. Nul parce que trop riche, trop encombré de sujets, c'est trop compact, trop touffu, trop entassé. La littérature française est faite de simplicité, essentiellement. Souvenez-vous-en d'abord et toujours. Et puis il faut faire votre choix : vous écrivez ou en arabe ou en français. Ne perdez pas de vue que le progrès d'une langue se fait toujours aux dépens de l'autre ».

« Et c'est au contact de ce maître, me dit Moutrane, que j'appris à « délabirynther » ma pensée, que j'appris d'abord à concevoir clairement puis à m'exprimer simplement. Je transportais cet esprit dans mes journaux en arabe ; lisant les chefs-d'œuvre des deux littératures, je ne dépréciais ni l'une ni l'autre. Je réunissais mon matériel, pour arriver à harmoniser les deux empreintes que je portais en moi-même ».

A propos de Musset

Je suspends ici la conversation avec Moutrane pour rapporter un fait, et j'en demande pardon à sa très réelle modestie. J'ai appris par des contemporains de sa jeunesse que : Khalil Moutrane avait 20 ans lorsque le deuxième personnage du Ministère de l'Education nationale français d'alors le présenta à l'un des plus grands « Salons » de Paris. Et à l'époque, un « Salon » était un « Salon » c'est-à-dire que son prestige avait une certaine action déterminante sur les lettres, ou du moins sur le jugement littéraire de Paris. A cette époque, se discutait le « rang » de Musset, c'est-à-dire que le snobisme, ou l'on ne sait au juste quoi, amenait une certaine presse à placer Musset dans la catégorie des poètes de deuxième ordre. Et la discussion était fiévreuse dans ce salon où Moutrane était reçu.

La dame de céans, intéressée par ce jeune étranger au regard très vif, lui demanda ce qu'il pensait de la tentative de diminuer Musset. Moutrane, et je le redis, n'avait que 20 ans. Il ne se laissa pas intimider par le voisinage de tant de personnalités. Il dit donc avec assurance, à la dame de céans, que l'Orient suivait avec honneur le mouvement littéraire de l'Occident et que lui-même était fort étonné de cette tentative de diminuer Musset, poète de valeur mondiale et qui bénéficiait d'une admiration justifiée. Il demanda que, sur le champ, quelqu'un lise une des œuvres, et qu'on la discute. On lut « Rolla » — A l'issue de la lecture, Moutrane demanda à l'aéropage si l'on pouvait trouver, dans une autre poésie, un souffle plus poétique, un élan si beau, une rime si riche, et autant de génie dans la manière d'exprimer les choses ? Moutrane parlait avec assurance et une voix décidée. On applaudit

beaucoup, son courage et sa rectitude de jugement. Après cela, Moutrane vit s'ouvrir à lui les « salons » les plus distingués.

La bonne formule

Moutrane, profondément oriental et ne cessant jamais de l'être, bien au contraire, avait, à l'occasion de ces contacts, trouvé davantage encore les moyens de pénétrer au cœur même de la pensée occidentale. N'est-ce pas à lui que nous devons, à côté de son œuvre originale, les traductions les plus pures des chefs-d'œuvre de Corneille, Racine, Shakespeare, et d'autre œuvres maîtresses dans le domaine de l'Economie politique et de l'Histoire ?

Quand j'ai demandé à mon éminent interlocuteur une « formule-clé » pour que se fasse couramment le « joint » entre la pensée occidentale et celle orientale, il m'a dit :

« La formule est toute simple. Pour un oriental, commencer d'abord par être oriental, c'est-à-dire avoir une formation profonde, sérieuse, étendue ; des études aussi complètes que possible, un esprit ouvert à toutes choses et une bonne connaissance du monde extérieur. Si la connaissance est dirigée dans le but d'arriver à plus de compréhension, plus d'ampleur, les Orientaux découvriront des trésors inouis. Et d'ailleurs en cela ils ne feront que suivre le chemin même des anciens. Les Bédouins avaient emprunté aux Persans, aux Syriens ce qu'ils n'avaient pas et, par une sage assimilation, faisaient que, sous la plume arabe, ceci devenait une chose arabe ».

Et Moutrane termine son message par ces paroles très belles : « Dans le domaine des connaissances humaines tout le monde est admis à faire des recherches, à faire son apport et à puiser aux trésors déposés par les autres. Recherchez le Beau, rendez-lui hommage. Et quel hommage plus grand que celui de le faire sien, en se l'adaptant ? »

Moutrane a dit ces choses en marquant le point d'une main ferme, et son regard était celui d'un jeune, à qui les années ont donné plus d'élan, et sûrement pas moins d'éclat. Quant, à Paris, à 20 ans, il prenait la défense de Musset, il n'était pas plus éclatant.

Et aujourd'hui il prend la défense de l'Humanisme, le vrai, qui dépasse les frontières.

Il revendique pour tous le droit d'acquérir le Beau, sur quelque rivage que l'on se trouve...

Que Dieu nous garde Moutrane et son souffle. On ne fait plus beaucoup de gens de sa taille.

MARIE-CATHERINE BOULAD

٢ ـ القصائد

وحى الضمير

الى عبقرى أهل البيان ، وقدوة البلغاء والشعراء فى هذا الزمان ، الاستاذ الكبير خليل بك مطران ، على اثر الاحتفال الذى عقد لتكريمه وانعام جلالة الملك عليه

أخليل ان الفضـل بعـد روية ... عرف المفضل فاصطفاك خليلا
حسب الكنانة أن تكون أتيتهـا ... من ملهم الأدب الرفيع رسولا
وأن استشفت من فعالك والنهى ... خلقا كما شاء الحفـاظ نبيـلا
لو لم يفض فى كل عام نيلهـا ... لأفضت من صوب البلاغة نيلا
لو لم يكلل روضها در النـدى ... لاختـار من نفثاتك الاكليـلا
وكأنما سـحر العيون اذا رنت ... سحر البيان اذا خططت فصولا
انضح على الماء الأجاج قطـارة ... من ماء طبعك يكرعـوه رسيلا
واصدح بشعرك عند بان خميلة ... فيخـاله نفـح الصبا وبميـلا
شعر تناشـده الـرواة فهـزهم ... فكأنهم رشـفوا البيان شـمولا
وبدا عليـه اباء نفسك فهـو لم ... يسلك الى غير النجـوم سـبيلا
متمثـل فيــه مضـاء عزيمـة ... يدع الصرير من اليراع صليلا
منه الحسان المشرقات معالضحى ... الساحبـات عـلى الصباح ذيولا
الطالعات مع الكواكب فىالدجى ... السـاريات مع النسيم بليـلا

* * *

بك واجد لبنـان مفخرة لــه ... وتـراك مصر صفيهـا المأمـولا
ان يسألوها ما الدليل على العلى ... تخذت رعايتـك الـذمام دليـلا
أو يسألوا بك بعلبـك تجبهـم ... أكـرم به فـردا يبز قبيـلا
أصبحت والايمان عندك ألفـة ... قد ضمت القـرآن والانجيـلا

فلكل ذى لب اليـك تـودد ... ما كان ايهـاما ولا تضليـلا
الخير ينـويه الكرام لمن نوى ... خيرا فيجـزى بالثنـاء جميـلا

* * *

كرمت نفسك بالفضائل قبل أن ... نظم القريض مكرموك أصيـلا
مهمـا يبالغ ناعتـوك ويطنبـوا ... يجدوا الكثير من الثنـاء قليـلا
وكفـاك انعـام المليـك برتبـة ... شـهدت بأن لمثلـك التفضيـلا

كفر متى ـ لبنان ... أمين آل ناصر الدين

شاعر الشرق وصناجة العرب ومفخرة لبنان

خليل مطران بك

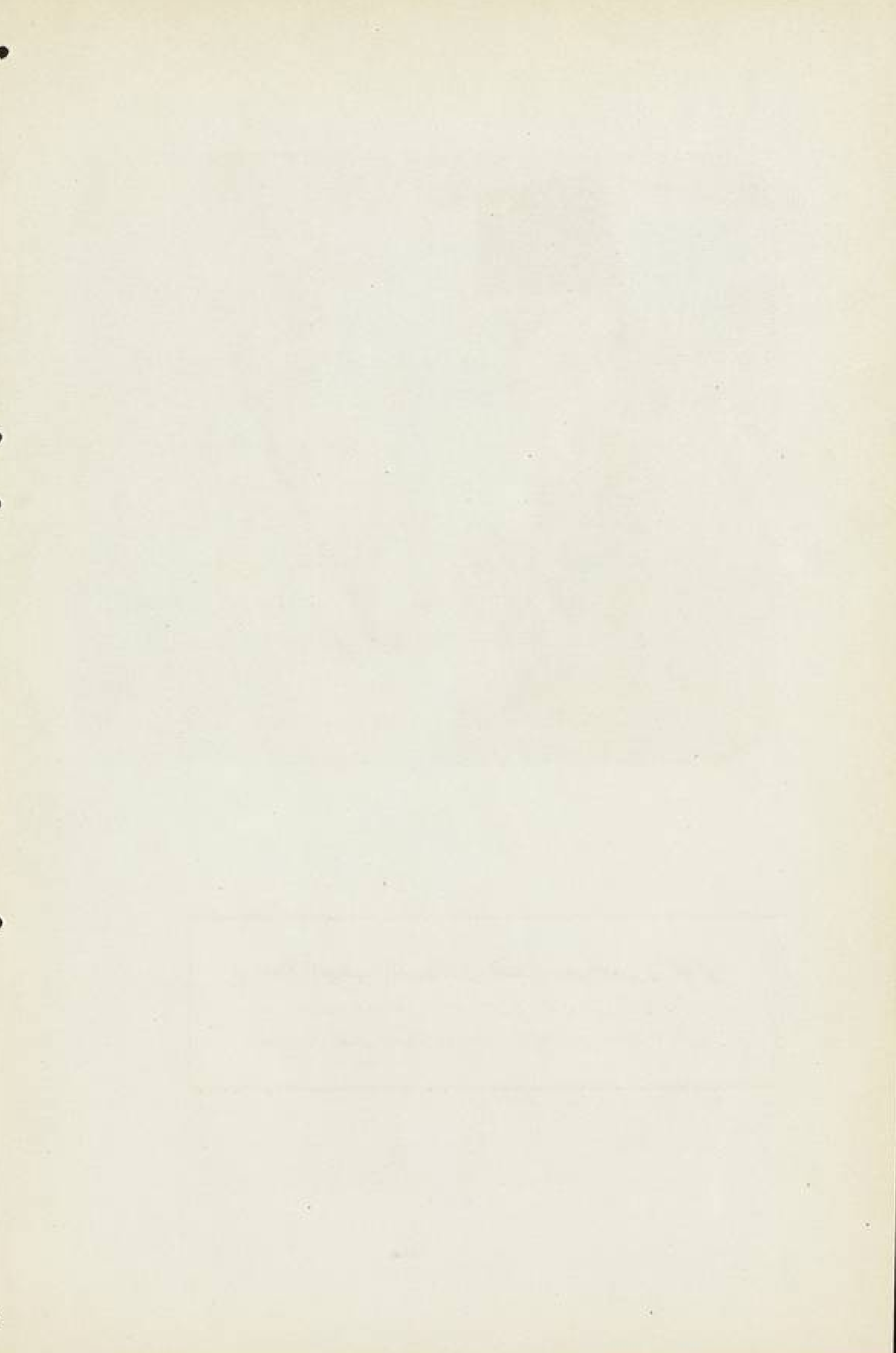
ما عسـاه يكـون وقع ثنـائى ... بين حشد الاعيـان والنبـلاء
فى الجماهير من كـرام وفـود ... كلهم مقسـم يمـين الـولاء
أثبتـوا باحتفـائهم بك أن الـ ... ـفضل فيهم فى الرتبة العليـاء
ما سمعنا بمثـل اجماعهم فى الـ ... شرق مذ عهد بيعـة الخلفـاء
صرت « بيكا » وأنت من قبلها ما ... زلت سـلطان أمة الشعـراء
جئتـك اليـوم داعيا بهنـاء ... وبعيش رغـد وطـول بقـاء
والرفيـق الأعـلى الى لقد أو ... حى بأن البـارى مجيب دعائى

الاسكندرية ... جبران النحاس



فى حفلة المفوضية السورية فى فندق سميراميس فى القاهرة

حضرة صاحب الدولة جميل مردم بك رئيس مجلس الوزراء فى حكومة
سوريا يقلد خليل مطران بك نشان الاستحقاق من الطبقة الأولى



من شاعر القرية الخضراء

الى

شاعر القطرين

قال فيك الأقران شيئا وشيئا ... وتهيبت أن أقول احتشاما
ما عساني أنال منك بمدحـ ... ـك وأطرى بالشعر ذاك المقاما
أنت كالنجم نوره ملء عيني ... ولقاه على عز مراما
كم أراعي السهى وأدعو سهيلا ... كي يناجيك حيثما تتسامى
وأجوز الخيال أوجا فأوجا ... علني أبصر الخليل لماما
حنى خاطري اليك ولج الشـ ... ـوق في مهجتي لأشفى الأواما
فتحفزت للوثوب أجاري ... من عداني لو أستطيع قياما
غاب نجمي ودولة الشعر ولت ... في سماء لولاك كانت ظلاما
لست تدري من ينظم الشعر اجها ... دا ومن يؤتى شعره الهاما
عرفت مصر فيك شاعرنا المـلـ ... ـهم فاختارت ذلك الاكراما
وتنادى في الأرز للمهرجان ال ... ـفخم من ذاب للخليل هياما
غير أني قعدت عنك لأمر ... ليس عجزا مني ولا احجاما
بل رأيت الزمان أعمى بأهليـ ... ـه وحينا عن خيرهم يتعامى
ويرى صاحب الكلام بصير ... من ذويه ولا يقيس الكلاما

* * *

لا أبالي مضى سواي واحجمـ ... ـت ولكن أرى القبيح حراما
كان أولى بأن يشنف سمع النـ ... ـيل من هز دجلة والشآما
ويغنيك شاعر القرية الخضـ ... ـراء مما لقنته أنغاما
هل ذكرت الصنوبر الفضى حيـ ... ـث الصيف لم الآساد والآراما
وتلاقينا تحت أفيائه الور ... فاء والطير للخليل ندامى
تنشد الشعر طيب الوقع والطيـ ... ـر تغنيه صبوة وغراما

أسكرتنا شـدوا وأسكرتها لفـ ـظا فأينا منـا سـقيت مداما

* * *

شاعر الحب والخيـال أروحا فيهما قد سكبت أم أحـلاما
وبيـانا ما صـور القـلم الفنـ ـان فيمـا رسـمت أم الهـاما
لا وربى لـكنه معجـز المطـ ـران هذا الذى سبى الأفهـاما
واذا الشـعر كان منطقا لحكيم هذب الجيـل واسـترق الأناما

* * *

طـر بأرواحنـا فتونا وعجبـا شـاعرا كنت أو حكيمـا امـاما
شأنك السبق فى مراقيك وصفا وخيـالا ورقة وانسـجاما
فتسنم ما شـئت منهـا وحلق أيهـا النسر ثم قـف فالا ما

* * *

أى فتى بعلبـك والفـن فيهـا خالد قد خلدت معـه دوامـا
سـتحاكى آثـار قلعتهـا ذكـ ـرا وتحكى فى الجيزة الاهراما
وكـلا الخالدين أنت وهـذى يقطعـان الأجيـال والأياما
لا أبـالى وأنت باق عليهـا كيف خان الزمان فيها الـكراما
أتـراه محى اسـاءته فيـ ـك ورد العلى وصـان الذماما
حسب لبنـان والأعـارب طرا أن توفى حق البـلاد تمـاما
كادت الضـاد أن تسف ولمـا صـنتها حلقـت وسـارت أماما

* * *

ما عسـاهم أن يكرمـوك باعظا م ومـدح ولـم ترد اعظـاما
انمـا انت ما اتضـعت رفيـع واذا ما رفعت تقضى احتـراما
ضاء فوق الصـدر المنير وسـام لا يحليه بل يحـلى الوسـاما
هكذا النقش للحسام جميـل انما لا يولى المضـاء الحسـاما
والحـلى للحسـناء وشى ولـكن يجذب الغنج وحـده المستهـاما
ليس هـذا مما يعليـك لـكن هكـذا البعض فى الكنانة راما

فلمصر ثناء لبنان يهدى ولفاروق مفردا وتؤاما
ملك توجت مفاخره الشر ق كما توجت يداه الهاما
يرتع العلم منه فى كنف رحـ ـب ويلقى الأديب خيرا جماما
ويلاقى النبوغ منه نبوغا فى الندى يرفع الرجال العظاما
لا يجارى فضلا كما لا تجارى انت فى دولة القريض نظاما
ضاق شعرى عنه وعنك وأنى يسع الجدول الصغير الغماما

* * *

فعسى أن أكون قمت ببعض من ولائى لمن حبيت غلاما
شب حبى وشاب فيك فعانق بالثمانين فى ستين عاما

القرية الخضراء ـ (لبنان) قبلان الرياشى

أشعرك أم حديثك يعشقونا ؟

أعيدى ذكر مى وأطربينا نسينا عهد مى فذكرينا
مضى زمن الشباب وما سلونا ولا نسى الفؤاد ولا نسينا
وهل يسلو الفؤاد وكل يوم تهيج ذكريات الأمس فينا
وينشدنا الخليل معلقات يهز بها الارائك والغصونا
امام الشعر والايام تصغى فتسمعها من الشعر العيونا
تحييك العشيرة فى عكاظ ويذكرك الخؤولة والبنونا
ويطمع منك قومك بالقوافى ولو جاوزت ضعفى أربعينا

* * *

سرى فى مصر شعرك واستثارت قوافيه اللواعج والحنينا
سرى يغزو العروبة والفيافى وجاب صداه دجلة والحزونا
تردده السواجع وهى نشوى وتروى من بدائعه فنونا
فيوما يبعث الآهات فينا ويوما يستدر بنا الشؤونا

اذا ما أنشدته مصر راحت … ربوع الشام ترجعه أنينا

* * *

امام الشعر والأدب المرجى … أراك بكل محمدة قمينا
رغبت عن المتاع وحزت كنزا … من الاخلاق والحلى ثمينا
وولتك العروبة واستقرت … لك الفصحى وأقسمت اليمينا
لك انقادت شياطين القوافى … وفيك تجمعت حكم السنينا
وبايعك القريض فلم تخنه … وكنت على وديعته أمينا
تمر بك الليالى عاصفات … تسرك تارة وتسوء حينا
وتنفرط العقود وانت تبدى … سمو النفس والخلق المتينا
يضن بك الزمان فانت باق … وشعرك خالد يفنى القرونا

* * *

فديتك يا خليلى من عشير … يثير بنا الصبابة والشجونا
ويسقينا من الفصحى سلافا … يذكرنا خمور الاندرينا
سلوا السبعين ما قد ذاع منه … وما قد ظل منكتما دفينا

* * *

أخا الفصحى نزلت بأرض مصر … ومصر حمى القرى من عهد مينا
يحييك الصحاب وانت أدرى … بما لك من وداد يضمرونا
يروقهم حديثك حيث كانوا … ويلتفون حولك منصتينا
وتستلب القلوب ورب خل … يطيب حديثه أدبا ودينا
ملكت قلوبهم فهم حيارى … أشعرك أم حديثك يعشقونا ؟

* * *

خليلى دمت مغتبطا ودامت … لك الدنيا وبلغت المثينا
اذا ما نحن قصرنا فعفوا … فقد عجز اللسان وقد عيينا
وان لم نرع ما لك من جميل … فلا بقى الوداد ولا بقينا

القاهرة … سليم عبد الأحد

الى ملك البيان العربى

الاستاذ خليل مطران بك

تنادى أساطين البيان فأقبلوا ... لهم من حجى الشورى مقام ومحفل
عليهم عقيد منهم ذو حصافة ... بليغ له من حكمة الرأى مقول
فأصغوا اليه وهو فى موقف النهى ... يفصل داعى الحفل هذا ويجمل
وقال لهم : « يا قوم انا لمعشر ... نمانا الى العرب البيان المؤثل
مشينا جيوشا تحت رايته لنا ... سلاح من الاقلام رمح ومنصل
ولكننا ، والامر فوضى ، بحاجة ... الى ملك فينا عليه نعول
بصير بأنحاء الكلام مهذب ... كأن هداه فى دجى الرأى مشعل
سنى ابتكار للمعانى كأنما ... خواطره تستنزل الوحى من عل
نريد مليكا مثل من أنا واصف ... هلم ابحثوا ما شئتم وتأملوا »

* * *

تضعضعت الآراء دون اقتراحه ... فواجه رشد الحفل من ذاك مشكل
فمن شعراء الجاهلية عددوا ... وسموا كثيرا من مخضرمة ولوا
وضموا اليهم من مولدة ومن ... بنى العصر رهطا بالقريض تنبلوا
وأقطاب كتاب صرير يراعهم ... له تشخص الدنيا ذهولا وتجذل
لقد وزنوهم واحدا بعد واحد ... وقد دققوا فى البحث فيها وغربلوا
فما حكموا بالصولجان لتالد ... وفى الطارف الباقى نهى الرأى اعملوا

* * *

بدا لهم من بلدة الشمس مفرد ... نماه لها برج اشم ومنزل
حبته ذكاء من اشعتها التى ... بها انبجست أقلامه تترسل
وتعقد من نور المعانى أكلة ... على مفرق الفصحى زهت تتهلل
وفى ظلها الاهرام قد بسطت له ... كرامة وادى النيل بالنبل تبذل
لقد طالعوا ديوانه وصحائفا ... يكاد بها شخص البلاغة يمثل

رأوا ثم شعرا فيه للعلم مذهب | وعلما به للشعر روح وهيكل
وعالى خيال قارن الطبع والحجى | ودرسا لأسرار الطبيعة يجمل
ويفتن فى تصويرها فكأنما | رفائيل يبدى رسمها ويمثل
ويسمع موسيقى تساوق شدوها | بلطف وارهاب كما الحال تحمل
فطورا كما عب الخليج بموجه | وطورا كعصف الهوج أو تلك أهول
وحينا كما ناغى النسيم على الربى | وآنا كما غنى على الغصن بلبل
يهندس مبنى شعره ببراعة | ويملأه معنى يروع وينبل
ففيه غذاء القلب والعقل والمنى | ولطف خيال شاق من يتخيل

* * *

وقد شهدوا نثرا خصيب خواطر | كروض به أثماره تتهدل
صحائف فيها للسياسة موطن | وللعلم نبراس وللحق موئل
كأنك بالدنيا تشاهد ضمنها | كما عكست جماع جسم سجنجل
خليل بنى المطران منشى فصولها | وشاعرنا الفذ اللبيق المفصل
أخو الادب النامى الذى كرمت له | عروق زكت فى نبلها تتأصل
خصيب النهى زانته غر خلائق | بأمثالها أهل النهى تتجمل
وذو قلم حلو الجنى وكأنه | لمن يبتغى ورد الحقيقة منهل

* * *

أقرت له شورى العروبة أنه | هو الأوحدى العيلم المتفضل
فبايعه الملك الأساطين جملة | وقالوا له : « أنت المليك المبجل
أطلت اعتزاز الضاد فافخر بعزها | وعمرك بالتوفيق والفضل أطول
لئن جئت فى عهد أخير زمانه | فعرشك فى ملك البلاغة أول »

المدرسة البطريركية ـ بيروت — الأب نقولا أبو هنا

تحية الاخاء

حى الخليل وحى العلم والأدبا | واستلهم الشعر مما قال أو كتبا
وانظم عقود التهانى كلها غرر | تزرى محاسنها بالدر منتخبا

* * *

ان القوافى لما جئت أخطبها | بعد التنائى أشاحت وجهها غضبا
وكيف تفتح لى بابا لحرمتها | وقد هجرت مجالى انسها حقبا
والشعر وحى اذا لازمته اتصلت | أسبابه بك أو أهملته غربا

* * *

وناصح قال عد باسم الخليل وسل | من ربة الشعر ما ترجو تنل أربا
فهو المقرب بين الاصفياء ومن | ترضى شفاعته حتما اذا طلبا
وان تكن حجب تخفى اشعتها | عن عينه فنهاه يكشف الحجبا
كانما الوحى منقاد له أبدا | يطاوع القلم السحرى مصطحبا
الله سواه من لطف ومن كرم | ومن فضائل فيه استوفت الرغبا
وكان أفضل ما فيه حصافته | وفكرة بلغت فىأوجها الشهبا
لئن تجمع فى ناد جهابذة | كان الامام لهم والجهبذ القطبا

* * *

مدينة الشمس تزهى كلما ذكروا | اسم الخليل تباهى غيرها عجبا
يختال لبنان تيها بابنه جذلا | بالشاعر الكاتب النحرير ان نسبا
فانه مثله جودا ومكرمة | وان لبنان حاكاه علا وابا
شابت رؤوس عواليه منافسة | شم الجبال وخلت دونها السحبا
وفجرت من ينابيع الصفا دررا | كأنها ذائب البلور قد سكبا
يسقى الذى حوله ماء الحياة فلا | ترى حواليك الا الدوح والعشبا

* * *

وغابة من ظليل الارز كم حجبت | سربا من الطير اما جاع أو تعبا

والكرم ان يجتمع فيه الصحاب فلا تلقى به غير لاه يقطف العنبا
وكم هنالك بستان فواكهه قد أشرب اللون منها الخمر والذهبا
وكلما حسنت في العين رؤيته من جوهر الارض مما للنهى خلبا
يعطيك لبنان أشهى ما تذوقه منه الورى وهو جذلان بما وهبا

* * *

وان وقفت تناجي النفس مبتهجا فوق التلال رأيت البدع والعجبا
هنالك البحر ممتد بأسفله كأنه خاشع يثني له الركبا
يسقيه لبنان من غدرانه صبيا والبحر يقبل ما يعطى له طربا
حتى اذا العام وافى بعد دورته أعاده في سحاب الجو منسكبا
وحيث وجهت أنظارا ترى أثرا للخير يبدو أمام العين منتصبا

* * *

أليس هذا خليل في شمائله أليس ذاك أب لابن له نجبا

* * *

ياشاعر الشرق لا القطرين وحدهما لأنت حقا أمير الشعر لا كذبا
قد بايعتك وفود العرب قاطبة من كل مملكة فانعم به لقبا
كفاك مفخرة ما نلت من شرف وما حباك به الفاروق مكتسبا
فانت أنت حبيب الناس لا رتب تعليك بل أنت تعطى قدرها الرتبا
واهنأ بما نلت في هذي الحياة وفز بالخلد فاسمك في سفر العلى كتبا

القاهرة وديع أبو فاضل

في تكريم أمير الشعراء

« مطران »

يتعـانق التكـريم والتبيـان ... في مهرجان الخلد « يا مطران »
والهة الشعـر الرصين ترنمت ... بمطـولات كلهـا فتـان
غنت نشـيد الخالدين فأبدعت ... وروى النشيد الحور والولدان
يا شـاعر الأقطار انت منارة ... للملهمين ولا سـواك بيـان
فالشعر يطرى والبيـان ومن له ... الاك في أقطـارنا عنـوان
تاج البيان على جبينـك لامع ... يزهو ويزهو بالبيـان زمـان
والفن ينهض بالشعوب اذا كبت ... والشعر فيهـا مقـود وعنـان
فاحمـل لواء الشرق وهو منابع ... فيها نمـا الالهام والايمـان
الشرق روح لا يدين لقــوة ... الــروح خلد والفنـا أبدان
يا واهمـين بأنكم تغزوننـا ... يغزوكم الانجيـل والقـرآن
الهامنـا خـرت له أذقانكم ... ما شـذ انس منكم أو جـان
والشرق عبـدكم وانتم سـوم ... كنـا الملوك وأنتم العبـدان
يا شرق روحك قوة ألهب بهـا ... ظهر الدخيـل ونعم ذاك أوان
وأعد لنا عهـدا مضى وزها بنـا ... بين الورى في العالم السلطان

* * *

مطران روحك أيقظت أرواحنا ... والشـعر أثبت أنه الوجـدان
كم كان منـك توثب لشبابنـا ... كم كان منـك لعزمنا غليـان
كم كان شـعرك ثورة عقليـة ... ترقى بهـا الآلاء والأكـوان
كم كان فنـك دعـوة روحيـة ... صـلى بها النسـاك والرهبـان
كم كان قولك حكمـة علـوية ... يمحى بها التضليـل والبهتـان
كم كان لحنك سـلوة قدسـية ... يسلو بهـا المهمـوم والهيمـان
الشـاعر الموهـوب يبعث أمة ... ويحلهـا بين السمـاك لسـان

ويداك فى الأهرام كانت بلسما صحت به الأشياخ والشبان
أيام كان النـــاس فى تهويمـة أغفت بهـا الأفهام والأجفـان
فهمست فى أذن المهـوم فارتأى نـور الحيـاة وهابه اليقظـان
وظللت شيخا للصحافة فتـرة حتى تكامـل وارتقى البنيـان
فخضت ميدان المسارح تاركا ما يترك الأبطـال والشجعـان
فجمعت للتمثيـل كل دعامـة تبلى عـلى جنباتهـا الأزمان
حتى تأصل فى النفوس وأينعت زهراته وتطـاول الأفنـان
خلقتـه يزهـو وقد رويتـه مـاء الحيـاة فعـوده فينـان
وفرغت للشعر الرفيع ووحيـه فجثت على قيثـاره الألحـان
وجرى الخلود الى مقاطع لحنـه وتولهـت ببديعـه الأوزان
لا ســحر داود ولا انغـامه لا فن « هومـير » ولا العيـدان
بل أفــرغ الفن الرفيـع جماله فيــه ومات بفنـك النسيان

* * *

خلدت فى كل النـواحى بدعة للشرق لا مصر ولا لبنــان
ونظمت فى النيل السعيدقصائدا فاض الفـرات بها وهن جمـان
وشدوت فى لبنـان لحنــا ثائرا فضوى بسـوريا مدفع وسـنان
وكتبت فى القدس الشريف مدائحا تاهت بهـا بين الورى عمــان
ونسجت فى الحرمين بدع عواطف فتنت بهــا من حسنها نجران
مرحى وهذا الشرق فيك موله بين الشعـوب وكلـه شـكران
قد جمـع التكـريم من أقطـاره فربوعه فى منصفيــك عــوان
أنا عن شباب الشعر أرفع بيعتى وأقــول ان أميره مطـــران

مدرسة الفيوم
الثانوية الاميرية

أبو أمل حامد الحولى
أمير وديان الغرب

تحية الخليل

في يوم تكريمه (١)

لما رأيت جهابذ الـ	ـخطباء والشعراء
يتعاقبون ويعتلو	ن منصة الالقاء
ورأيت أن القوم فى	طرب وفى سراء
أيقنت أن اليوم عيـ	ـد السادة الأدباء
يوم الخليل كرامة	للصفوة النبغاء
من مصر من لبنان من	حلب من الزوراء
وفدت وفود النخبة الـ	ـفصحاء والبلغاء
وتكاملت بصدارة الـ	أمراء والسفراء
فى الحفل هم كالأهل ما	فى القوم من غرباء
بهوى العروبة وحدوا	متخالف الأهواء
جعلوا مكان خليلهم	فى الذروة الشماء
وهو الجدير بكل مكـ	ـرمة وكل علاء
يا صاحب الغرر التى	تصبى نهى العلماء
كم درة قد صغتها	كسبية عذراء
وفريدة برزت تزف م	بروعة وبهاء
ويتيمة أزهى بطلـ	ـعتها من الحسناء
أأعدها؟ من ذا الذى	يحصى نجوم سماء
مهلا أبا الشعراء هل	تسمو الى الجوزاء
متبوئا أوج العلى	فى عزة قعساء
يهنيك ما أوليت من	منن بلا احصاء

(١) نظم حضرة الشاعر صاحب التوقيع هذه القطعة الشعرية لمناسبة حفلة التكريم التى أقامها النادى السورى بالاسكندرية فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو ١٩٤٧

يا من ســـــما أدبــا	وأخـلاقا عن الاطــراء
نزلت وســامات الملــو	ك عليــك كالانــداء
وتعلقــت وتلألأت	كالجوهــر الوضــاء
برحيب صــدر قد غدا	كالروضــة الغنــاء
فحملت بين النـاس زيـ	ـنتها عـلى اسـتحياء
وأريتنــا كيف التــوا	ضع شـيمة العظمــاء
هــذا ثنــائى بل وحــق م	عــلاك بعض ثنـــائى
ان قـل عن عجــز فكم	فى النفس مـن أشـياء

الاسكندرية — الياس فيعانى

خليل مطران بك

جهاده نصف قرن
في دولة الصحافة والشعر والأدب

بقلم
ابراهيم سليم نجار
صاحب جريدة «اللواء»

وضع حضرة الأستاذ ابراهيم سليم نجار ، صاحب جريدة « اللواء » اللبنانيـة ، رسالة طريفة عن صديقه خليل مطران بك ، صدرها بكلمة الى حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى ، رئيس الجمهورية اللبنانية ، وجمع فيها كثيراً من الذكريات مما عرفه عن الخليل فى جهاده مدة نصف قرن فى دولة الصحافة ، والشعر ، والادب ، واستشهد ببعض قصائده المشهورة . فجاءت الرسالة صورة أنيقة للشاعر الـكبير ، ملمة بأدوار حياته ، وأدبه ، وأخلاقه ، ومقامه فى عالم الادب

وقد رأت اللجنة ان تدرج الرسالة فيما يلى ، تنويها بفضل واضعها ، واستكمالا للغرض الذى تنشده من نشر الكتاب الذهبى

كلمة المؤلف

الى النابغة المحتفى به

كلمتى اليك فى عيدك ، أيها الأخ الرفيق ، كلمة تهنئة خالصة لا أستعيد فيها ذكر شباب لنا مضى ، وعهد انقضى ، نهبنا فيهما العمر نهبا ، وقطعنا مراحل الحياة وثبا . فذلك حديث يطول شرحه ، وتفصيله ، ملأت فيه صحائف نصف هذا القرن الماضى شعرا ونثرا ، وجمالا ، وعطرا . فاكتفى اليوم بنشر هذا الأثر الصغير فى تهنئتك ، ولأقول لك كلمة وجيزة ، صغيرة ، فى عملك وأثرك

أشرقت فى سـماء الشـعر والأدب ، فى هذا الشرق ، اشراق البـدر ، وظهرت فيه ظهور الشاعر المجدد . ففتحت للشعر والأدب بشعـرك وأدبك طريقا جديدا كان غير معبد قبلك . اقتبسته من وهج الفكر ، وروح الشعر ، وأخذته من قلب الأدب العربى القديم ، ورهجـة الأدب الغربى الصميـم .

فجمعت بين الأدبين ، ومزجت بين الراحين ، وادرتها على الشاربين كؤوسا معتقة من الخمر ، عصرت من عناقيد الجنة ، واختمرت في دنان الفكر

لقد صدقت فيما قلته عن نفسك في مقدمة ديوانك : « هذا شعر ليس ناظمه بعبده ، ولا تحمله ضرورة الوزن والقافية على غير قصده » . فلقد نظمت الشعر على سجيتك ، وهوى نفسك . فأطاع فكرك وهواك ، وندر ان خانك أو عصاك . وتوهمت في مقدمتك ان شعرك شعر المستقبل . غير أن الشباب العربي المثقف ، اتخذك مرشدا له ، واماما . فقد أنزلت عليه النور من عل ، وفجرت له ينابيع العرفان . واذا كانت مصر قد قدرتك اليوم قدرك ، واحتفلت بيوبيلك ، وأشادت بذكرك ، فلبنانك الذى أنبتك نبتا حسنا ، وأظلتك سماؤه ، ورواك ماؤه ، يشترك معها ، حكومة وشعبا ، في هذا التقدير بكل ما فيه من روح ، وقلم ، ولسان ، وبكل ما تسعه ، وتفيض به سماء لبنان ، وأرض لبنان . فهنيئا بك لمصر ، وشكرا لجلالة مليكها المعظم ، وحكومتها ، وصحافتها ، ورجالها ، وأدبائها ، على ما أولوا الشعر والأدب في شخصك من فضل وقدر ، وألف شكر . فالقطر الذى يسعد بأن يكون له كجلالة الفاروق ملكا مرشدا ، وقائدا حكيما ، ليحق له أن يعتز ، وأن يتيه فخرا على الدهر

خليل مطران الشاب

نابغة من نوابغ هذا الجيل في الصحافة ، والشعر ، والأدب ، في القرن العشرين . انبته بعلبك ، مدينة الشمس ، نبتا حسنا ، وأخرجته مدارس العاصمة اللبنانية ، منذ خمسين سنة ، اخراجا استوفت فيه العناية شروط تهذيب النفس ، وتربية الاخلاق ، وقواعد العلم في اللغتين العربية والافرنسية ، تاريخا ، ولغة ، وأدبا ، في عهد فاقت فيه عناية دور العلم بالتعليم عنايتها به اليوم ، وشغف الطلبة بتحصيل العلوم شغفا يفوق شغف معظم طلاب اليوم بها ، قبل أن يجعلوا قسط الرياضة البدنية فيها يساوى ، أو يكاد يساوى ، أقساط العلوم العقلية

يقسم تاريخ النهضة الأدبية الحديثة فى بيروت فى اللغة العربية ، منذ مئة سنة خلت ، الى أربعة أدوار متقاربة الاعوام ، متفاوتة النسب فى تقدير التحصيل ، مختلفة البرامج ، والأساليب ، والطرق فى اعداد الطلبة واخراج الشباب ، واعداد الرجال. يبدأ الدور الأول فى سنة ١٨٤٠، وهو عام تأسيس المدارس الراقية والكليات فى بيروت ، عاصمة العلم والتعليم فى هذا الشرق العربى . وينتهى فى سنة ١٨٧٠ ، وقد ازدهر فيه المجتمع البيروتى بعدد من الرجال النوابغ فى فنون الأدب ، وعلوم اللغة أمثال المرحومين الشيخ ناصيف اليازجى ، وبطرس البستانى ، وابراهيم الاحدب ، والشيخ يوسف الأسير . والدور الثانى من سنة ١٨٧١ الى منتهى القرن الماضى وقد لمعت فيه الحركة الصحافية فى بيروت لمعانا باهرا وشع نورها حتى تناول اشعاعه مصر ، فأصابت صحافتها نصيبا وافرا منه . والدور الثالث منذ فاتحة القرن الحالى حتى آخر الربع الأول منه . والرابع منذ أول الربع الثانى الى هذا العهد. وقد أخرجت المدرسة البطريركية الطالب خليل عبده مطران فى نهاية الدور الثانى مليئا بالحياة ، طافحا بالعلم ، والنشاط . وقد كان أستاذه فى اللغة العربية الشيخ ابراهيم اليازجى معجبا به فاستقى من خير ينبوع ، وقبس من سيد اللغة الذى كان حجة فى علومها المختلفة

خرج الى الكفاح والجهاد فى سبيل الحياة ، والعلم ، مسلحا بسلاح قاطع ماض . وكان نطاق الصحافة فى العام العشرين من حكم السلطان عبد الحميد الثانى قد ضاق عما كان عليه فى زمن عمه السلطان عبد العزيز ، حتى وفى بدء عهد السلطان عبد الحميد ، يوم كان أديب اسحق يتولى تحرير التقدم بجرأة وحرية نضب معينهما . فانصرفت العقول والاقلام الى التلهى ببعض المباحث اللغوية ، والجدلية ، كايجاد كلمات عربية تحل محل بعض الكلمات الأجنبية التى درج استعمالها على الألسنة مثل « مدام ومدموازيل ومسيو » . فاحتدم البحث والجدل ، فى هذا الموضوع ، بين الاستاذين الكبيرين المرحومين الشيخ عبد الله البستانى ، مدرس البيان فى مدرسة الحكمة، والشيخ ابراهيم اليازجى،

مدرس البيان فى المدرسة البطريركية وقتئذ . وتدخل فيه الاستاذ الشاب خليل مطران، تدخلا فعليا منتصرا لاستاذه الشيخ ابراهيم - تدخلا ظهرت فيه عبقريته ونبوغه بفضل ما جمعه فى صدره، ووقف عليه ، من علوم اللغة والبيان فى اللغتين العربية والافرنسية وآدابهما - خصوصا فى هذه اللغة الثانية ، مما ساعده على أن يفوق أستاذيه فى البحث ويفضلهما فى قوة حجته وصحة جدله . فكان اشتراكه فى هذا البحث سببا فى بدء ظهوره الأدبى . فشاع اسمه ، وعطر ذكره ، وانتشر صيته ، على رغم حداثة سنه ، وقرب عهده بالكتابة والتحرير فى الصحف

عصر الهجرة

كان العصر الذى خرج فيه الاستاذ خليل مطران ، الى العراك والجهاد الأدبيين ، عصر تغرب وهجرة . وقد لمعت فيه صحافة مصر لمعانا باهرا فى العالم العربى لفت اليها الانظار . فصدر فيها الاهرام والمقطم وكان المؤيد فى بدء عهد صدوره . وكان ذكر أديب اسحق وسليم النقاش فى جريدتى مصر والمحروسة لا يزال ، فيها وفى بيروت ، كثير التردد ، يغرى رجال الصحافة والقلم ، وعشاق الأدب بسلوك مسلكهما ، والحذو حذوهما فى السبيل الذى سلكه النوابغ المتقدمون من أبناء بيروت والجبل

سفر الخليل الى مصر

وسرعان ما قرر الخليل شد رحاله الى مصر، مقتفيا خطوات من تقدمه من زملائه أعلام الصحافة العربية فيها . فبرح بيروت الى الاسكندرية، حيث كانت تصدر جريدة الاهرام فى بدء انشائها ، يحدوه أمل كبير ، ويحمل اليها زادا جديدا ، مغذيا ، منعشا ، غنيا ، قويا

الخليل فى الاهرام

دخل الخليل فى تحرير الاهرام مراسلا خاصا له فى القاهرة ، عاصمة القطر المصرى ، تتقدمه سمعة أدبية حسنة ، وينجده ذكاء لامع . فما لبث أن ذاع ذكره فيها بفضل جودة رسائله التى كان يبعثها الى جريدته ، وصدق أخبارها ، وحسن انشائها وديباجتها . فأصبح المطران ، فى وقت قصير ، علما من أعلام الكتاب والصحفيين فى القطر المصرى

الصحفى الشاعر

وكان الاستاذ مطران ينعم ، الى جانب تفوقه اللغوى الذى لمع فيه فى بيروت ، بروح شعرية فطر عليها بفضل ما وضعته مدينة الشمس ، التى ولد ونبت فيها ، من النور ، والنبوغ فى رأسه وصدره . وما عتم ان اشتهر فى مصر بشعره ، مثل اشتهاره فى صحافتها بقوة رسائله ، ومتانة لغتها ، وصدق أخبارها

اتصال شوقى بك به وصداقتهما

كان المرحوم أحمد شوقى بك مخرجا فى الحقوق من فرنسا فى بدء عهد شاعريته ، وكان موظفا فى المعية الخديوية . فاتصل بادىء ذى بدء بالخليل صحافيا ، ثم شاعرا يقبس من نوره ، ويسترشد به فى علم العروض ، وينتصح بنصحه فى شعره . وكان الشابان الشاعران طروبين لعوبين ، يعيشان متصلين ليل نهار ، وكثيرا ما ينامان فى آخر لياليهما المنيرة فى غرفة واحدة تتسع لشابين ، وقد تضيق عن رجلين ، نوما هنيئا بمرح الشباب ، ومتعبا بعبثه ، وشربه ، ولهوه

انتقال الاهرام الى القاهرة

انتقلت الاهرام من الاسكندرية الى القاهرة ، وطلبت الى الخليل أن يتولى رئاسة تحريرها بكثير من المواظبة ، والتقيد بالوقت، لما تتطلبه مستلزمات رئاسة التحرير من الحضور والمواظبة والارتباط بالبقاء فى المكتب . فاعتذر عن قبول هذا المنصب مع بقائه متصلا بها وبتحريرها اتصالا وثيقا . فقد أحله صاحب الاهرام ، المرحوم بشارة باشا تقلا ، محلا مكينا من تقديره ، وصداقته ، وولائه

نزلت مصر ، فى نهاية صيف سنة ١٩٠٠ ، والخليل كاتب كبير ،وشاعر ملهم ، وصحفى قدير فيها . يشع اسمه فى سماء مصر فى كل مكان ، وتلمع شاعريته لمعان الشمس فى سماء لبنان ، ويتمتع فيها باحترام الخاص والعام الى حد يفوق التصور ، لم يصل اليه قبله شاعر وصحافى وكاتب فى مصر ، حتى لأكاد أقول بأنه لم يصل اليه انسان

كان الخليل صديق الوزراء ، والكبراء ، والأدباء ، ورجال المال ، والتجارة ، والصناعة ، والزراعة ، والاشغال اليديوية ، والسيدات، والاوانس والشبان . يسترشد به الوزير فى عمله ، ويستنير الكبير برأيه ، ويستعين الأديب ، والشاعر بأدبه ، وشاعريته . ورجال المال ، والتجارة ، والصناعة والزراعة بذكائه والمعيته . ورجال الاشغال اليدوية بذوقه . والسيدات والاوانس بلطفه ، وظرفه ، والشبان بسعة معارفه ولطف ايناسه ، وطيب روحه ، وكثرة اتصالاته برجال الطبقات المختلفة . فيستدنيه الوزير ، ويقصده الأديب ، ويصغى اليه المالى والتاجر ، والصانع مستوحيا . وتسأله السيدة والفتاة عن لون وزى فسطان تلبسانه ، وشكل شعر تضفرانه ، والشاب عن خطية ينتقيها له زوجة . ويتوسل اليه الطالب بطلب توصية يوصى بها أستاذه قبيل تأدية امتحانه . فقد أجمع الجمهور على الاعتقاد بذكائه وعبقريته والثقةبه، وتقديره واحترامه

الصحفى المنشىء

يبنى الجمهور شهرة المرء الذى يحبه على مشاربه وميـوله ، أكثر ممـا يبنيها على حقائق الامور والاشياء . ولقد تغلبت شهرة الشاعر فى الخليل عـلى شهرة المنشىء البليغ ، على الـرغم من انه يحـل فى المقام الأول بين الـكتاب المنشئين ، ورجال الأقلام المبرزين . فهو فى متانة انشائه ، وبلاغة تعبـيره ، ودقة تفكيره ، وتصويره ، وصائب رأيه ، وبليغ حكمتـه ، منشىء لا يجـارى ولا يشق له غبار . فقد بدأ الحياة منشئا قديرا قبل أن يبدأها شاعرا ، وقبـل أن يقرض الشعر . وأخذ اللغة ، ومتانة الانشاء ، وحسن صياغته ، عن استاذه الكبير الشيخ ابراهيم اليازجى ، الذى اشتهر ببلاغة انشائه ، وشدة تدقيقه . ولا أبالغ اذا قلت ان المنشىء النابغة المحتفى به يعد اليوم فى الصف الأول من رجال اللغة ، الواقفين على أسرارها ، وخفاياها ، بين الكتبة المنشئين فى جميـع الأقطار التى ينطق أهلها بالضاد دون استثناء . وقد بوأه تمكنه من اللغة مقامه الرفيع ، ومكانته السامية ، فى دولة القلم

ولقد تاقت نفس الصحافى المنشىء الى الصحافة فى الأعوام الأولى من بدء هذا القرن . فأنشأ أولا مجلة الجوائب المصرية التى حولهـا بعـد ذلك الى جريدة يومية . وشاء تقديره أن يعهد الى فى تولى تحريرها . فعملنا معا أعواما قبست فيها فى الصحافة من نوره ، واقتبست من حكمته ، فى معالجة الشؤون العامة ، ومداورة الايام ، ومجاراة الدهر القاسى الى أن يضعف فيلين

كان الخليل فى مجلة الجوائب ، والجريدة اليومية ، صحافيا شاعرا ، بعيدا عن المادة ، عف القلم ، واليد ، واللسان . نقى الضمير ، طاهر الوجدان . لم أعرف صحافيا أكبر منه نفسا ، وأخلص منه وطنية ، وأصدق قولا وقلما . ومن كانت هذه صفاته فى جهاد الحياة ، وميدان الصحافة ، كان حظه فيها صغيرا ، وشوطه قصيرا

الشاعر العبقرى الملهم

كان الشعر فى نهاية القرن الماضى ، وبدء هذا القرن ، لا يزال محتفظا بطابعه القديم فى بحوره وأوزانه ، وأبوابه ، وفى روحه ، وشكله ، وأسلوبه ، من مديح وهجاء ، وتهنئة ورثاء ، يستعمل سبيلا ووسيلة للكدية والاستجداء . فقد خرج به الخليل عما كان عليه الى ما أراده منه . فبعد به عن التقرب من الملوك والوزراء ـ اللهم الا ما كان فى واقعة حال فرضها الزمن والعرف،وقضى بها الواجب ـ وصرفه فى سبيل الشاعرية الصرف ، من نظم قصة ، وواقعة حال يراد بها ايراد عبرة من العبر ، وتغليب فكرة من الفكر . وقد اشتهر بدقة التصوير ، وسعة الخيال ، وبراعة الوصف حتى يصدق فيه وفى دقة تصويره، ووصفه ، حينما ينظم فيصف ، قول محمود باشا البارودى :

أحس فى نفسى دبيب المنى   وألمح الشهبة فى خاطرى

وانى لاستأذن فخامة الرئيس والقراء بايراد طائفة من شعره فى مختلف أبواب الوصف ، أبدع فيها الشاعر ، وحلق فى فضاء الشاعرية ، والخيال ، الى حد لم يبلغه شاعر ، ولا يفيه حقه وصف كاتب

وصف الشاعر حدثين تاريخيين كبيرين وصفا بديعا تجلت فيه وطنيته الكبيرة ، وحسن تصويره ، وسمو خياله ، هما قلعة بعلبك ، وسور الصين . فقال فى وصف بعلبك التى زارها بعد هجرة طويلة قضاها فى مصر :

ايه آثار بعلبك سلام   بعد طول النوى وبعد المزار
ووقيت العفاء من عرصات   مقويات أواهل بالفخار
ذكرينى طفولتى وأعيدى   رسم عهد عن أعينى متوارى

* * *

خرب حارت البرية فيها   فتنة السامعين والنظار
معجزات من البناء كبار   لأناس ملء الزمان كبار

ألبستها الشموس تفويف در وعقيق على رداء نضار
وتحلت من الليالى شماما ت كتنقيط عنبر فى بهار
وسقاها الندى رشاش دموع شربتها طوامىء الأنظار
زادها الشيب حرمة وجلالا توجتها به يد الأعصار
رب شيب أتم حسنا وأولى واهن العزم صولة الجبار
معبد للاسرار قام ولكن صنعه كان أعظم الأسرار
مثل القوم كل شيء عجيب فيه تمثيل حكمة واقتدار
صنعوا من جماده ثمرا يجـ نى ولكن بالعقل والأبصار
وضروبا من كل زهر أنيق لم تفتها نضارة الأزهار
وشموسا مضيئة وشعاعا باهرات لكنها من حجار
وطيورا ذواهبا آيبات خالدات الغدو والابكار
فى جنان معلقات زواه بصنوف النجوم والأنوار
وأسودا يخشى التحفز منها ويروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الأنياب غير ضوارى
فى عرانينها دخان مثار وبألحاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت فى كل آن روائع الزوار

نظم هذه القصيدة الرائعة منذ ثمان وأربعين سنة وكان فى عز شبابه واكتمال نضوجه . واليك أبياته فى وصف سور الصين :

ما للمليك مؤرقا يتقلب هل يحمل الهم السرير المذهب

فأجاب :

انى منيت بأمة مخمورة من ذلها ولها القناعة مشرب
لا ظلم يغضبهم ولو أودى بهم وهل استعزت أمة لا تغضب
ان يبك ثاكل ولده وزجرته عن نحبه ألفيته لا ينحب



الاستاذ ابراهيم سليم نجار

واذا نهيت عن الورود عطاشهم   وتحرقت أكبادهم لم يشربوا
واذا أذبت الشحم من أجسامهم   تعبا فان نفوسهم لا تتعب
أعيانى التفكير فى ادوائهم   مما عصين وحرت كيف أطبب

ولم يقصر شاعرنا الخليل اجادته فى وصفه على وصف الآثار والأطلال بل اتسع ، وعمم ، ورق وانتقل الى وصف الحسن والجمال فقال بعنوان « وفاء » فى عازفة عود حسناء تطوف بالناس فى القهاوى فتسمعهم فنون الموسيقى وأطايب الغناء . قال :

أشيرى الى عاصى الهوى يتطوع   ونادى المنى تقبل عليك وتسرع

....

فتاة كما تهوى النفوس جميلة   منزهة عن ريبة وتصنع
تخال محلاة وما ثم من حلى   سوى أدب وفر وحسن ممنع
هضيمة كشح ما بها من خلاعة   ويكذب ما فى مشيها من تخلع
بياض يغار العاج منه نقاوة   ويحجبه لون الحياء كبرقع
وعينان سوداوان ينهل منهما   ضياء كمسكوب الرحيق المشعشع

وقال يصف آنسة فى واقعة حال فى قصيدة بعنوان « العقاب » :

سوى الحب لا يشفى الفؤاد المكلما   ولا يهنىء العانى وان كان مؤلما

....

ورب غريب فى الملامح زانها   وكان بها من محكم الوضع أوسما
وثغر كما شفت عن الراح كأسها   يتوجها در الحباب منظما
وخصر اليه ينتهى رحب صدرها   وقد دق حتى خيل بالثوب مبرما
فان أقبلت فالغصن أثقله الجنى   فمال قليلا واستوى متقوما

وقد كان ينظم الحكاية أو واقعة الحال شعرا فيستخرج منها حكمة وعبرة بالغة كما فعل فى قصيدة « مقتل بزرجمهر » و « فتاة الجبل الاسود » و « المساء فى الاسكندرية » حينما قصدها مستشفيا فى سنة ١٩٠٢ . وانى لأورد بعض

أبيات من هذه القصائد الرائعة للدلالة على شعرها ، وروحها ، ومغزاها واجادة الوصف فيها . قال فى قصيدة « مقتل بزرجمهر » :

سجدوا لكسرى اذ بدا اجلالا ‍ ‍ ‍ كسجودهم للشمس اذ تتلالا

وقال فى الحكمة منها :

أنظر وقد قتل الحكيم فهل ترى ‍ ‍ ‍ الا رسوما حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له ‍ ‍ ‍ مات النصيح وعشت - أنعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلا فسد ‍ ‍ ‍ وارع النساء ودبر الاطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها ‍ ‍ ‍ لو ان فى هذى الجموع رجالا

وقال فى « فتاة الجبل الاسود » وهى من روائع شعره :

طغت أمة الجبل الأسود ‍ ‍ ‍ على حكم فاتحها الايد

....

ويوم كأن شعاع الصباح ‍ ‍ ‍ كسته مطارف من عسجد
تفرقت الترك فيه عصا ‍ ‍ ‍ ئب كل فريق على مرصد
أسود تراقب أمثالها ‍ ‍ ‍ ولا يلتقون على موعد
وكان من الترك جمع قليل ‍ ‍ ‍ على رأس منحدر أصلد
ففاجأهم هابط كالقضاء ‍ ‍ ‍ فى شكل غض الصبى أمرد
فتى كالصباح باشراقه ‍ ‍ ‍ له لفتة الرشأ الأغيد
يدل سناه وسيماؤه ‍ ‍ ‍ على شرف الجاه والمحتد
ترد سواطع أنواره ‍ ‍ ‍ سليم النواظر كالأرمد
أقب الترائب غض الروا ‍ ‍ ‍ دف يختال عن غصن أميد
لهيب الحروب على وجنتيه ‍ ‍ ‍ والنقع فى شعره الأسود
وفى عينه مثل برق السيوف ‍ ‍ ‍ وظل المنية فى الاثمد
فأكبر كلهم أنه ‍ ‍ ‍ رآه تجلى ولم يسجد
وافرغ نار سداسيه ‍ ‍ ‍ على القوم أيا تصب تقصد

وما لبثـوا أن أحاطـوا به ... فـدان لهم صـاغرا عن يد
فسيق الى حيث كان الأمير ... فى نفـر منهم موفـد
فأوقع أمـرا بأن يقتلـوه ... بمرأى الجنود غداة الغـد
فأقصى الفتى عنـه حراسـه ... وشق عن الصـدر ما يرتدى
وأبرز نهـدى فتـاة كعاب ... بطـرف حيي ووجـه ندى
كحقى لجين بقفـلى عقيـق ... وكنزين فى رصـد مرصـد
فمـا بلد تفتـديه النسـاء ... كهـذا الفـداء بمسـتعبد

وأورد فى ختام هذا الاستشهاد الطويل على بلاغة الشاعر ، الملهم فى وصفه بعض أبياته فى قصيدته التى عنوانها « المساء » قال :

داء ألـم حسبت فيه شـفائى ... من صبوتى فتضاعفت برحائى
انى أقمت عـلى التعـلة بالمنى ... فى غربة قالـوا تكـون دوائى
ان يشفِ هذا الجسم طيب هوائها ... أيلطف النـيران طيب هـواء
أو يمسك الحوباء حسن مقامها ... هل مسكة فى البعد للحـوباء
عبث طوافى فى البـلاد وعلة ... فى علة منفـاى لاسـتشفاء
متفرد بصـبابتى ، متفـرد ... بكآبتى ، متفـرد بعنـائى
شاك الى البحر اضطراب خواطرى ... فيجيبنى برياحه الهـوجاء
ثاو على صخر اصم وليت لى ... قلبا كهذى الصخرة الصمـاء
ينتابها موج كمـوج مكارهى ... ويفتها كالسقـم فى أعضـائى

الى هنا ينتهى بنا هذا الاستشهاد الدال على عبقرية الشاعر ونبوغه . ولـو شئت الاستزادة منه لأتيت على معظم ما نظم ونشر

عصر ازدهار الشعر فى مصر

لقد ازدهر عصر الأدب والشعر فى مصر ، فى الربع الأول من هـذا القرن ، ازدهارا كبيرا ،فسعد بعدد من الشعراء النوابغ جددوا عهده، وألبسوه

حلة من الرونق والبهاء لم تكن له من قبل. أذكر منهم أحمدشوقى بك،وحافظ ابراهيم بك ، ونجيب حداد ، والياس فياض ، وأحمد الكاشف ، وأحمد محرم وغيرهم ممن فاتتنى أسماؤهم

ولقد كان صاحب هذا المهرجان ، المحتفى به اليوم ، فى رأسهم وفى مقدمتهم شاعرية ، ونبوغا ، وانتاجا ، واحياء ، وانعاشا للشعر والأدب بعد كسادهما وخمولهما

ولقد كان تفرد الخليل وشوقى بك فى سعة اطلاعهما على آداب اللغة الافرنسية عاملا قويا فى نبوغ شاعريتهما ، واتساع افقهما . وربما كان صاحب هذا العيد أكثر شعراء العرب وقوفا على آداب اللغات الاجنبية ، خصوصا على آداب اللغة الافرنسية

ولقد اشبه عهد وعصر مطران وشوقى وحافظ فى مصر ، ونبوغهم وظهورهم فى زمن وعصر واحد ، عهد وعصر هيغو ولمرتين وموسيه فى فرنسا من حيث التجدد الشعرى ، والنشاط الفكرى ، وحيوية الشعر ، وازدهار الأدب ، الذى بعثه هؤلاء النوابغ الثلاثة الأعلام ، وعاشوا فيه . ولقد كان الخليل أكثرمعاصريه من شعراء مصر ، بل شعراء العرب ، أخذا بروح التجدد، واقتباسا للروح الغربية فى شعره مع شدة تمسكه بعروبة لغته ، وتمكنه من ضبط لغتها . فقد جمع فى شعره بين الروحين العربية والافرنجية ، وربطهما برباط الفكر بصلة قد تكون دعته على أن يقول عن شعره فى ديوانه انه شعر المستقبل

شاعريته ومنزلته

امتاز شعر الخليل ، كما رأيت مما مر بك ، بسعة خياله ، وجمال صوره، ودقة تصويره ، وجودة لغته ، ومتانة قوافيه ، وبهذا الشكل الجديد الذىصاغه وسكبه فيه ، مع محافظته تمام المحافظة على روحه العربية ، والبعد به ، بألفاظه

وتركيبه ، عن الركاكة ، والضعف ، والميعان ، وابتذال الصور ، وغموضها . وقد تمكن الخليل من آداب اللغة الافرنسية تمكنه من آداب اللغة العربية . وحدث له فى المدرسة وبعدها ان كتب ونظم بها فأجاد . وقد ساعده هذا الاطلاع الواسع على آداب اللغة الافرنسية على الاقتباس والتنوع . فكان أول من خلق القصة ، وحكاية الحال، وأبعد الشعر عن الكدية، والاستعطاء به ، والاستجداء. فقد أبت نفسه اللبنانية العربية السامية أن تنزل بالأدب السامى الى هذا الدرك من الابتذال

الجنين الشهيد

قلت ان شاعرنا العبقرى المجدد كان أول من خرج بالشعر عن أسلوبه القديم ، وألبسه حلة جديدة من الاسلوب العصرى ، آخذا به مأخذ شعراء العرب كعمر بن أبى ربيعة فى قصيدته الرائية التى وصف فيها مفاجأته خيمة حبيبته ، وكيف قضى ليلته فيها ، وخرج قبيل الفجر منها متخفيا بثياب فتاة بين ثلاث اخوات ، كاعبان ومعصر . وانك لترى فى ديوانه المطبوع كثيرا من هذه القصائد ، والموشحات القائمة على وصف حكاية أو واقعة حال كالفتاة البويرية، وفتاة الجبل الاسود ، ومقتل بزرجمهر . ولعل أبدع وأروع ما نظمه فى هذا الاسلوب قصيدة أو ملحمة « الجنين الشهيد » وهى تقع فى ٤٠٠ بيت من الشعر الجيد ، وصف فيها حكاية حال فتاة رومانية جاءت مصر تشتغل فى احدى حاناتها فأحبها رجل وأحبته ، ثم تركها بعد أن نال منها بغيته ووطره . فأجهضت وأودت بالجنين تخلصا منه ، فأطلق عليها اسم « الجنين الشهيد » . ولعله اقتبس هذه المأساة من قصيدة « رولا » لالفرد ده موسيه التى تشبه فى موضوعها ، وأسلوبها ، وتنوعها « الجنين الشهيد »

ولما كنت أضن باغفال نشر شىء من قصيدة « الجنين الشهيد » التى اعتبرها من عيون الشعر القصصى ، ومن خيرة ما نظمه ونشره الخليل ، اكتفى بنشر شىء

منها فى هذه الرسالة الصغيرة لما تضمنته من رقة الشعور ، وسعة الخيال وحسن التفكير ، والتصوير . قال الخليل الشاعر المبدع فى مطلعها :

أتت مصر تستعطى بأعينها النجل وعرض جمال لا يقاس الى مثل
غريبة هذى الدار بادية الذل جلت طفلة عن موطن ناضب قحل
الى حيث يروى النيل باسقة النخل

....

على هذه الحال الشديد نكيرها نما الحسن فى ليلى ومات ضميرها
فكانت كمشكاة يعز نظيرها باتقانها لكن خبا الدهر نورها
وبان الحيا فالعين غمد بلا نصل

فلما استوى شكلا ربيع الصبا بها وشب عن الأكمام زهر شبابها
ودل على النعماء غض اهابها وأنكر ماضى فقرها وعذابها
حكت جنة فتانة القلب والعقل

وما هى الا دمنة لكن اكتسى ثراها من النبت المزور ملبسا
ويسطع منها الطيب لكن مدنسا وفى زهرها تنمو الرذائل والأسى
وموردها عذب ولكنه يصلى

الى أن يصف جريمة عشيقها جميل بها فيقول :

وكان يهم الصبح ان يتطلعا ويفتض أزرار السماء ليسطعا
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا فلم يطو منه الذيل الا وقد وعى
دما طاهرا أجراه اثم فتى نذل

....

رأت شهب الظلماء مشهد ظلمها لدن أسقطت منها الجنين بسمها
فلم تتساقط مغضبات لحطمها واشرب نور الشمس من دم اثمها
كما يلغ الضارى الدماء ويستحلى

علـى أن ليـلـى بعــد عام تصرما سلت فى الملاهى أمرها المتقـــدما
وعاش جميـل ناعم البــال مكرما كأنهمـــا لـــم يستبيحا محـــرما
وما عوقبت غير الطهـارة والطفـل

وكل القصيدة من هذا الطراز المعلم ، والوصف الدقيق ، والحكمة البالغة فى واقعة حال يقع مثلها فى كل يوم ، وتوضع فيها الروايات والقصص للتأنيب والاعتبار

كان الشعر العربى فى نهضته الحديثة حتى أواخر القرن الماضى مقصورا على الاسلوب القديم حتى فتح الخليل فتحه الجديد فيه ، وسلك هذا المسلك ، فأبدع وأجاد ، وتبعه فيه عدد من الشعراء المعاصرين

كتبه ورواياته

لأديبنا المنشىء الكبير عدة مؤلفات وروايات وضع الأولى منها ، اما ترجمة واما تأليفا ، فى كتب وابحاث مختلفة . وكثيرا ما كانت وزارة المعارف المصرية تنتدبه اما لترجمتها رأسا ، واما لتولى تنقيحها قبل طبعها . كمـا انتدبته لتـولى تنظيم فرقة التمثيل الوطنية وتدريبها واختيار رواياتهـا ، واعدادها لأن تكون فرقة تمثيلية راقية . فقد عمل فى هذا السبيل عملا شاقا أخذ من صحته وجهوده ، ودعاه الى وضـــع بعض روايات تمثيلية لهـذه الفـرقة كرواية « عطيـــل » (أوتيللو) وقد اختار لها هذا الاسم لأنه رآه أكثر انطباقا ، وأقرب لفظا للكلمة الأجنبية

وخلاصة القول ان الخليل اشتغل بكل اقتدار ونجاح بكل فـروع العلم والأدب . فكتب ، وألف ، وترجم ، فى كتب الاقتصاد ، كما كتب وألف فى كتب الأدب

أخلاقه وآدابه

أبدع وأعجب ما في شاعر القطرين أخلاقه وآدابه بلا جدال . واني لاقول بحق وصدق انني لم أر لها مثيلا ولم أسمع بمثلها

صحبت الخليل صحبة قريبة وثيقة أكثر من ربع قرن لم أسمع منه فيه كلمة سوء بحق أحد من الناس أيا كان ، سواء أكان غريبا ، أم قريبا . ولم أره مرة في حالة حدة ، أو غضب ، حتى لظننت انه لا يعرف الغضب - ولو حمل عليه - ولم يأخذ أمرا من الأمور بالحدة ولو دفع اليها . ولقد عرفت وشهدت له مشاهد من هذا النوع ، تدعو فعلا الى الاستياء والغضب ، أظهر فيها تؤدة وهدوء أعصاب ، ولينا ، وحكمة ، أشهد بالله انني لم أر مثلها حتى توهمت انه يجهل كلمات الشتم ، والسباب . وأقول بحق انه لم يشتم مرة أحدا في حياته . فلقد تحلى بخلق ليس من أخلاق أهل هذه الأرض ، ولا من صنع أبناء هذا العالم بل لأكاد أقول عنه انه من أخلاق أهل الجنة التي يحدثوننا عنها

ثمرة هذه الاخلاق

لكل شيء جزاؤه ، وقيمته ، وثمنه، وفي مقدمة هذه الأشياء الأخلاق . فقد كانت نتيجة خلق الخليل الطيب الرضي انني لم أعرف له في مصر ، لا أقول عدوا أو خصما ، بل رجلا واحدا كارها مبغضا . ألا يحدث لرجل في ثورة نفسه أن يغضب ، فيشتم ، فيعادي ؟ فقد تنزه الخليل عن جميع هذه الاوصاف والحالات تنزها كليا لم أر له مثيلا في الرجال ، ليس في مصر وحدها بل في جميع بلاد العالم التي نزلتها ، واحتككت برجالها ، ودرست أخلاق وطبائع أهلها

لا شك في أن للتربية الأولى أثرها في تهذيب النفس ، وللتعليم فعله

وأثره ، غير أن العبرة هى بالفطرة والجوهر . فمن فطر على شرة النفس ، ورداءة الخلق ، وفلتات اللسان لا يستطيع الرجوع عنها ولو تولت الملائكة تربيته ، وتعليمه . فقد كان الخليل بأخلاقه وتربيته مدرسة لصحبه ، ورفاقه ، ومريديه . كما كان لهم مدرسة بعلمه وأدبه ، يعلمهم ، بالمثل العليا ، كيف يجب أن تكون أخلاق الرجال ، وكيف يجب أن يتربى ، وينشأ الافراد فى الشعوب والأمم الراقية

هذه صورة صغيرة من آثار النابغة المحتفى به ، وأعماله ، وسيرته ، وأخلاقه ، رسمتها برأس القلم ، ليس لمجرد امتداحه والثناء عليه ، بل ليكون مثالا ومدرسة للنشء الجديد ، بخلقه وتربيته ، ووطنيته ، وتجرده ، وأخلاقه كما كان لهم معلما وأستاذا بعلمه ومؤلفاته ، فى كل نوع وفن . واذا كان الخليل لم يترك ولدا فقد ترك شعوبا وأمة تعترف بفضله وجهاده ، وتقدره قدره . أمد الله فى حياته ، وألبسه ثوب الصحة والعافية قشيبا ، وجزاه خير الجزاء

ذكرى صاحب الاهرام

حامل العلم

اقيمت صباح الجمعة (اول امس) صلاة حافلة في كاتدرائية الروم الكاثوليك بالفجالة برياسة السيد الجليل المطران كفوري عن نفس الخالد الذكر الطيب الاثر المرحوم جبرائيل تقلا باشا صاحب «الاهرام». وقد حضرها جمهور كبير من اهل الوجاهة والمثالة من علية القوم والشيوخ والنواب والاعيان ووفود الهيئات الرسمية والجمعيات الخيرية والنقابات وكرائم السيدات ورجال الصحافة والاقلام من مصريين واجانب. وبعد نهاية الصلاة اقبل الحاضرون على حضرة السيدة الفاضلة قرينة الفقيد العزيز ونجله وكريمته ورئيس تحرير الاهرام مجددين تعويتهم في فقيد الصحافة والاخلاق النبيلة، سائلين الله ان ينزله في جنات الخلد.

ولهذه المناسبة ننشر اليوم القصيدة العصماء التي نثر فيها الاستاذ خليل مطران دموعه على الفقيد الغالي وقد عرفه الخليل طفلا ويافعا ورجلا، فرسم له صورة صادقة تمثله في جميع ادوار حياته، قال:

انكارك النفس سر المجد والعظم
هل بعده غاية في النبل والكرم
جبريل اتلفت ذخرا لست تخلفه
هلا ارعويت عن الاسراف في الهمم
لولا الردى وهو كشاف الحقائق لم
تعرف افانين عرف منك مكتتم
انت الكبير اذا قيل الكبير بما
تعنيه سامية الآداب والشيم
الابداع وسبق الوقت من لهما
الالك في غير ما وهم ولا وهم
في كل حبة اقدام وتضحية
هل كان جبريل الا حامل العلم
ما بالكنانة من رزء، ما تمه
لغير ابطالها الامجاد لم تقم
ما بالعراقين ما بالشام ما بربى
لبنان من جزع في خطبك العمم
في الشرق والغرب آماق بها قرح
من الدموع واكباد من الضرم
بكتك مصر وما اشجى رزيتها
في المفرد العلم ابن المفرد العلم
اخلصت في حبها الاخلاص اجمعه
والحب اوصل للقربى من الرحم
وفدية في مدى عمر تتابعها
ازكى وفاء لها من فديه بدم
خدمتها الخدمة المثلى واشرفها
من سادة القوم يرجى لا من الخدم
تابى على الوصف مصر ان يشبهها
اين الشبيهان من نيل ومن هرم
واين ما حب من اخلاق امتها
ومن مناقبها في سائر الامم
واين ما خلدت آيات قدرتها
في العلم والفن والعمران من قدم
قد كنت تطرب من ذكرى مفاخرها
كانه رجع خلاب من النغم
وقد ضربت بسهم في تجددها
وكنت معوانها بالراى والقلم
اخرجت للناس في اولى صحائفها
اشعة فتكت بالظلم والظلم
تجلو بها كل خاف في حقيقته
ولا تصرفه تصريف محتكم
ولا مداجاة في دين وفي وطن
ولا محاباة في الاخطار والقيم
الحق لا شيء غير الحق تنصره
ولا تمالىء ذؤبانا على نعم
وتجتوى كل باغ ساق امته
الى المجازر سوق الشاء والغنم
في حكم كل عتى علة كمنت
وان تراءى صحيح الشكل والنظم
اما مكانك في الشورى فشرفه
ان كنت فيه مثال الناصح الفهم
وما توقلته تبغى العروج به
وهو الطريق الى العليا من القمم
تقضى حقوق اناس انت نائبهم
ولا ترى لك امرا غير مرءم
ان العروبة لن تنسى بلاء فتى
اعزها بالفعال الغر والكلم
اعزها بالاهابات التي سمعت
وبالهبات جرت سحا ولم تغم
واى تبصرة في اى تذكرة
تهدي العقول وقد يضللن في القتم
يرجى الرقى لشعب بالقلوب يرى
وليس يرجى لشعب بالقلوب عم
واحر قلبا على من كنت اكلاه
طفلا واملأ عيني منه ان ينم
نما وشب وصدر الدهر ضاق به
اكان ذلك رؤيا الطفل في الحلم
يا للشهاب كابهى ما اضاء خبا
وفي حشى المجد جرح غير ملتئم
ماذا طوى الموت من علم ومن ادب
ومن حياء ومن ظرف ومن شمم
يرى طرائق للحسنى فيخلقها
وليس في ارب منها بمتهم
كم سامني جمع ديواني لينشره
افديه من محسن في زى ملتزم
ان اعصه راح يغريني بصفقته
كانني انا ذو الآلاء والنعم
فاليوم اخرج اوراقي وقد نديت
من ذكره بدموع الحزن والندم
قد انكر الناس ابطائي بمرثيتي
والعذر لو علموا ما بي من السقم
ولست مما امتدبي دهري كما خبروا
بخافر الالي والتيهم نعمي
ما بال من فضله عندي وذاك به
عهدي وحولي مجالي فضله العمم

انطون يا من اعزيه وتقلبنا
شجوننا فاباكيه من الالم
لاذت بحلمك اقوام فكان لها
نصرا على الدهر في احداثه الغشم
فلذ به في مصاب ذقت افدحه
لا ركن اثبت منه اليوم فاستلم
جبريل ولي وما اغلى وديعته
وانت ذخر به يعتد للازم
ويا فقيدا شجا الدنيا بمصرعه
ان الصحافة في ثكل وفي يتم
ابوك هيأ اسباب النجاح لها
وانت ابلغتها الغايات من امم
فان تخلد بها ذكرى لمفتتح
لا كنت، وابنك مأمول، بمختتم

صدى نعيه في الحجاز ونجد

جده: لمراسل «الاهرام» – تلقينا كثيرا من الكلمات المؤثرة التي تنبيء بما في نفوس اخواننا الحجازيين والنجديين من اسف شديد لوفاة كبير من قادة الراى العام في العالم العربي، هو المرحوم المبرور جبرائيل تقلا باشا صاحب «الاهرام» وسنبعث بالمنثور والمنظوم من تلك الكلمات في بريد آخر لتاخذ مكانها في صفحات الكتاب المزمع اصداره بمراثي الفقيد

...شرق العربي

الكامل ببني عمه ملوك سوريا فقدم عليه الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه في عسكر كثيف ، والملك المجاهد صاحب حمص والملك الامجد بهرامشاه صاحب بعلبك والملك الاشرف موسى والملك المعظم عيسى فتضعضع الافرنج لذلك وضاق بهم المقام وطلبوا الصلح .

ولما قامت دولة المماليك بمصروالشام زادت روابط البلاد الشرقية وقدم مصر، وهى مقر الحكومة . كبار علماء سوريا والعراق فقدم عز الدين بن عبد السلام وقد اخرجه ملك دمشق الصالح اسماعيل فاكرمه ملك مصر وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص ، ثم قلده قضاء مدينة مصر والوجه القبلى

وظهرت دلائل الروابط الكريمة بين الاقطار العربية حين قتل هولاكو ملك التتار الخليفة المستعصم باللهالعباسى فى فى ٦ صفر سنة ٦٥٦ وقد قتل غالب اهل بغداد وخربت المساجد والمشاهد، ففر غالب اهل السواد وكثير من الامصار الى الديار المصرية وارسل ملك حلب نساءه واولاده وامواله الى مصر وخرج معهم نساء الامراء وجمهور الناس

وكذلك سار الملك المنصور صاحب حماه الى مصر باهله ولحق بهم اهل حمص وحماه

وخرج سلطان مصر المظفر قطز لحرب التتار

وقال لامرائه وقد تهاونوا « انا القى التتار بنفسى» وسار عن طريق الساحل فمر بعكا ، وكانت بايدى الافرنج ، فخرجوا له فطلب منهم الا يكونوا له ولا عليه والتقى بجيوش التتار عندعين جالوت من اعمال فلسطين فقاتلهم احسن قتال وانتصر عليهم فى واقعتين عظيمتين

ثم تولى الملك على مصر وسوريا الملك المجاهد الظاهر بيبرس فردالخلافة الاسلامية الى بنى العباس واقام الخليفة بالقاهرة ولقب اولهم بمصر بالحاكم بامر الله عام ٦٦١ هـ فبايعه السلطان والعلماء وسائر رجال الدولة

ثم قام الخليفة بدوره الى السلطان فقلده امور البلاد والعباد وجعل اليه تدبير الخلق وفوض اليه سائر الامور

واستمرت الحروب بين جنود الدولة الاسلامية وجموع التتار وافسح هذا السلطان العادل لسائر من سكن الشام والعراق طريقهم الى مصر حيث الامن والرخاء

وهجر كبار العلماء والصالحين الاندلس فاستقر الشيخ الصالح ابوالقاسم القبارى والشيخ الشاطبى بثغر الاسكندرية وزارهما السلطان بيبرس وبالغ فى اكرامهما وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ٦٦١ هـ

وعاد السلطان الى اعمال البر بالحرمين الشريفين فعمر الحرم النبوى وارسل الى مكة كسوة الكعبة وتبعه ملوك مصر واصلح بين امير مكة الشريف حماز وابن عمه الشريف بدر الدين من منيف وتبادل الهدايا مع ملك اليمن يوسف بن رسول وفتح الله على يد السلطان غالب البلاد التى كانت بايدى الافرنج فقدمت الى القاهرة وفود الاقطار الشرقيه للتهنئة بما فتحه الله عليه

وفى عام ٦٦٧ هـ رتب لامراء مكة عشرين الف درهم فى كل سنة على الا يؤخذ بمكة من احد شئ من الضرائب ولا يمنع احد من زيارة البيت وسلم اوقاف الحرم التى بمصر والشام لنواب امير مكه

وتكررت هدايا ملوك اليمن الى سلطان مصر عام ٦٧٠ هـ كما تقدمت رسل صاحب تونس بالهدايا الى مصر

وبسط الله لدولة المماليك بعد بيبرس سلطان المشرق باسره فجعلوا من القاهرة سيدة العواصم لدولة الشرق الكبرى التى كانت تظل مصر وفلسطين وسوريا وبرقة والنوبه والحرمين الشريفين و[illegible] معظم فحول علماء تلك البلاد يتولون القضاء فى القاهرة وكان منهم وزراء وشعراء واساتذة بمدارس القاهرة العديدة ونالوا الحظوة فى اعين ملوك مصر وامرائها . ومن ينسى الامام ابن تيميه وابن خلكان وابن خلدون

وكانت روابط المودة اول الامر متينة بين ملوك مصر وسلاطين تركيا حتى عام ٧٩٥هـ اذ مرض بايزيدالاول سلطان تركيا وكان السلطان برقوق ملك مصر فارسل اليه كبير الاطباء الرئيس شمس الدين بن صفير ومعه حملان من الادوية هدية للعثمانيين . ولما فتح السلطان محمدالفاتح مدينة القسطنطينية دقت بمصر البشائر وزينت القاهرة ثلاثة ايام واوفد سلطان مصر امراءه يحملون تهنئته

ومن روابط بلاد المغرب الاندلسى بمصر ، انه فى عام ٨٩٢ هجرية حضر رسول من قبل ملك الاندلس يستغيث بسلطان مصر الاشرف قايتباى لان الافرنج اشرفوا على اخذ غرناطه وهى محصور بينهم فارسل السلطان الى القسوس الذين فى كنيسةالقيامة بالقدس وطلب منهم ان يرسلوا قسيسا من اعيانهم الى ملك الافرنج صاحب نابلى ليكاتب ملك كستيل الاندلسى بان يكف عن مسلمى الاندلس والا منع السلطان اهل كنيسة القيامة وسائر الافرنج من زيارتها فامتنع ملك كستيل قليلا ولكنه عاد الى الحرب ففتح غرناطه بعد ثلاث سنوات فى عام ٨٩٥ هـ

وتوالى رسل بلاد الحبشة على مصر اما عابرين فى طريقهم الى بيت المقدس واما طالبين من بطرك الاقباط بمصر ان يعين لهم مطرانا . وكانوا دائما يحملون الى ملك مصر اجمل الهدايا

وحدث فى احدى السنين ان ابطا النيل فى فيضانه فاوفد السلطان بطرك القبط الى بلاد الحبشة الذين كانوا قد اقاموا على روافد النيل فى بلادهم خزانا منع تسرب الماء الى مصر فاحسنوا وفادة البطرك وافرجوا عن الماء ، فسر السلطان وبالغ فى شكر البطرك .

وقد طالعنا فى « بدائع الزهور » لابن اياس الذى طبع بالاستانة انه فى شهر ربيع الاخر سنة ٩١٨ ايام السلطان الغورى قد اجتمع بدار الضيافة المصرية بالقاهرة احدعشر رسولا للدول المختلفة بين شرقيين واوربيين وهو من انصع الادلة على مكانة مصر فى العالم لذلك العهد

فكان بها رسول من قبل ملك فرنسا وثان من قبل ملك الكرج وثالث من قبل شاه اسماعيل الصفوى ملك تبريز العجم ورابع من قبل الامير رمضان امير التركمان وخامس من قبل سلطان العثمانيين بايزيد الثانى وسادس من قبل صاحب تونس وسابع من قبل امير مكة وثامن من قبل السلطان محمود سلطان كنباله بالهند وتاسع من قبل امير آخر [illegible]

، ونحن تغزونا الكوارث وتفتك بنا
ب ونرجو

أصحيح ان لنزك لغز الدهور ام خلقك الانسان رمزاً له كما خلق الله على صورته ومثاله ؟ لقد أعطاك من الثور الخاصرتين مكمن الغريزة الجوفية الرامزة الى السكوت ، ومن الاسد براثن التحمّس والاستماتة الرامزة الى الجرأة ، ومن النسر الجناحين المحلّقين في بعيد المدى الرامزين الى المعرفة ، ومنه ـ من انسانيته ـ اعطاك الرأس مشيراً الى التبصُّر والارادة المدركة المتغلبة على الغريزة والانفعال والخيال . فكيف يحصر فيك جميع هذه النزعات التي تتجاذبه ولا يضيف اليها ما بقي ؟ لماذا لا يكون ابتسامك الدائم صورة الامل المتجدّد أبداً فيه . أليس انه مثلك لأنك مثله ؟ اليس ان في اعماقه أبا هولٍ شاخصاً ابداً في السموات العلى كلما ظفر بفجرٍ وشروق لبث يتوقع بزوغ كوكب جديد وشروق شمس ساطعة ؟

عند قدمي ابي الهول

ذكرى ...
١ ...

فهرس

الكتاب الاول ، من كوة الحياة

الكتاب الثاني : نحو مرقص الحياة

الكتاب الثالث : في مرقص الحياة